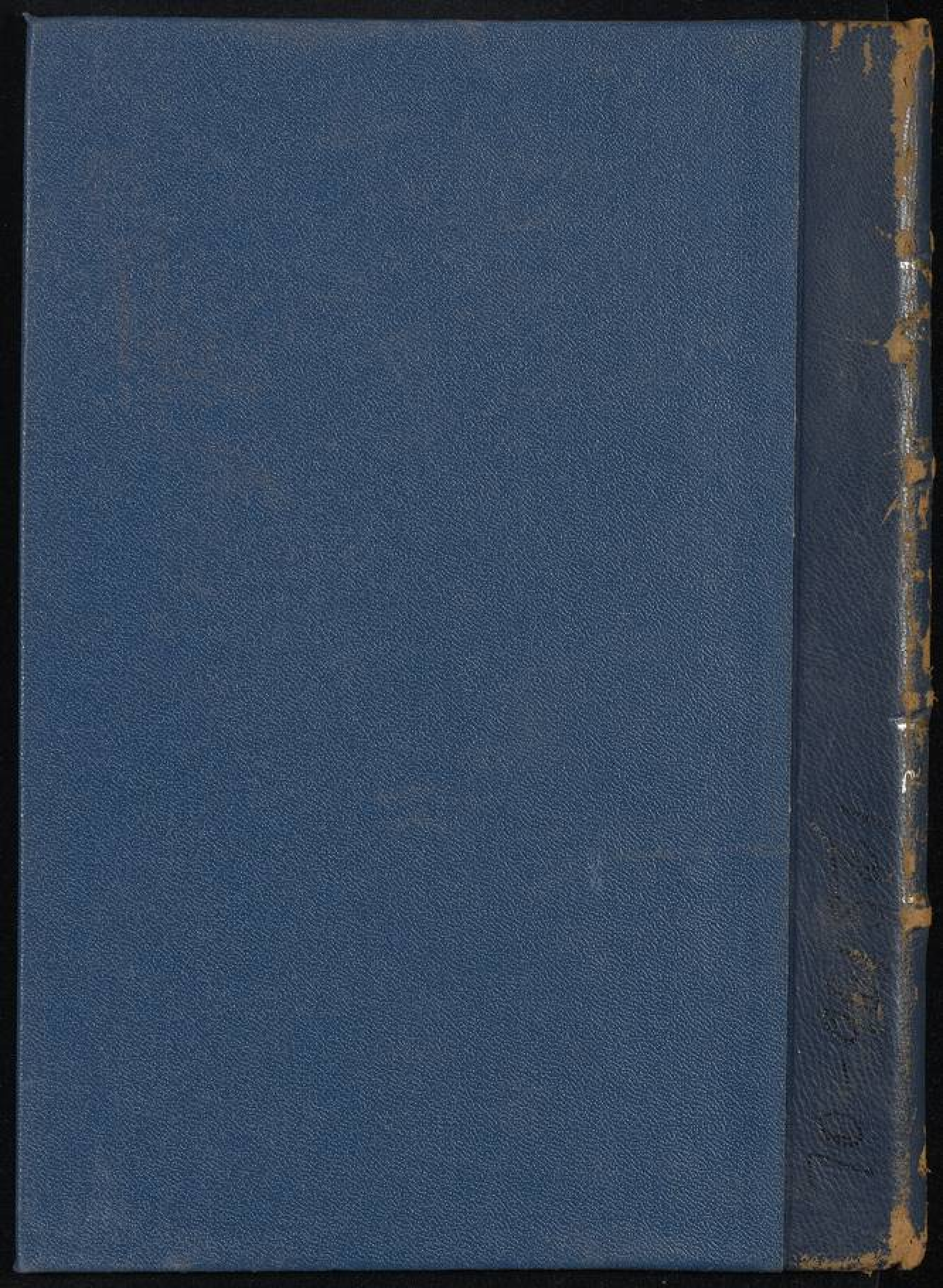


# قيان بغداد

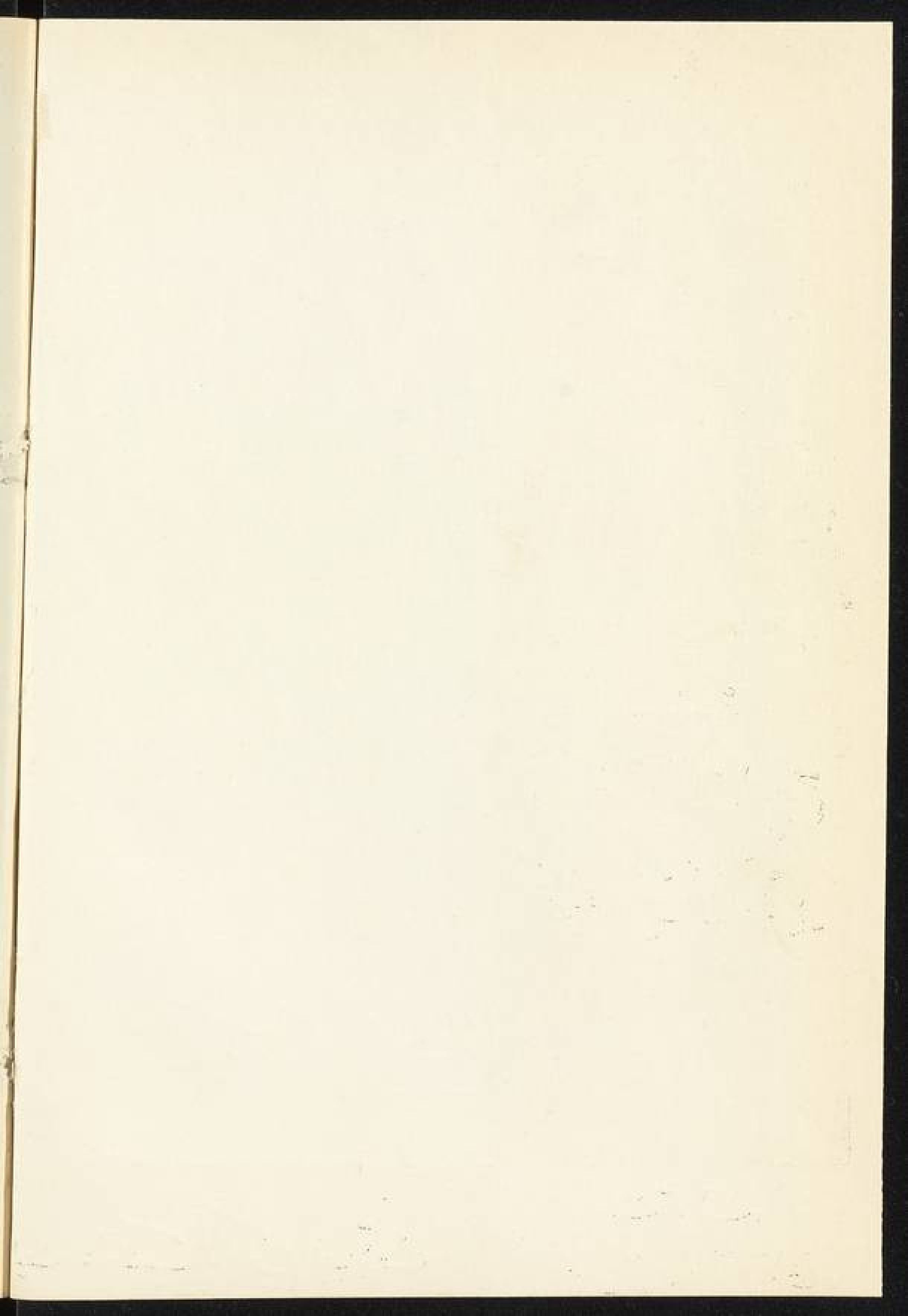
في

## العصر العباسي والعثماني والأخير



قدّم له
علي الخاقاني

تأليف : عبد الكريم العلاّف



منشورات دار البيان

٤٩

# قيان بغداد
# في
# العصر العباسي والعثماني والأخير

تأليف

عبد الكريم العلاف

قدم له

علي الخاقاني

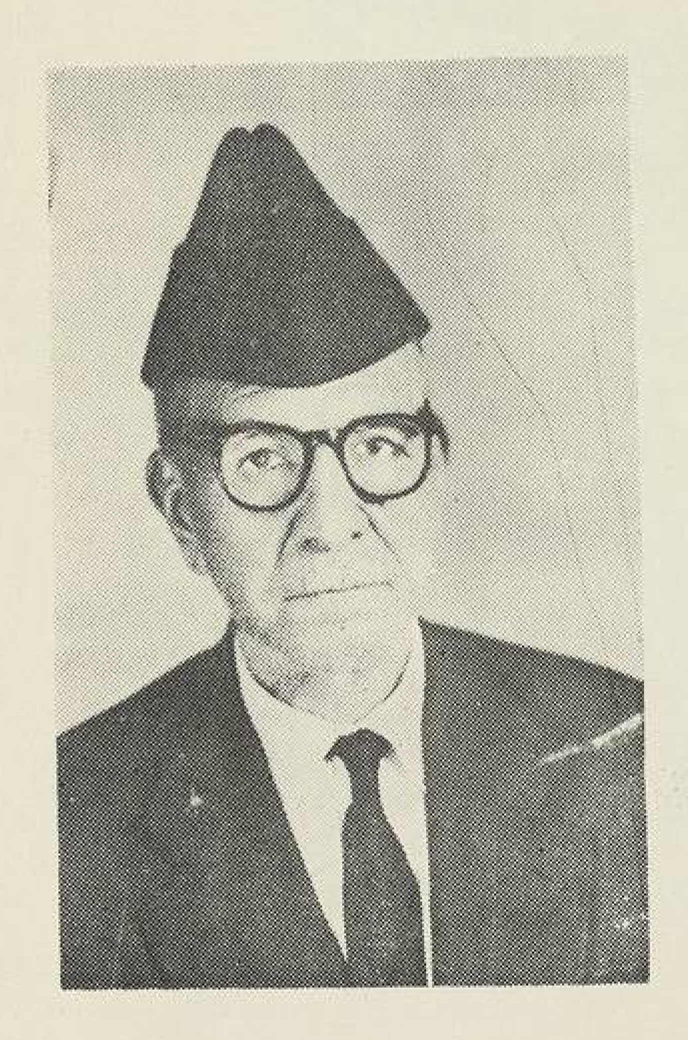
مطبعة دار التضامن – بغداد

١٣٨٩هـ – ١٩٦٩ م

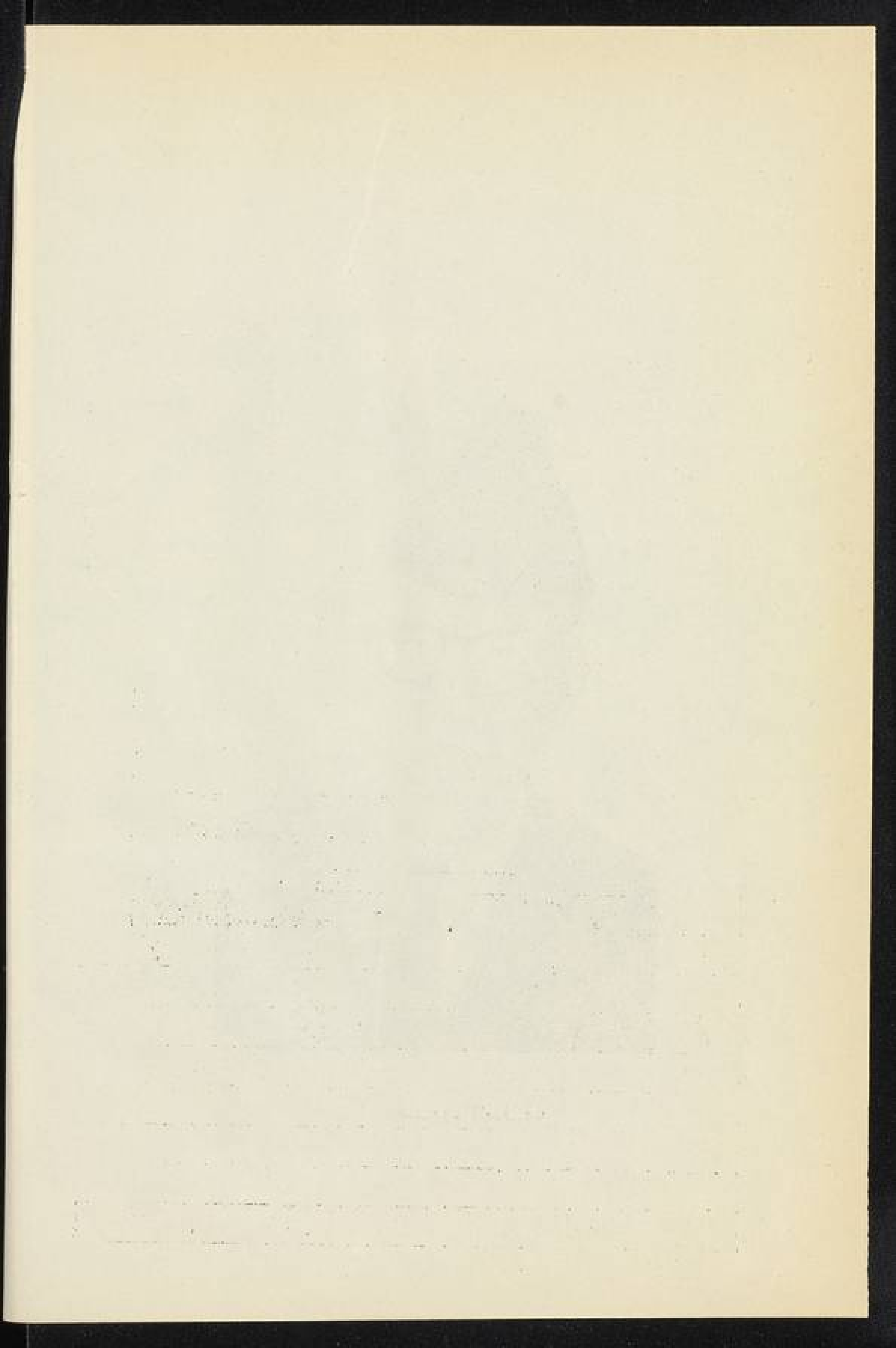



١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م

الطبعة الاولى



صـورة المؤلـف



L. C. CARD NUMBER → 70-961561

Out
C
R
On
Ci
Rd
P
D
Np
NR

al-'Allaf, 'Abd al-Karim.
Qiyan Baghdad fi al-'asr al-'Abbasi wa-al-Uthmani wa-al-akhir. Baghdad, Matba'at Dar al-Tadamin, 1969.
264 p.

| Disposition | GL | Source | PL 480 | Date | 11/4/70 |
|---|---|---|---|---|---|

| GC | LC42 | 42-7 | 48-52 | 53-7 | PS |
|---|---|---|---|---|---|

| 2 | Columbia U. | PHO | a, c, d | -R, Ci |
|---|---|---|---|---|

70-961561

al-ʻAllāf, ʻAbd al-Karīm

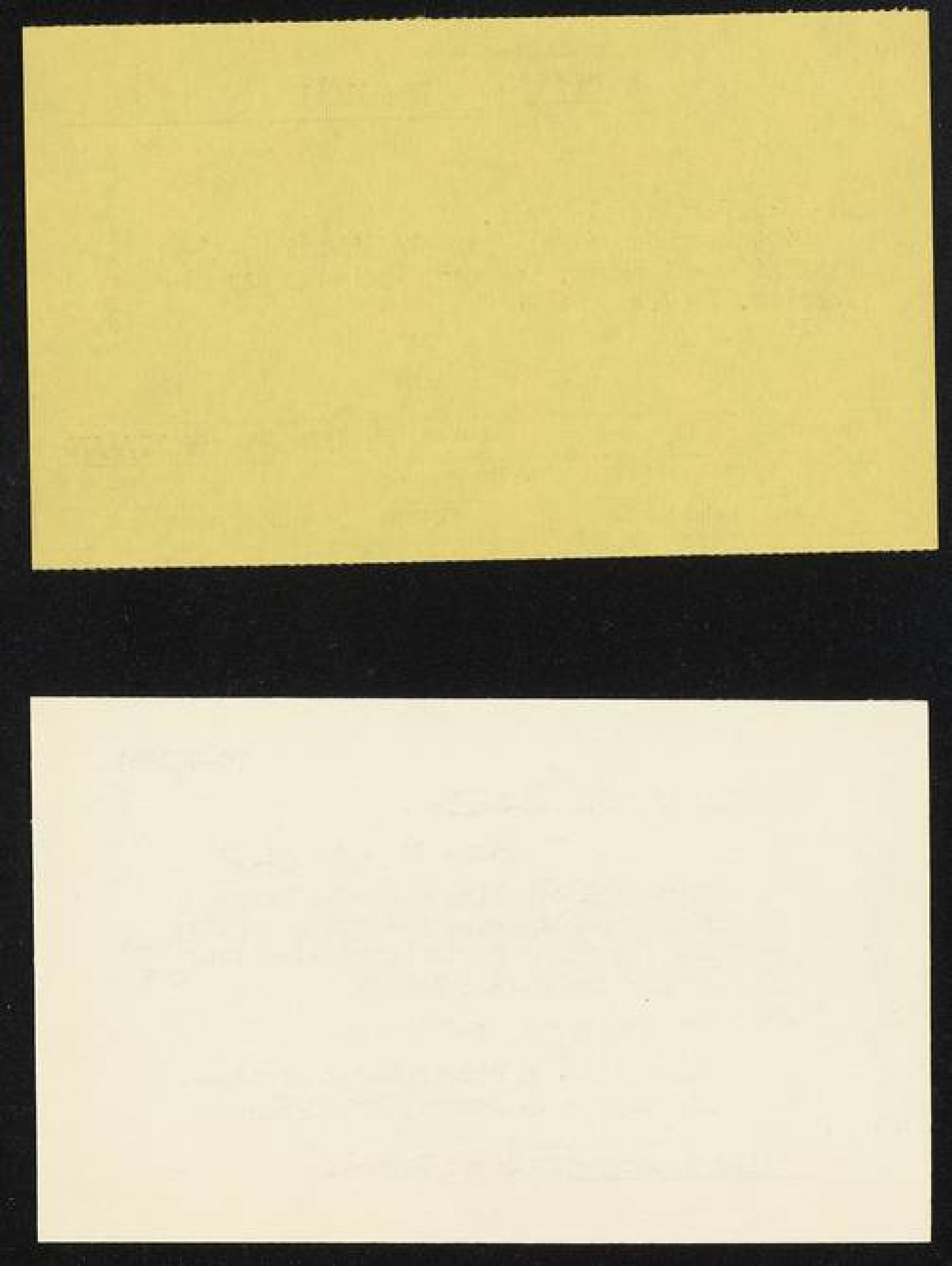
قيان ... (Card 2)

Cover title: Kian Bagh Dad [sic] during the Abbassiad and Dttoman [sic] times, by Abdul Rarim [sic] al-Allaf. Introduction by Ali Kakany.

Bibliography: p. 263-264.

Anecdotes and biographical sketches of girl singers in Bagdad, 750-1950.

Title romanized: Qiyān Baghdād.



L. C. CARD NUMBER → 70-961561

Out
C
R
On
Ci
Rd
P
D
Np
NR

al-'Allaf, 'Abd al-Karim.
Qiyan Baghdad fi al-'asr al-'Abbasi wa-al-Uthmani wa-al-akhir. Baghdad, Matba'at Dar al-Tadamin, 1969.
264 p.

| Disposition | GL | Source | PL 480 | Date | 11/4/70 |
|---|---|---|---|---|---|

| GC | LC42 | 42-7 | 48-52 | 53-7 | PS |
|---|---|---|---|---|---|

2 Columbia U. PHO a, c, d -R, Ci

---

5 Arr CC 70-961561

al-'Allāf, 'Abd al-Karīm

قيان بغداد فى العصر العباسى والعثماني والأخير ، تأليف عبد الكريم العلاف • قدم له على الخاقاني • [ الطبعة 1] بغداد ، مطبعة دار التضامن ، 1969.

264 p. illus., ports. 24 cm.

0.500 (منشورات دار البيان ، 49)

(Continued on next card)

# المقدّمة

بقلم : علي الخاقاني

الغناء من اهم عناصر الحياة ، امتد عمره بامتداد حياة الانسان ، وتطور بل تنوع بتنوع ذهنية الفرد البشري ، لذا تراه يعيش مع الانسان الذي يحاول فهم الحياة فهما مبنيا على الطريقة العلمية والنفسية لانه يشارك في تصويرهما ، والحديث عن الغناء لا يمكن ان يستوعب إلا اذا استوعب تأريخ الانسانية ، لذا تراه فارضا وجوده ما دامت النفس موجودة لها استقلالها عن البدن والروح .

وقد بحث علماء النفس كثيراً من عوالمها وعواملها ، وما تقوم به من تصرفات وراء التصور ، حيث تفاجيء صاحبها بمفاجآت قد لا يتحمل وقعها والعمل بها لاختلافها مع تصرفات العقل واحكامه ومقرراته .

ولكل انسان نفس تسيطر عليه فاذا ما انفعلت لا يستطيع التغلب على انفعالها إلا بأسباب أهمها الغناء لانه يأخذ بها الى عالم واسع من الترفيه والارتياح ، ويهديء من العصب الذي تأثر بانفعال النفس ، لذا ترى الغناء هو العنصر الاول لمجالس الانس والغبطة ، حيث يضفي على المجلس جواً رقيقا ، وعالما مبهجا يصرف الاذهان المتعبة ، والارواح المجهدة ، الى استقرار وهدوء محسوسين .

ولقد قال فريق من الفقهاء بتحريم الغناء دون ان يوضح الدليل العلمي، مع العلم بأنه لم يستطع معرفته فعرفه بقوله : هو ترجيع الصوت وترديده ، وهذا فيما اعتقده ليس تعريفا له ، بل وحتى اذا كان كذلك فما هي الحرمة فيه ؟. لكن البعض الآخر ممن مارس النظر والدليل ، قال : الغناء هو كل شيء حسن يشتاقه السمع ويرتاح له ، فاذا ما تلي القرآن تلاوة صحيحة ذات وقفات وذبذبات ، كان أشهى للسمع من غيرها من الطرق التي لا تشتمل على هذا الوصف ، مع العلم هو كلام الله عز وجل ، ولكن الذي يتصف بالحرمة هو ما أخرج الانسان عن طوره وحشمته ، ووضعه في وضع يؤاخذه عليه

الناس ، ومما ورد من الاخبار المحترمة أن رجلا سأل أحد الأئمة بقوله : ان زوجتي تغنيني ، فقال : لا بأس إنها زوجتك • وعلى هذا ذهب بعض العلماء الى حلية الغناء • ومن نظر في سر التشريع وجد الغناء حلالا دائما ، حراما عرضا ، كما قال بعض مراجع الدين عن أهل الكتاب : أنهم طاهرون ذاتا ، نجسون عرضا •

ومن ذلك ما ذكره الاخ الاستاذ خضر الطائي في مقدمته لديوان العرجي نقلا عن كتاب الأغاني ج١ ص ١٥٧ فقال : ان ابن ميزن المغني مر بحلقة كان ابن جريج يحدث فيها وعنده جماعة من أهل العراق فيهم الرجل الصالح عبدالله بن المبارك ، فدعاه ابن جريج وطلب أن يسمعه شيئا من الغناء ، فقال له : إختر ثلاثة اصوات لا ازيدك عليها ، فقال : اريد الصوت الذي غناه ابن سريج على جمرة العقبة ثاني أيام (منى) فقطع الطريق حتى تكسرت المحامل ، فغناه قول العرجي :

| | |
|---|---|
| عوجي علي فسلمي جبر | فيم الصدود وانتم سفر |
| ما نلتقي إلا ثلاث منى | حتى يفرق بيننا النفر |
| الحول بعد الشهر يتبعه | ما الدهر الا الحول والشهر |

فاستعاده ابن جريج استحسانا ، فقال : على أن يكون من الثلاثة •• فقال : نعم ••! فأعاده ، ثم استعاده ثالثة على ذلك الشرط ، فأعاده •• ثم قال لاصحابه : لعلكم انكرتم ما فعلت ••؟! قالوا : إنا لننكره عندنا بالعراق ونكرهه ، قال : فما تقولون في الرجز ؟ ( يعني الحداء ) قالوا : لا بأس به عندنا •• قال : فما الفرق بينه وبين الغناء ؟!

وقد كتب العلامة الشيخ عبدالغني النابلسي رسالة في حلية سماع الغناء والآلات اسماه ( إيضاح الدلالات ) فرغ من تأليفه عام ١٠٨٨هـ •وقد طبع على الحجر في القاهرة منذ مدة طويلة •

وقد ذكر النويري في نهاية الارب فصلا طويلا استغرق اكثر من ثلثمائة صفحة ، مائة منها عن اباحة الغناء وتحريمه ، نقل اكثره عن الغزالي في الاحياء ، وتحدث في الباقي عن المغنيات والمغنين • وقد ذكر ابن عبد ربه صاحب ( العقد الفريد ) في كتاب الياقوته الثانية في علم الالحان واصنافها • أما

العمري فقد افرد في كتابه ( مسالك الابصار ) مجلداً كاملا وبعض مجلد عن الغناء والمغنين والقيان وهما ما زالا مخطوطين .

وفي عصرنا كتب فريق من الادباء منهم الاستاذ فايد العمروسي كتاب ( الجواري والمغنيات ) والدكتور جبور عبدالنور كتاب ( الجواري ) ، والدكتور ناصرالدين الاسد كتاب ( القيان والغناء في العصر الجاهلي ) وكلهم بذلوا الجهد الذي يستحق الاكبار .

أما الكتب المؤلفة في القيان فهي كثيرة حسب ما جاء في الفهارس القديمة ، كفهرست ابن النديم ، فقد ذكر فيه اسماء منها ، كتابان لاسحاق بن ابراهيم الموصلي وهما كتاب القيان ، وكتاب قيان الحجاز ، وليونس الكاتب كتاب القيان ، وللحسن بن موسى النصيبي كتاب الاغاني على حروف المعجم ، ذكر فيه اسماء المغنين والمغنيات في الجاهلية والاسلام ، وكتابان لابي أيوب المديني احدهما عن قيان الحجاز عامة ، والآخر عن قيان مكة خاصة ، ولابي الفرج كتاب في أخبار القيان غير كتاب الاغاني ، ولابن الطحان مخطوط في الموسيقى فيه فصل عن أسماء القيان في العصر الجاهلي . أما الجاحظ فقد ألف رسالته ( الجواري والقيان ) .

والغناء لا يتوفر ولا يتطور إلا اذا ابتهجت النفوس واستقرت ، وعلى ذلك سار المثل ( اذا طابت النفوس غنّت ) لذا ترى النفوس تشتاقه وتحتاج اليه ، والسمع ينقاد له ويؤسر .

وهذا الفن تذوقه رجال ونساء فبرعوا فيه ، وامتلكوا أرواح الناس بما اوتوا من قابليات غنائية عجيبة ، لاقت من التشجيع والاحترام والاكبار ما جعلها تستعلي على الناس بالغنج والدلال ، شأن أصحاب الفنون الاخرى . واخبار المغنين والقيان ونوادرهم فقد مرت عليك في اسماء الكتب التي صورت نكاتهم ورقة اصواتهم .

أما هذا الكتاب ( قيان بغداد ) فقد امتاز عن غيره من الكتب لتدوينه **أخبار القيان التي عاشت في العصر العثماني والدور الاخير حيث لم يتناول الحديث عنها مؤلف من قبل ، وكانت المكتبة العربية بحاجة الى من يسد هذا الفراغ فقد بحث ( العلاف ) هذا الجانب بحثا مبسطا لطيفا ، يكشف صفحة**

مطوية لو لم يتداركها لذهبت مع الزمن، ولبقيت اخبار القيان في بغداد ناقصة لا يقوى على اكمالها أحد غيره .

فالاستاذ العلاف رائد كبير من رواد الباحثين عن التراث الشعبي والفلكلور العراقي ، سجل كثيراً من الصور البغدادية في شتى مناحي الحياة الاجتماعية ، من عادات وتقاليد ، ومجالس انس وطرب ، واخبار المغنين والمغنيات وتراجمهم ، ووصف انواع الغناء وعرفه تعريفا واضحا ، كما عالج المقام العراقي بجميع انواعه وفنونه ، وضبط قواعده في كتابه ( الطرب عند العرب ) ولم يتخل عن البحث في مختلف الفنون الشعبية وتعريفها في حلقاته العشرين ( الاغاني والمغنيات في ملاهي بغداد من عام ١٩١٠ ــ ١٩٦٠م ) ولقد قام بكشف كثير من الحياة الشعبية ببغداد منذ اكثر من قرن .

فالعلاف تحفة رائعة ، وكنز ثمين ، ضم مجموعة من الصور والمعلومات التي يتعذر الوقوف عليها عن غير طريقه وأدائه ، كما تتعذر معرفة الدوافع والاسباب التي أثرت في تطوير الغناء ، فلقد نظم مئات القصائد والمقاطيع لمجموعة كبيرة من القيان في الدور الاخير ، وأقام من شأن الغناء العراقي ما جعله يحتل الصدارة بين الاغاني الشعبية في البلدان العربية والشرقية ، حيث تهافت أصحاب الشركات لتسجيل المئات من الاسطوانات للاغنيات التي نظمها مما جعل ( المكتبة الصوتية ) في دار الاذاعة العراقية تزخر اليوم بهذه الكنوز الصوتية الاخاذة المملوءة حيوية ورقة والتي يشتاقها السمع في كل لحظة .

لقد اندفعت لنشر هذا الكتاب ــ في الوقت الذي تكدس لدي عدد كبير من كتبي وموسوعاتي ــ مساهمة مني بمواصلة احياء التراث العربي والشعبي الذي أصبح مهما في نظر الباحثين وعشاق التأريخ، وقد جاء الكتاب بلون مبهج لطيف أوضح جانبا من تأريخ بغداد المشرق في أدواره الثلاثة ، وباسطا ادبا ترفيهيا يلتذ قارؤه بما يرى من تعريفات وتراجم لكل قينة شاركت في الترفيه عن النفوس المتعبة والحزينة في ايامها .

والعلاف في أثره هذا اضاف الى مؤلفاته التأريخية والادبية أثراً قيما ثمينا في موضوعه ومحتواه .

علي الخاقاني

## الفصل الأول

# بغـــداد في العصر الذهبي

العصر العباسي الذهبي أزهى عصور المدنية الاسلامية العربية ، فقد نال من الرفعة مقاماً لم ينله عصر من العصور الماضية ، وكانت بغداد عروس الدنيا وبهجتها ، شيدت فيها القصور الفخمة ، والمبانى الشاهقة ، بشـــكل هندسي رائع ، وغرست فيها البساتين الوارفة والحدائق اليانعـــة ، وامتلأت بغداد بالساحات الواسعة ، منها اساحة الكبرى امام قصر الخليفة ، فيهـا تقام الأستعراضات للجيش ، وتعد فيها المباراة الرياضية ، والعاب الفروسية، كالرساية وسباق الخيل والمصارعة ، ووضعت بطرقاتها المصابيح المنيرة ليـلاً وازدحمت بالمساجد الكبيرة تعلوها المآذن الشامخة ، وازدانت جدرانهـــا بالزخارف البديعة،وكتابة الآيات القرآنية ، وفرشت بالفراش الوثير ،وغصت بغداد بالمدارس والمعاهد العلمية العالية ، واقيمت بها دور للشفاء وللعجزة ، وقد خصها المشرفون عليها بالعناية التامة ، كما انعم الله تعالى على هذه المدينة بنعمة المدنية الأسلامية ، فترى رغد عيشها ، ولذة طعامها ، وعذوبة مائهـــا ، وطيب هوائها ، وكثـــرة مواردها ومصادرها ، بمـــا من الله عليها من وفـــرة ذخائرها ، وقد امتلأت قصورها باللؤلؤ المنظوم ، في نحور الجوارى والقيان، والذهب الوهاج في مناطق الغلمان،وترى مجالس أنسها تزخر بالألحان،ومجامع لهوها مكتضة بالأدباء والندماء والخلفاء ، وازدحام الشعراء عـلى ابـواب الخلفاء والأمراء ، وانطلاق السنتهم بوصف الخلافة وهيبتها في بغداد وعزتها ووصف قيانها ، وما حباها الله تعالى من جمال الخلقة وحسن التكوين ، وذكر المعازف والاعواد ، والكؤوس والدنان ، والوان الطعام والشراب ، واصناف الرياحين والاثمار ، وترى الرياض الخضراء ، والطيور المحلقة في الاجـواء ، والبحيرات واسماكها ، ودجلة وشواطئها وبساتينها ، وباسقات نخيلها وبين هذا

وذاك ، ترى ادبا رفيعا وحبا عذريا رمجونا مستظرفا وحوارا مستملحا ولعبا بريئـــا .

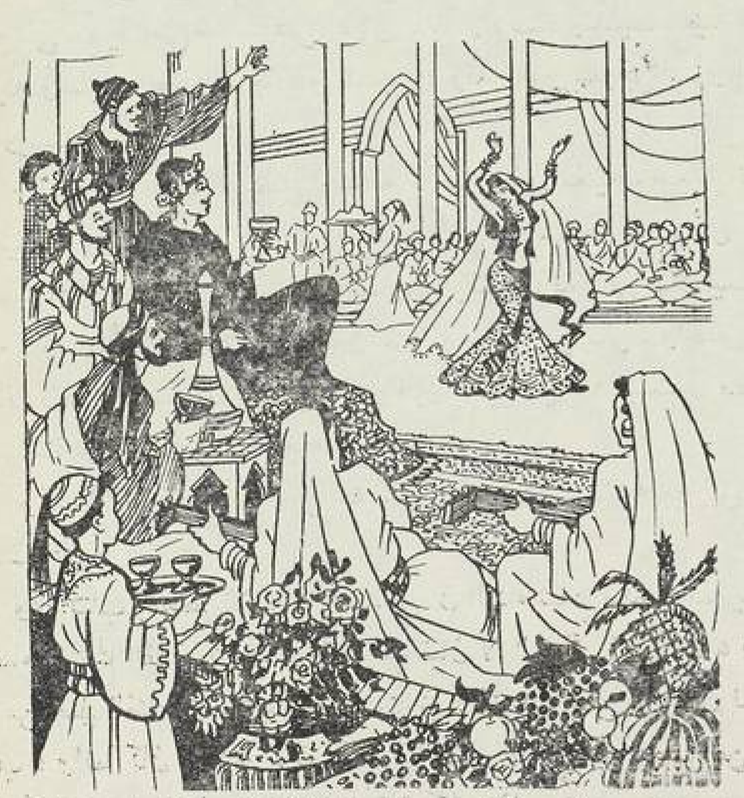
اما الخلفاء فقد كانت تتسامى بهم الرفعة والسؤدد ، ويحيط بهم العـدل والانصاف والرعاية والمساواة . ولهم المقم الاسمى والكلمة العليا ، والسيادة التامة على العالم الاسلامي ، شرقا وغربا يأتمر الناس بأمرهم لايرد لهم قــول، ولا يعصى لهم امر ، وللخليفة السلطتين الدينية والمدنيــة وقد نالت الدولـة العباسية من مظاهر الابهة مادعاها ان تتيه عجبا وافتخارا ،وكان الخليفة المرجع الوحيد في كل القضايا سياسية كانت او اجتماعية ، وهو مصدر الامر والنهـى في كـل الامـور .

واذا خرج الخليفة الى الصيد والنزهة في ضواحي بغداد الجميلة تتقدمه كوكبة من الفرسان المدججة بالسلاح في شكل يدع الهيبة في القلوب ويستلفت الانظـــار .

وكان الرشيد والمأمون دائما يخرجان للصلاة يوم الجمعة بأعظم مظاهر الخلافة يتقدم الموكب فرقة من المشاة تحمل الاعلام الخفاقة تتقدسهم فرقـة الموسيقى بلباس خاص بهم تصدح بالانغام الشجية ، ثم يظهر خلف الموسيقى رجال أشداء متنكبين أقواسهم ، مجردين سيوفهم ، ويأتي جماعة الـوزراء والامراء وارباب الدولة على خيول مطهمة ، ويقبل الخليفة يرتدى طيلسانـا اسود هو شعار الدولة العباسية مستطيا جواداً من خيرة الجياد العربية ،ويتبعه رجال الدولة ومن خلفهم الجنود المنوطة بهم الحراسة . وكانت تتجلى فـى المقابلات الرسمية والاحتفالات والاعياد الرسمية والشعبية . واصبحـت الحالة الاجتماعية انذاك اجمل مايتصوره الانسان ، حتى تجد المرأة المثقفـة تشترك مع الرجل فى كل المناسبات . واشتهرت كثيرات بالثقافة العلميـة والعقل الراجح وبمباراتهن للشعراء والادباء في شتى المجالات . لهذا اكتظت المجتمعات وازدهرت الندوات ، وظهرت المرأة بأحلى مظاهرها العلمية والادبية.

والحق ان الدولة العباسية دولة العلم والثقافة والارشـاد والتدويـن والترجمة ، دولة النصر والفتوح ، لذلك نبغ فى كل علم وفن رجال اشتهروا

بالمناظرات الدينية ، والابحاث العلمية ، والمساجلات الكلامية ، وقد كثرت في بغداد دور الكتب العلمية والادبية وغيرها ، ونشطت الصناعة وفي ضمنها صناعة الكتابة ، وانتشرت المؤلفات العلمية والادبية في جميع البلاد مما دعا الناس يتهافتون على شراء الكتب بارخص الاثمان • وظهر عدد كبير من علماء الدين والطب والتحليل والصيدلة والبيطرة وغيرها • وهكذا تم لخلفائها السيطرة على العالم شرقا وغربا •



صورة رمزية لمجلس فيه القيان في العصر العباسي

# اصـــل القيـــان

وضع العرب المشغوفون بالغناء نسبا خاصا فنسبوا الاغنية الاولى ليوبال بن قايين وكانت مرثاة لهابيل ، ومن المعلوم ان أول من رثاه هو ابوه آدم عليه السلام ، وحدّث المؤرخ ابن العبري السوري فقال :

ان اول من غنى على الالات الغنائية هن بنات قايين ، لهذا اطلق اسم القينة على المغنية التي تعزف على احدى تلك الالات ، وسميت القينة احيانا الكرينة وسميت ايضا الداجنة أو المدجنة ، وقد مدح بشر بن عمرو القيان المتجاوبات .

والقينة هي الامة البيضاء ، مغنية كانت او غير مغنية ، هكذا خطه ابن السكيت . وتظهر القيان في القصة القديمة عن هلاك عاد كما يروى الطبري اوالمسعودي : ان عادا لما اشتد القحط بهم ارسلوا وفدا الى مكة ليستمطر الآلهه ، واستقبل الوفد في مكة امير العمالقة معاوية بن بكر ، واحتفل بالوفد احتفالا لائقا وخاصة بغناء قينتيه المعروفتين بالجرادتين[1] فيستدل من هذا انهما كانتا اول من غنى في الجاهلية بمكة .

وكذلك جرادتا عبدالله بن جدعان ، وقد وهبهما لامية بن ابى الصلت الشاعر .

وفي كتاب (مجمع الامثال) للميداني ان الغناء شاع بعدهن مما يدل على ان غناء اولئك القيان كان باكورة غناء القيان لا الحرائر العربيات ، وانهن اول من جعل الغناء فنا مرتزقا لأن الارتزاق بالغناء لم يكن من شأن نساء العرب ، وانما كان صناعة موقوفة على القيان اللواتي كن يجلبن من اطراف البلاد كبلاد فارس والروم وغيرها ، فلا يكاد يخلو منهن بيت من بيوت الاشراف والاغنياء .

---

(١) راجع كتابي الطرب عند العرب الطبعة الثانية ص ٤

وكان احتراف الغناء محصورا بهن ، وكن يلقين أغانيهن تارة بلغات بلدانهن واخرى بالعربية ، وقد حذا حذوهن بعض القيان العربيات ، وحدث حسان بن ثابت الانصاري فقال :

رأيت عشر قيان ، خمس روميات يغنين بالرومية ، وخمس يغنين غناء اهل الحيرة . ووجدت قيانا منبثات في الحانات لتسلية الرواد وانهن جميعهن غير عربيات بل فارسيات واغريقيات من سوريا يغنين قصائدعربية بلغة أعجمية، وان المرء واثق ان العرب لايرغبون لاستماع الشعر العربى من فم غير عربي لأن الفارسي والاغريقي مهما مارس التكلم باللغة العربية ، ومهما تفرس بالغناء بها لايستطيع ان يعطي قيمته الصوتية التى لاتنفصل عن الفن الشعرى خاصة عند الغناء . وفي بداية صدر الاسلام ظهرت بعض القيان التي كانت تمنح من اكاسرة الفرس وقياصرة الروم ورؤساء القبط على سبيل الهدايا ومن بينهن (سيرين) مولاة حسان بن ثابت وهي احدى الجاريتين اللتين اهداهما المقوقس في العام التاسع الهجرى الى النبي صلى‌الله عليه وسلم ، وقد وهب عليه الصلاة والسلام واحدة الى شاعره حسان بن ثابت،والثانية التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وجاء منها ولده ابراهيم .

وعن سيرين مولاة حسان اخذت عزة الميلاء الغناء وهى الاستاذة الاولى لمدرسة الغناء العربي ،

ولما تمكن الامويون من الخلافة ورسخت اقدامهم فيها واتسع سلطانهم أمعن الناس في اللذائذ واقتنوا القيان واسرف فيهن بعضهم واشتهر منهم يزيد ابن عبدالملك صاحب القينة ( حبابة ) .

ولا نريد ان نتوغل في الحديث عن قيان العهد الاموى وماهن عليه من الابهة والزينة والترف ، وانما رائدنا وهدفنا هو :

( قيان بغداد ) في عهد الدولة العباسية وكيف كان الخلفاء يقضون أوقاتهم معهن ويبذلون الاموال الطائلة بلا روية ولا إمعان لهن .

# ازدهار خلافة العباسيين

لما استقرت الدولة العباسية في بغداد، ورسخ أساسها ، وأزدهر مجدها، وقوى سلطانها ، وتحول مجال الانس والطرب من دمشق عاصمة الامويين الى بغداد مركز خلافة العباسيين ، وكان اللهو واحياء الحفلات التى تزخر بالقيان محدودة في قصرى السفاح (١) والمنصور لانهما رجلا جد وعمل ،وكان من ندماء السفاح خالد بن صفوان . ومما نقل من اخباره الطريفة انه دخل على السفاح فوجده جالسا وحده ، فجلس ثم قال : ياأمير المؤمنين انى فكرت في أمرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك امرأة واحدة فان مرضت مرضت أنت، وان غابت غبت انت ، وقد حرمت يا امير المؤمنين نفسك التلذذ بالجواري الظريفات ، والتمتع بما تشتهي منهن . فأن منهن الطويلة التي تشتهى لجسمها فهي الغيداء ، وان منهن البضة البيضاء ، التى تحب لروعتها ، والسمراء اللعساء ، والصفراء العجزاء ، الذهبية من مولدات المدينة والطائف واليمامة، ذوات الالسن العذبة ، والجواب الحاضر تفتتن بمحادثتها وتلتذ بخلوتها ، ومنهن المولدات البصريات والكوفيات ، ذوات القدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزرفنة ، والعيون المكحلة ، والثدي المحققة ، واين أنت ياامير المؤمنين من بنات الاحرار ، والنظر الى ماعندهن من حسن الحديث ، ومنهن لو رأيت حسن زيهن وزينتهن ، لرأيت شيئاً حسنا وقد اخذ خالد يتمطق بلسانه ويجيد وصف الجواري ويطنب في محاسنهن بحلاوة لفظه ، فشوق السفاح اليهن ، ولما فرغ من كلامه قال له السفاح : ويحك ياخالد ما سلك مسامعي احسن من هذا فاعد علي كلامك،فلقد وقع مني موقعا ،فاعاد عليه خالد الكلام أحسن مما ابتدأه ، ثم استأذن في الانصراف فانصرف وبقى السفاح

(١) هو عبدالله السفاح تولى الخلافة سنة ١٣٢هـ ـ ٧٥٠م الى سنة ١٣٦هـ ـ ٧٥٤م

مفكرا فيما سمع منه مغموما فدخلت عليه امرأته ام سلمه بنت يعقوب بن سلمه ابن عبدالله بن الوليد بن المغيرة المخزومي من ذرية عبدالله المخزومي اخي خالد ابن الوليـــــد .

فلما رأته مطرقا مهموما قالت له : اني استغرب حالك يا امير المؤمنين فهل حدث ما تكرهه او أتاك خبر فارتعت له ؟ قال : لم يكن من ذلك شيء ، قالت: فما قصتك ؟ فجعل ينزوي عنها ويتفادي الجواب ، فلم تزل تستخبره حتـــى اخبرها بمقالة خالد بن صفوان قالت فما قلت لابن الفاعلة ؟ فقال السـفاح : ياسبحان الله ينصحني وتشتمينه فخرجت من عنده مغضبة، وارسلت الى خالد جماعة من الجند في أيديهم عصي غليظة وأمرتهم ان لايتركوا منه عضوا صحيحا، وحكى خالد عن نفسه قال : انصرفت من مجلس الخليفة السفاح الى منزلي وانا مسرور بما رأيت منه ، واعجابه بما ألقيت اليه ، ولم اشك في انه سيبعث الي بصلة ، فلم البث طويلا حتى رأيت جماعة من الجند وانا قاعد على بـاب داري ، فلما رأيتهم قد اقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة ثم وقفوا على فسألوا عني فقلت ها انا ذا خالد بن صفوان فسبق الي واحد منهم واهوى علي بخشبة فوثبت ودخلت منزلي واغلقت على نفسي الباب ومكثت اياما ثلاثة على تلك الحالة لا اخرج من منزلي ،فوقع في نفسي ان أم سلمه هي التي سلطت هؤلاء علي وطلبني الخليفة طلبا شديدا فلم أشعر الا بقوم هجموا علي وقالوا أجب امير المؤمنين : فايقنت بالموت وقلت انا لله وانا اليه راجعون ، فلم اردم شيخ أضيع من دمي ، فركبت الى دار الخليفة وليس علي لحم ودم من الخوف ، ولقيته منفردا ورأيت في المجلس بيتا عليه ستور رقيقة وسمعت حركة عنـد الستور ، وشعرت ان وراء الستور ام سلمة ومن تنقل اليها الحديث ، فقال السفاح : لم ارك منذ ثلاث ليال ؟ فقلت كنت عليلا يا امير المؤمنين فقـــال ويحك يا خالد انك وصفت لي في آخر دخله من أمر النساء والجواري ما لم يسلك مسامعي احسن منه ، فاعده علي قلت يا امير المؤمنين اعلمتـك ان العرب اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحداً ما تزوج من النساء أكثر من واحدة الا ضر وتنغص ، فقال ويحك لم يكن هذا من الحديث ، قلت يا امير

المؤمنين واخبرتك ان الثلاث من النساء كأثا في القدر يغلى عليهن ، فقـال السفاح برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عيه وسلم ان كنت سمعت هذا منك في حديثك ، فقلت وأخبرتك ان الاربع من النساء شر مجمـوع لصاحبهن يشيّبنه ، ويهمنه ويسقمنه ، قال والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا ، قلت : بلى والله فقال : السفاح ويلك تكذبني ، قلت وتريد ان تقتلني يا امير المؤمنين ، قال استمر في حديثك • قلـت : واخبرتك ان أبكار الجوارى كالرجال • قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت نعم : واخبرتك ان بني مخزوم رياحين قريش ، وانت عندك ريحانة من الرياحين وانت تطمع بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء، فسمعت من وراء الستر صوت قائلة تقول : صدقت والله يا عماه وبـررت بهـذا حديث امير المؤمنـين ، ولكنـه بـدل وغيّر ونطـق عن لسانك فقال السفاح مالك قاتلك الله واخزاك ، فتركته وخرجت متسللا وقد ايقنت بالحياة وما شعرت الا برسل ام سلمة قد صاروا الـي ومعهـم عشرة الاف درهم وتخت ثياب وبرذون •

# القيان في بغـــداد

لبست بغداد في خلافة هارون الرشيد ثوبا جديدا وبدت كالعـروس لناظريها ، وانتشر اللهو وطفحت كؤوس الشراب ، وظهرت القيان بمظهـر يفوق حده ، حتى اصبحت معرضا فخما للقيان الحسان ، وناديا فسيحـا للشعراء والندماء ، وكان جعفر بن يحيى البرمكى كثير الشغف بالقيـان ، وقد اعطى اللذات قياده ، وجعل موسم القصف واللهو اعياده ، وكثر ذلـك منه ، واشتهر عنه ، وتدفقت القيان والجوارى من كل جانب ومكان ، حتى غدت بغداد تموج بهن ، وهذا وصف كل صنف منهن كما رواه ابن بطلان في رسالتـــه قـال :

**١ ـ ( المكيـات )**

خنثات عرفن بدقة المعصم والمفصل والعيون الناعسة ، واشتهرن بلون البياض المشرب بسمرة وشعورهن مجمدة :

**٢ ـ ( المدنيـــات )**

سمر الالوان ، معتدلات القوام ، اجتمعت فيهن حلاوة القول ونعومة الجسم ، وملاحة الدل وحسن الشكل ، والورع الدينى ،

**٣ ـ ( الطائفيـات )**

سمر مذهبات مجدولات ، ينفردن بدقة الخصور وحلاوة الثغـــور ، وطول الشعر وحسن القوام .

**٤ ـ ( المصريـــات )**

ذوات شرف رفيع ، ولطـف وقصف ، وميل الى الفكاهة والمجـون ، والنبـوغ في الغنـــاء .

٥ ـ ( الحبشيات )

الغالب عليهن نعومة الاجسام ولينها وضعفها ، لا يصلحن للغناء ولا الرقص ، رقاق لايوافقهن غير البلاد التي نشأن فيها .

٦ ـ ( السودانيات )

عرفن بالخصر النحيل ، والشعر الطويل والكفل الرجراج ، والصوت الرقيق .

٧ ـ ( الشاميات )

اجتمع فيهن معانى الحسن ، وبياض البشرة ، وعيونهن ذات حلاوة ، وقل ماتوجد فيهن السمراء الفاتنة .

٨ ـ ( التركيات )

عرفن بالبشرة البيضاء ،والعيون الصغيرة الجذابة ، وهن على حظ عظيم من النسك مع رقة الانوثة ، وجمال الوجه والعفة والحياء ، وهن كنوز الاولاد ومعادن النسل .

٩ ـ ( الفارسيات )

لهن فضيلة على كل النساء ، فأن الثيّب منهن تعود كالبكر .

١٠ ـ ( الروميات )

بيض شقر ، سباط الشعور ، زرق العيون ، وقامتهن هيفاء ، ذوات أدب وعبيد طاعة ، وموافقة وخدمة ووفاء وامانة .

١١ ـ ( الهنديات )

عرفن بحسن القوام ، وسمرة اللون ، ذوات جمال فتان مع صفرة وصفاء بشرة وطيب نكهة ، ولكن الشيخوخة تسرع اليهن .

١٢ ـ ( السنديـــات )

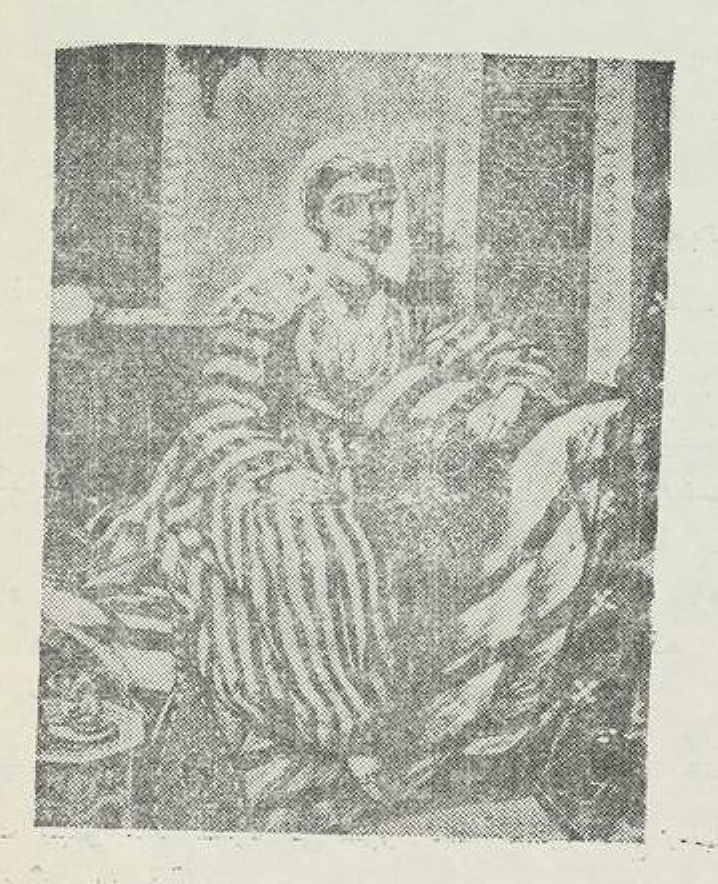
يتفردن بدقة الخصور ، وطول الشعور ، وحســن التثنى والتغنــج المعتـــاد •

١٣ ـ ( البربريات ) :

مطبوعات على الطاعة ، والغالب منهن سود وصفر ، ويصلحن للتوليد مع جـودة الجنس •

١٤ ـ ( الارمنيـــات )

مليحات الوانهن بيض محمرة ، ولحومهن مكتنزة نشيطات للخدمة •



صورة رمزية لأحدى القيان في العصر العباسي

# محاسن المرأة

اكثر الناس فى العهد الجاهلي والاسلامى مالوا الى اختيار البياض في المرأة .

فقد ذكر في كتاب ( النساء ) ان البياض يمازجه لونان يزيدانه حسنا وجمالا الحمرة والصفرة .

اما الحمرة فتعترى البياض من رقة اللون وصحة الدم ، وكانت اللواتي من هذا الضرب يدعين بالحسان الحمر لان اللون الابيض الشفاف يظهره الدم فيزيده حسنا وجمالا ،

وقالوا بأن الحسن احمر وفيه قال بشار بن برد لاحدى محبوباته :

واذا خرجت تقنعي ... بالحسن ان الحسن أحمر

واما الصفرة فتعترى النساء البيض ، لاستتارهن وملازمتهن الدار ، وكثرة التنعم والبذخ والتضمخ بالطيب ، ومن هذا شبهوا المرأة بالبيضة فقالوا بيضة مكنونة وبيضة خدر . وذهب بعضهم الى ان المرأة تكون بيضاء في الصباح ، وصفراء عند العشية لان المرأة الرقيقة البشرة ، الصافية اللون تتلون بلون الهواء عند المساء ، ويصفر لونها باصفرار الشمس ، ويزهو عند شروقها ، وهذا البياض المشرب بالصفرة شبهوه بالفضة مسها الذهب وفيه قال ذوالرمة .

بيضاء في دعج صفراء في غنج ... كأنها فضة قد مسها ذهب

وقد شبهوا هذه الصفرة التى تعترى النساء بصفرة العاج وحب الآس وقالوا امرأة حيلاسية اللون ،

والى جانب من احب البياض في المرأة كثيرون ممن احبـوا السمراوات وتغزلوا بهن ، وهذه امرأة تقول لرجل يريد ان يتزوج خذها رمكاء جسيمة، او بيضاء وسيمة ، والرمكاء هي السمراء •

وأوصى غيلان بن سلمه بنيه وقال لهم : عليكم بكل رمكاء ركينـــة وبيضـــاء رزينـــة •

وقد وجد في السمرة معاني لاتوجد فى البيضاء ، وبعض السمراوات يجذبن القلب اسرع مما يجذبنه البيض •

اما السواد فلم يكن لونا مستحبا وان كنا نجد بعضهم وقد أشاد ببعض النســـاء السود فقال :

اشبهك المسك واشبهتـــه ... قائمة مـــن لونه قاعـــده
لاشك اذ لونكمـــا واحـــد ... انكما مـــن طينـــة واحـــده

وقال بشار بن برد في جارية له وقـد كانت ســـوداء :

وغادة ســـوداء براقـــــة ... كـــالماء في طيـــب وفي ليـــــن
كأنها صيغت لمـــــن نالهـــا ... من عنبـــر بالمســـك معجون

وهذا ابو حازم المدني يقول :

ومن بك معجبا بينات كسرى ... فأنـــى معجب بينات حـــام

وقال آخر وقد غالى كثيراً حين قال :

أحب لحبهـــا السودان حتى ... احب لحبهـــا ســـود الكلاب

وقال ابراهيم بن سبابة في جاريـــة ســـوداء :

يكون الخال فى وجه قبيـــح ... فيكســـوه الملاحة والجمـــالا
فكيف يلام معشوق على من ... يراها كلهـــا فى العين خـــالا

وقد وصفهن العباس بن الاحنف، والشريف الرضي ، وابن الرومي، وغيرهم ، وقالوا في تفضيل لونهن انه أشبه بلون الشباب أي سواد الشعر ، والمسك لطيب نكهته .

وقد شبهوا بشرة المرأة بالحرير لنعومته ، ويوءثر فيها كل شيء ،ومثال ذلك ماروى : ان سابور بن ازدشير تزوج امرأة عربية اشتهرت بحسنها وجمالها وخاصة بلين جسمها وقد أعرس بها على فراش من خز الصين ،محشو بالقز الناعم ، مانامت الملوك على الين منه ، ولم تزل تلك الليلة تتقلب على فراشها لاتنام ،

فلما التمسوا على ماكان يقلقها وجدوا ورقة آس كانت على الفراش لصقت على جسمها فأثرت فيه للين بشرتها ! ،

وما اظن هذه المبالغة الا اسطورة من اساطير الشعراء فلقد قال بعضهم:

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يدمي بنانه

## اوصـــاف القيـــان

اشتهر في العصر العباسي القيان الخماسيات والسداسيات ، اللــواتي طولهن خمسة اشبار آو ستة اشبار • ولكننا لاندري بالضبط ماهو طـول الشبر عندهم ؟ والشبر المعروف هو مابـين طـرفي الخنـصر والابهــام بالتفريج المعتــاد •

والقينة المفضلة هى الطويلة ، وقد قيل لايفوتنكم الطول والبيـاض فهما عنـوان الجمـال •

**١ ـ ( الطول )**

شبه الشعراء القد الممشوق بقضيب البان والخيزران ، وبالرمح ، والقينة المجدولة املأ لعين وآخذ للقلب •

وفي العصر العباسى كثيرون مالوا الى القيان المعتدلات فلا طول ولا قصر ، وفيه وصف ابو تمام امرأة في حماسته فقال :

محملّة باللحـم مـن دون تربها      تطـول قصارا والطوال تطولها

اي انها ممتلئة باللحم معتدلة القوام •

وشبه البهاء زهير اعتدال قد المرأة باعتدال موسم الربيع فقال :

حكت فصل الربيع بحسن قـد      تساوى الليـل فيـه والنهـار

واما القصر فكان عيبا كبيرا ، وقالوا شر القيان من حيث الجمــال القصيرات القــامة •

**٢ ـ ( الشعـر )**

اهتم الناس به واحبوه في القينة ، وكانوا يرغبون في الشعر الكثيـف الناعم ، الذى يتدلى الى ماتحت ردف القينة غدائر وضفائر • ولهذا اهتمت القيان بتصفيف الشعر على اشكال مختلفة ،

اما حرائر العباسيين فقد بقين يرسلن شعورهن بشكل ضفائر وذوائب وراء ظهورهن ويجعلنها تتدلى على اكتافهن ، وفي مقدمتهن العباسة اخت الرشيد ، ويطيبن شعورهن بالمسك والعنبر لتزكوا رائحته •، وكذلك القيان

كن يضمخن شعورهن بالطيب ، وكانت عريب جارية الخليفة المأمون تغلف شعرها بستين مثقالا من المسك والعنبر وتغسله كل يوم جمعة •

وكانت الجواري يأخذن غسالة رأسها ويجعلنها في القوارير يتطيبن بها ، وعندما احب الناس الغلمان في العصر الذهبى قصت القيان شعورهن تشبها بالغلمان وتعداهن ذلك الى الحرائر في قصور الخلفاء والامراء والقواد ، وقد امر الخليفة المتوكل زوجته ريطة بنت العباس بن على وهى قريشية ان تقص شعرها اقتداءا بمن قصت شعرها من الحرائر فأبت عليه ذلك فهددها بالطلاق ان لم تفعل فاختارت الفرقة على اتباع هذه الاساليب[1]

وكانوا يحبون الشعر الاسود الفاحم الذى يظهر بياض الوجه الابيض•

اما الشعر الجعد فكان غير مرغوب فيه ، والشعر الفاحم والغدائر والضفائر والذوائب ورد ذكرها عند كثير من الشعراء كالمتنبي وابن الرومى وغيرهما ،

٣ ـ ( **الجبهة والجبين** )

الجبهة مكان السجود والجبينان مكتنفان لها من كل جانب جبين وقد يوجد اناس لايفرقون بين الجبهة والجبين ،وكانوا يحبون ان تكون الجبهة مسترسلة رقيقة البشرة ، لاغضون فيها فالغضون عيب كبير فيها ، ويجب ان تكون متسعة من غير افراط والا صارت عيبا مشينا •

وكانت علية بنت المهدى اخت الرشيد ذات جبهة متسعة اتساعا مفرطا فاخترعت العصابة المكللة بالجواهر والدرر تضعها على جبينها لتخفى عيبها فزادتها العصابة حسنا وجمالا •

ووصف الجبين بانه صلت أي واضح اغر • واحبّوا زينة الجباه بالطرر والكلة من الشعر تترك تائهة على الجبين ،

وفي مقامات الحريري ( لا والذي زين الجباه بالطرر ، والعيون بالحور ) وكذلك السوالف وهى خصلة من الشعر ترسلها القينة بين عينيها واذنيها تجعل الصدغ معقربا •

---

(١) المحاسن والاضداد ص ٢ ٢٨

٤ ـ ( الحواجب )

ينبغي ان يكون الحاجبان أزجين دقيقين يمتدان الى موءخر العين مستقيمين كأنهما خطا بقلم ، واذا غلظ شعرهما وكثف فهو عيب واضح وقد يجعلان متقوسين على العينين كالنون ، وفي الحاجبين قال مسلم بن الوليد الملقب ( بصريع الغواني ) :

نبارز أبطال الوغى ونبيدهم ويقتلنا فى السلم لحظ الكواعب
وليست سهام الحب تفني نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب

وما احسن قول الشاعر حيث يقول :

حواجبنا تقضى الحوائج بيننا ونحن سكوت والهوى يتكلم

وينبغي ان يحتفظ بدقتهما وعدم كثافة الشعر فيهما ،

واما مابين الحاجبين فلابد ان يكون نقيا من الشعر وهى البلج ، ومن العيب في جمال القينة ان يتصلاحا جباها • واتصال الحاجبين يسمى القرن • وكانت القيان يخضبن حواجبهن بالاسود والاحمر حسب لون بشرتهن ،

٥ ـ ( العيون )

اتخذت العيون فى جمال القيان مكانا ذا شان ، ومنسوب اليها السحر والقتل لروعة جمالها وفنونها فهي التى تأسر ، وهى القلب النابض للحب ، وهي التى تفعل في القلب فعل الخمر ويجب ان تكون في العيون اربعة اشياء

١ ـ ان تكون كحلاء اي سوداء الحدقة من غير كحل والنساء اتخذن الكحل لتكون عيونهن سوداء •

٢ ـ ان تكون حوراء أي شديدة السواد والبياض ، كعيون البقر والظباء ، والحور في القينة من اعظم آيات جمالها وفتنتها ، وفي العيون قال جرير :

ان العيون التى في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذالب حتى لاحراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

٣ ـ أن تكون واسعة وهي النجلاء وعيناء ، واما صغر العينين فهو عيب كبير •

٤ ـ ان تكون أهدابها طويلة فهي وطفاء لأن الوطف يزيد العيون روعة وجمالاً ، والى جانب ذلك يجب ان تكون العين فاترة ذابلة ، ومن هنا جاء وصف العين بالمرض والسقم فقالوا : عين مرضى ونظرات سقيمة وقال الشاعر:

مرضت سلوتي وصح غرامي ... بلحاظ هى المراض الصحاح

وكذلك وصفت العيون بالنرجس لفتورة ذبولها وفيها قال ابن المعتز :

وسنان قد طرق النعاس جفونه ... فحكى بمقلته عيون النرجس

وقال ابن المعدل :

ونرجسة مثل عين الفتاة ... الى وجه عاشقها رانية

والى جانب سواد العين نجد منها الشهل ، وهو ان يكون سوادها مائلاً لحمرة ، وبياضها غير ناصع .

اما خضرة العيون وزرقتها فهي لا تكون الا عند الشقراوات على الأغلب ، والظاهر ان العيون الزرق ليست من خصائص الجمال العربي الفتان، بل هي من الجمال الدخيل او المطعم .

وتفنن الشعراء في وصف أثر العيون في القلوب . فقالوا : ساحرات النظرات ، ترسل السهام الى القلوب . ومن السهام يكون الحب وفيها قال ابن نباته :

عيون من السحر المبين تبين ... لها عند تحريك الجفون سكون
اذا صادفت قلبا خليامن الهوى ... تقول له كن مغرما فيكون

وقال ابو الأسود الدؤلي في جارية حولاء اعجبته فاشتراها :

يعيبونها عندى ولا عيب عندها ... سوى ان فى العينين بعض التأخر
فانيك في العينين سوء فأنها ... مهفهفة الأعلى رداح المؤخر

وقد عدّوا في عيوب العيون الحول ولو كان قليلاً ، والحوص وهو ضيقها ، وكذلك غلظ الجفون .

ولهم اقوال كثيرة في الطرف الضاحك والعيون الضاحكة وفيها قيل ( الا ان حسن الطرف ما كان ضاحكا ) .

٦ ـ ( الانف )

واجمل انوف القيان ما كان به شمم واستواء في قصبة الأنف مع ارتفاع يسير في الأرنبة أي في طرفه ، وهذا هو الأنف الاشم ، وقد شبه بحد السيف واحبوا الأنف الذلف وهو القصير وأرنبته قصيرة مع استواء القصبة والمرأة ذلفاء وقد سميت بهذا الأسم جارية مشهورة من قيان الأمراء الامويين وهي التي قيل فيهـــا :

انمــا الذلفــاء ياقوتـــه        اخرجت من كيس دهقــان

وقد عيب الأنف الأقنى وهو المحدودب النازلة ارنبته . وعابوا الانف الضخم ، فالرجال يخفونه باللثام ، والنساء بالخمار ، ويحبون رائحة الأنــف والنفس الطيبة ، ويزيلون روائح الانف بالسعوط بدهن البنفسج والنيلوفر وغيرهما من الطيب .

٧ ـ ( الخدود )

الخد المستحب من القيانهو الخد الأسيل الطويل غير المنتفخ ،والوجنة من الخد ما ارتفع منها ، ولون الخد المفضل هو الأزهر والأحمر ولهـــذا شبهت حمرة الخد بشقائق النعمان وبالارجوان وبالتفاح والورد والخمــر والدم لحمرتها ، وقد اكثر الشعراء في هذه التشبيهات ، وعكس خالد بــن يزيد الكاتب هذا التشبيه فجعل الورد كالخدود فقال :

عشية حيانــى بــورد كأنــه        خدود اضيفت بعضهن الى بعض

ومن الأفضل ان تكون صفحة الخد صافية نقية ناعمة ، ومن العيــب الواضح ان يكون الشعر الى جوانبها ، وان يكون فيها كلف او نمش، ولكن بعض الشعراء عارض ذلك وقال حينما سطا داء الجدرى على وجه حبيبتــه فجعله أثرا من آثار الجمــال فقــال :

ايها العائبون وجهــا مليحــا        نثر الحسن فيــه نبذ خـدوش

اي افق زها بغير نجـــوم        وثيــاب زهــت بغير نقوش

والجمال والرقة في الخدود هما التى عناهما مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغوانى فقال :

ان ورد الخدود في الأعين النجل ... وما في الثغور من اقحوان
حيرتنى بين الغوانى صريعاً ... ولهذا ادعى صريع الغوانى

وقال ابن مطروح :

حمرة الخد جمرة القلب فيها ... علها تنطفي بخمرة فيه
نسبة بين خدّه وفؤادي ... فيه مما به وما فيه فيه

ولأبن نباتة فيها :

يا مليحاً خداه قبلة حسن ... سجدت نحوها وجوه الملاح
لك فرع وقامة ان يكونا ... راية فهي راية الأفراح

وقد أحسن الشيخ امين الجندي حين قال متضمنا :

بدا عرق في خدّه فسألته ... بماذا تندّى قال لي وهو يمسح
الم تر أن الورد خدى إناؤه ... وكلّ اناء بالذي فيه ينضح

٧ ـ ( الثغور والاسنان )

الثغور يجب ان تكون فلجاً ، وان يكون بين الثنايا تفريق ، فاذا وجد تفريق بين الأسنان ، فالثغر شتيت ، وشبه عنترة العبسي فأحسن التشبيه حين قال :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... منّى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

والثغر ينبغي ان يكون كالخاتم من رقته وصغره ، ولا بد ان يكون طيب النكهة بارد الريق لذيذ الطعم .

وشبه الريق بالخمر والعسل المصفى وماء الندى ، ويجب ان يضاف الى ذلك حلاوة الأبتسام الذي يفتر عن الثغر ، اما الأسنان فقد شبهت بترصيفها وبياضها وتلألئها باللؤلؤ والدر والبرد ، وهو شيء ينزل من السحاب يشبه الحصى ، ويسمى حب الغمام ، وحب المزن ، وزهيرات

الاقحوان ، يعالجونها بأدواء خاصة ، وتنبهت المرأة الى السواك المأخوذ من عود الأراك واستخدمته في تنظيف اسنانها واخراج ما علق بينها من بقايا الطعام ، ومن جراء ذلك ان فتن الشعراء بشجر الأراك الذي تأخذ منه الحبيبة سواكها فتمنوا ان يكونون واحدة منها للثم الشفاه التي تتقدم الأسنان ، وصاغوا الشعر فيها كقول بعضهم :

نقل الأراك بأن ريقة ثغره    من قهوة مزجت بماء الكوثر

وقول آخر :

اقول لمسواك الحبيب لك الهنا    بلثم فم ما ناله ثغر عاشق

واحسن من هذا قول رجل من الأعراب حينما رأى زوجته وفي يدها مسواك ، فقال لها ما هذا ؟ فقالت له : عود الأراك يطيب الفم ، ويجلى الاسنان ، فاخذه منها واخذ ينظره فقال :

هنيت يا عود الأراك بثغرها    ما خفت مني يا أراك أراكا
لو كان غيرك يا سواك كسرته    ما فاز فيها يا سواك سواكا

**٨ ـ ( الجيد )**

الجيد هو العنق ويستحب ان يكون في القينة منتصباً مشرفاً ، فيه طول مقبول وبه تكون القينة جيداء . وقد شبه العنق بجيد الريم لأنه طويل لاكل الطول ، وشبه ايضاً بأبريق الفضة وبرخام المرمر واملود من الرخام ، ومن العيب البين ان تكون القينة قصيرة العنق ، ويكون عنقها غليظاً او طويلاً مفرطاً ويحسن ان تحلي القيان أعناقهن بالقلائد ، وموضع القلادة في الجيد يسمى النحر ، وينبغي ان يكون النحر ممتلئاً باللحم فلا تبدو منه العروق والأعصاب ، وشبهت الحلي على النحر بنجوم الفجر الساطع . ويعطر النحر الى ما وراء الأذن بالطيب المعتاد الذي تتطيب به .

**٩ ـ ( الصدر والثدى )**

من المستحسن ان يكون صدر القينة عريضاً فأنه اجمل لها وأحلى ،وان تكون جنبات الصدر وهي الترائب مكسوة با للحم فلا تبدو العظام ،

والترائب موضع القلادة في الصدر • وقد شبه صدر القينة الحسناء بصدر التمثال ، او بقطعة من المرمر لصفائه ونعومته والقيان يعطرن الترائب والصدور بالطيب والزعفران وفي هذا الصدر العريض ينهد الثديان • وقد أحب الناس الثدى العظيم الصلب ومالوا الى اعتداله وبروزه وصلابته على ان لا ينكسر او ينثنى ، نافر الحلمة مستشرفاً دائماً وقيل فيه :

يملأ الكف لا يفضله　　　واذا اثنيته لا ينثني

وشبه الثدي بالرمانة لأستدارتها وصلابتها ، وبحق عاج لأبيضاضه ، وشبهت الحلمة بنقطة من العنبر ، وفيها قال الشاعر :

من العاج حقان قد ركبا　　　على صحن صدر من المرمر
خشين السقوط فاثبتنها　　　بمثل المسامير من عنبر

وكما وصفه بشار بن برد بقوله :

والثدي تحسبه وسنان او كسلاً　　　وقد تمايل ميلاً غير منكسر

وثدي القينة من أهم عناصر جمالها لأنه الهدف الأسمى للمحب •

**١٠ ـ ( الخصر )**

سر جمال القينة يكمن في خصرها لذلك لهج الشعراء بخصور النساء وذكروها في اشعارهم كقول بعضهم :

ظباء كاليعافير　　　كنوس في المقاصير
وادبرن بأعجاز　　　كأوساط الزنابير

فالخصر احسنه النحيل الدقيق ، يكاد لرقته ان ينقطع • وشبه الخصر النحيل بالسوار الذي تلبسه القينة لدقته • ونسب الى السقم والمرض وخافوا عليه ان ينقطع لثقل الأرداف التى يحملها الخصر فالنهود الصلبة المستشرفة تجذبه الى الأعلى والارداف المستديرة الثقيلة تجذبه الى الأسفل وهو بينهما حائر قلق •

١١ ـ ( البطن )

في العصر العباسي كان الناس صنفان ، صنف يميل الى البطن السمين ذي العكن ، والعكن هي طيّات اللحم التي تسببها السمنة ، وفيها قال بشار يصف قينة الخليفة المهدي :

ســترت لما رأتنــي دونــه بالراحتــين
فضــلت منه فضول تحت طــي العكنتين

وشبهت هذه الطيات بالأقمشة الحريرية ، وبالأمواج المترقرقة ، أمــا الصنف الآخر فانه رغب في البطن اضامر الأقب ، أي قليل الأرتفاع فلا عكن فيه ولا طيات ، واحبوا ان تكون سرة القينة واسعة غير ضيّقة فهي اجمل وادعى الى الحب • ووصفت بمدهن العاج اشارة الى اتساعها وبياضــها ، وفضل اناس آخرون السرّة العميقة الواسعة من داخلها وكلتاهما من الجمال الرائع الذي يجلب النظر •

١٢ ـ ( الردف )

من صفات القينة الجميلة بروز ردفها وضخامة عجيزتها ، وهــذا البروز يكون متناسباً مع الجسم كلــه •

ومما ذكر ان القينة ( عزة الميلاء ) من ابرز قيان العهــد الأمــوى اذا استلقت على قفاها ورمى تحتها بالأترجة تنفذ الى الناحيــة الاخــرى لعظم ردفيها ! وقيل انها كانت تصب الماء على جسمها وهي قاعدة فلا يصيب ظاهر فخذيها قطرة منه لعظم عجيزتها ، ولم يختلفوا في ذلك حتى النساء الضامرات المجدولات ، أحبوا فيهن الردف البارز حتى يكون التباين واضحاً بــين اردافهن وخصورهن ، واوضحوا ان يكون الردف ليناً ناعماً • وشبّــهوه بالكثب لارتفاعه ولينه ، وكذلك بالدعص والغرارتين ، واحبوا ان يكــون لون الاليتين أزهر مائلاً الى الحمرة ، فهو اجمل وولعوا بالارداف ســواء كانت في القيان أو الغلمان أشد الولع ، واكثر الشعراء في وصفها ولينهــا واستدارتها وبروزها •

## ١٢ ـ ( الاطراف والساق )

أحب الناس ان يكون ذراع القينة مكسواً باللحم ويتبعه المعصم لا يبين فيه العظم ، أما الكف فيجب ان تكون بضة لطيفة ذات انامل دقاق ، كأنها اقلام ياقوت ، بيضاء حمر الرؤوس شديدة النعومة والغضوضة ، وشبهت الانامل بالعنم وهو شجر لين الاغصان احمر الثمر ، يشبه به البنان المخضوبة. وكذلك شبهت الأنامل بالعاج واللؤلؤ والفضة لبياضها .

وقد عنوا بجعل رؤوس الأنامل حمراً اغلب الأحيان، كما أحبوا خضاب الاكف ، وكان لكف القينة أثر في اجتذاب قلوب عشاقها ، فقد كانت تفتنهم اذا أظهرتها واخفت بها وجهها ، أو اشارت بها للوداع ، او حملت بها كأس خمر للشاربين .

وأما الساق فلابد ان تكون ريا مسرولة ، وهي الساق الخدلة التي اذا وضع الخلخال فيها اطبق عليها لأمتلائها فلم يتحرك ولا يسمع له صوت ، وعابوا الساق الدقيقة غير الممتلئة وهي الجشمة ، واشمأزوا من الشعر في الساق ، فجسم القينة يجب ان يكون بضاً ناعماً كالحرير الأملس .

# ما يحمد في القيـــــان

لما كان جمال القينة وحسن تناسب اعضائها هو الداعي الــى حــب الرجل عند النظر اليها ، فقد اجمع اهل المعرفة أنّ الذي يحمد في جســم القينة هو من السواد اربعة اشياء ، الشعر والحاجبان وحدقة العين والأهداب.

ومن البياض اربعة : لون جسمها وبياض عينيها واسنانها وفرقها .

ومن الحمرة اربعة : حمرة اللسان والوجنات والشفتين والأليتين .

ومن الغلظ اربعة : العضدان والساقان والركبتان والذوائب .

ومن الدقة اربعة : العظام والأنف والخصر وأطراف الأنامل .

ومن الطول اربعة : الشعر والعنق والقامة والحاجب .

ومن السعة اربعة : الجبهة والعينان والصدر والسرة .

ومن الصلابة اربعة : الثديان والأليتان والزندان وعضلة الساق .

ومن الحلاوة اربعة : الوجه والريق والعينان والنغمة .

ومن اللين اربعة : اللحظ والنفس والكلام والبشرة .

ومن الملاحة اربعة : الضحك والصوت والنوم والمشية .

ومن الكبر اربعة : الكتفان والركبتان والفخذان والردفان .

ومن الأشياء البارزة اربعة : الكاهل والثدى والأنف والاذن .

ومن الاشياء الشهية أربعة : الملامسة والمعانقة والمحادثة والمعاتبة .

# القيان أمهات الاولاد

سبق ان نوهنا أن القينة هي الجارية المغنية بيضاء كانت أو غير بيضاء. وكان لأثرياء قريش في العهد الجاهلي بعض القيان يقمن احيانا للترفيه عن اسيادهن ، وبعضهن ينصرفن الى الأعمال المنزلية تبعاً الى ما تقوم به الجواري من الاشغال . وكان العربي عهد ذاك ينظر الى المرأة كما ينظر الى متاع آخر من رياش أو مال أو ما أشبه ، وكان الغزو عند العرب شيئا معتادا آنذاك ، فاذا غزوا أعداءهم أو مجاوريهم وتغلبوا عليهم ساقوا أنعامهم واستباحوا نساءهم ، وراحوا يتصرفون بها كتصرفهم بأموالهم .

ولما ظهر الأسلام وسطع نوره وانقشع ظلام الجهل ، احجموا عن ذلك وقامت الفتوحات التى رافقت الأسلام سقام الغزوات ، فاذا كتب الله لهم النصر على اعدائهم في ساحات القتال ، ودخلوا بلادهم فاتحين اعتبروا البلاد التي فتحوها والاموال التى غنموها ، ملكا لهم وادخلوها في بيت المال ، ليوزعونها على المجاهدين .فكثير منهم كانوا يتزوجون من النساء اللاتي يقعن في الغنائم باعتبارها مما ملكت أيمانهم ، وليس كزوجات ، لذلك سمين امهات أولاد للتمييز بينهن وبين الزوجات الحرائر الشرعيات ، كما كان كثيرون يستولدون الجواري اللاتي يكن في ملكهم من غير غنائم الفتوحات على هذا الاساس ، وكان الآدباء انفسهم يفضلون اولادهم من الحرائر على اللذين انجبتهم الجواري ، كما حدث عندما استبق أبناء عبد الملك بن مروان في حلبة الجياد فسبقوا سلمة بن عبدالملك ، وكان ابن امة فتمثل عبدالملك بقول عمرو العبدى القائل :

نهتيكموا ان تحملوا فوق خيلكم هجيناً لكم يوم الرهان فيدرك

فتعثر كفاه ويسقط سوطه وتخدر ساقاه فما يتحرك

وهل يستوى المرءان هذا ابن حرة وهذا ابن اخرى ظهره يتشرّك

فقال له مسلمه غفرالله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ، ولكن كما قال ابن المعمـــر :

فما انكحونا طائعين بناتهـم ولكن خطبناهم بأرماحنا قسـرا
فما زاد ما فيها النساء مذّلـة ولا كلفت خبزاً ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبيّة اذا لقي الأبطال يطعنهم شـزرا
فيأخذ ريّان الطعـان بكفـه فيوردها بيضاً ويصدرها حمرا

فقبل عبدالملك رأسه وعينه ، وقال له : احسنت يا بني ، ذلك ولله انـت وأمر له بمائة الف درهم مثلما اخذ السابق(١) .

وفي عهد العباسيين أخذ نفوذ القيان يقوى ويزداد حتى اصبحت كلمتهن نافذة لا مردّ لها ، ولكن الخلفاء العباسيين تداركوا الأمر فشلوا حركتهن واضعفوا شأنهن واخذوا يفحصون اللواتى يدخلن في قصورهـم ، فاذا وجدوهن ذوات أسر ولهن اهل ، امتنعوا عن شرائهن والبناء بهنّ ، وكـان الخليفة المنصور اكثر العباسيين تشدداً في ذلك ، لذا كانت القيان يعمدن الى كتمان حقيقتهن حينما يدخلن في حوزة الخلفاء فاذا ولدن واصبحن امهات اولاد يكشفن عن سر نسبهن كما فعلت الجارية الخيزران ، لما اشتريـت وعرضت على ابي جعفر المنصور (٢) فقال لها من اين انت ؟ قالت من مولدات مكة ومنشىء بجرش ، وجرش صقع من اصقاع اليمن . فقال افلك احـد ؟ قالت : مالي الاّ الله وما ولدت امي غيري ، فقال المنصور لأحد غلمانه :اذهب بها الى المهدى ، وقل له :انها تصلح للولد . واتى بها إلى المهدى ولما عرضت عليه ، قال لها يا جارية : انك لعلى غاية المتمنى ، ولكنك جشمة الساقين ،أي دقيقتهما ، فاجابته بجواب دل على ذكائها وفطنتها فحظيت عنده ، وولـدت له موسى الهادى ، وهارون الرشيد ، وصارت ام خليفتين ، ولما تمكنـت

---

(١) المستظرف ج٢ ص٧٥

(٢) هو ابو جعفر عبدالله المنصور تولى الخلافة في سـنة ١٣٦ هـ ٧٤٥م

عند المهدي أباحت له بما تضمره عن حقيقتها ، وقالت له : ان لي اهل بجرش فقال المهدي : ومن لك من الاهل ؟ قالت لي اختان اسم احداهما أسماء ، واسم الاخرى ( سلسل ) ولي ام واخوان ، فكتب المهدي باحضار أهلها ، فاحضروا فتزوج اخوه جعفر بن المنصور سلسلا ، فولدت منه زبيدة واسمها أمة العزيز ، وان جدها المنصور كان يحبها ويأنس بها ويرقصها وهي صغيرة ويقول لها : انت زبده ، وانت زبيدة ، فغلب هذا اللقب على اسمها ، وانما لقبها المنصور بذلك لبضاضتها وحسن بدنها وقد تزوجها هارون الرشيد ، والرشيد اول من غالى في تفضيل القيان المغنيات وتقريبهن اليه ، فان معظم اولاده ابناء جوار ، فهم عبدالله المأمون ، وامه جارية ام ولد فارسية يقال لها ( مراجل ) ، والقاسم والمؤتمن ، وامه ام ولد يقال لها (قصف) ، ومحمد المعتصم وأمه ام ولد يقال لها (ماردة) ، وصالح وامه ام ولد يقال لها (فارهة) ومحمد ابو عيسى وامه ام ولد يقال لها (عرابة) ،ومحمد ابو يعقوب وامه ام ولد يقال لها (شذره) ، ومحمد ابو العباس ، وامه ام ولد يقال لها (خبث) ، ومحمد ابو سليمان وامه ام ولد يقال لها (رداح) ، ومحمد ابو علي وامه ام ولد يقال لها (دواج) ، ومحمد ابو احمد وامه ام ولد يقال لها ( كتمان ) [1]

وكان للمعتصم بن هارون الرشيد جارية تزوجها يقال لها (شجاع) تركية الاصل خوارزمية من اقليم طخارستان فيما وراء النهر ، جلبها النخاسون ضمن الرقيق ، وباعها النخاسون فى بغداد فصارت الى المعتصم فأولدها جعفر المتوكل على الله .

وذكر بعض المؤرخين فقال : لاتعرف امرأة رأت ابنها وله ثلاثة أولاد ولاة عهد الاهي ، وقد اراد بقوله هذا ابناء المتوكل وهم محمد المنتصر بالله، وزبيرا المعتز بالله ، وابراهيم المؤيد بالله . وكان للمعتصم جارية يقال لها (قراطيس) تزوجها قبل شجاع ، وولدت له ابا جعفر هارون الملقب بالواثق بالله ، وهي رومية الاصل . اما الامير محمد بن المعتصم فقد امتلك جارية

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٥٤٠ .

روسية الاصل يقال لها (مخارق) فولدت له احمد ، الذى لقب بالمستعين بالله لما ولي الخلافة . وامتدت الخليفة ابو العباس احمد المعتضد بالله جارية يقال لها (ناعم) فولدت له ابنا سماه جعفرا ، وهو الذى لقب بالمقتدر بالله حين ولي الخلافة ، ولم ولدته غير المعتضد اسمها وسماها (شغب) وكانت ولادتها ولدا ذكرا شغبا وتحريشا بالاضافة الى نساء الخليفة المعتضد . ولما نعلمه من تغيير اسماء النساء والقيان والجوارى خصة قديما وحديثا نشك ان تكون الاسماء وهي الاسماء الحقيقية لامهات الاولاد المذكورات . هذا وفي وسعنا ان نذكر جميع القيان والجوارى اللواتى استولدهن الخلفاء العباسيون ولكن ضيق المجال يحول دون ذلك ، لهذا آثرنا اكتفاء بما اوردناه . وفي كتب الادب والتاريخ مجال واسع للمستزيد ولا يغرب عن البال أن هوءلاء القيان والجوارى المتعددات الاجناس والالوان، مختلفات في الدين فمنهن المسلمة ، والنصرانية ، واليهودية ، والمجوسية ، اما الوثنيات فيسارعن الى اعتناق دين الاسلام ويقمن بشعائره تقربا من اسيادهن الذين كانوا يحررون بعضهن للزواج منهن زواجا شرعيا ليرثن أزواجهن الاغنياء بعد موتهم ، ولم يكن اعتناقهن الدين الاسلامى ليس بالامر اصعب المنال بل ينحصر ذلك بأن تشهد القينة او الجارية على نفسها امام احد قضاة الشرع ، وان تنطق بالشهادتين ، وهما شهادة ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ، وتقول انا برئت من كل دين يخالف دين الاسلام ، ودخلت فى ذلك طائعة مختارة ، ثم يشهد القاضى عليها بذلك[1] .

اما الجوارى والقيان اللواتى يبقين في الرق فيتمسكن لدينهن القديم ويحافظن عليه ويقمن بشعائره احسن قيام متقيدات بأحكامه ونواهيه ، ويتساهل اسيادهن معهن في القيام بالطقوس المرعية ، والفروض الخاصة في المواسم والاعياد ، لايكرهوهن على تغيير عقائدهن ، وقد تقول بعض المغرضين الذين لاتطيب لهم مراعاة اصحاب الاديان ، فقالوا ان المسلمين اكرهوا قيانهم وجواريهم على ترك دينهن واعتناق دين الاسلام خوفا وارهابا .

---

(١) نهاية الارب ج٩ ص ١٤٥

وقد فاتهم ان المقربين لخليفة المأمون يدخلون فى مجلسه فيجدون القيان الروميات والصقليات ، وقد تمنطقن بالزنانير ، وعلق في أعناقهن صلبان الذهب ، حاملات بأيديهن اغصان الزيتون ، وسعف النخيل ابتهاجا بعيد الشعانين ، والمأمون ينظر اليهن مسرورا لايستغرب مايجرى في مجلسه، ألم يكن هذا دليلا واضحا على اطلاق حرية الاديان في عهد الخلفاء العباسيين.

ومما ذكر في كتب التأريخ ان كثيرا من الخلفاء والامراء والوزراء والاعيان ، قربوا اليهم القيان واجوارى غير المسلمات واغدقوا عليهن نعمهم فضلا عن حسن المعاملة التى كان النصارى واليهود وغيرهم يتمتعون بها من قبل المسلمين في ذلك العهد . ومن اوضح الامثلة على ذلك هو ان خال الخليفة المقتدر بالله كان رومى الجنس يعرف بأسم (غريب) ويخاطبه الناس بالامرة وهو ذو سلطان يرهبه الناس ويتقربون اليه ، لا في سبيل الوصول الى مايريد من نعم الخلافة ، بل احتراما لدينه الذي بقي عليه .

ومثل ذلك ماجرى لخالد بن عبدالله القسرى عامل العراق للامويين مع امه النصرانية وهي رومية الجنس تغزل بها احد الشعراء فقال لخالد مدافعا عن نصرانيتها وزرقة عيونها .

| | |
|---|---|
| يقولون نصرانيــة ام خالــد | فقلت دعوها كل نفس ودينهـا |
| فان تك نصرانية ام خالــد | فقد صورت في صورة لاتشينها |
| احبك ان قالوا بعينيك زرقـة | كذاك عتاق الطير زرق عيونها[1] |

وكان ابنها خالد يبرها كثيرا كما كان محسنا الى اهل الذمة يعرف لهم قدرهم ، ويقلد من يصلح منهم الاعمال الحكومية .

وكانت ام خالد متعصبة فى دينها ، ملتزمة بأداء طقوسها دون اعتراض من ولدها أو غيره وهكذا كان المسلمون يراعون حقوق اهل الذمة بين ظهرانيهم .

---

(١) الاغانى ج ١٩ ص ١١٩

# زينة القيان

ان زينة القيان وتجميل ملابسهن وازيائهن في العصر العباسي ، كانت تجميلا باثياب الملونه ضيقة كانت او فضفاضة ، وبالكحل والخضاب بالحناء وكن يضعن في ايديهن الاساور ، وفي اصابعهن الخواتم ، وفي سواعدهن الدمالج ، وفي آذانهن الاقراط ، وفي ارجلهن الخلاخيل ، ويتحلين احيانا بالسلاسل الذهبية والعقود الجوهرية ، ويلبسن المآزر الحريرية ، ويتخذن العصائب المزركشة المحلاة بالاشعار الرقيقة والعبارات الغرامية الشافية تطريزا عليها او على الملابس ، كما كنّ يطرزن مثل هذه الاشعار العاطفية على المناديل والوسائد والمراوح ، ويكتبنها بالحناء على راحة الايدى والاقدام .
وقد كتبت القينة (حدائق) على يدها بالحناء .

ليس حسن الخضاب زين لكفى      حسن كفى زين لكل خضاب

وذكر الماوردى قال : رأيت قينة وانا عند محمد بن عمرو بن مسعدة ، وعليها قميص ارجواني مكتوب على وشاحه :

اغيب عنك بودّ لا يغيره      نأي المحل ولا صرف من الزمن

وقال : رأيت القينة (عريب) ترتدى قميصا موشى بالذهب مكتوب عليه ،

وإني لأهواه مسيئاً ومحسناً      واقضي على قلبي له بالذي يقضي

وكتبت فريدة جارية الخليفة الواثق فوق عصابتها بالذهب :

عيني تبكى حذرا لبين      ما اسخن الفرقة للعين
لم ار في الحب ولوعاته      اوجع من فرقة إلفين

وكتبت هلال جارية عبدالله بن طاهر فوق عصابتها :

افلت من حور الجنان      وخلقت فتنة من يراني

وذكر اسحاق الموصلى قال : دخلت على محمد الامين الخليفة العباسي فرأيت على رأسه جوار قراطق مفروجة وبيد كل واحدة مروحة مكتوب عليها :

بي طاب العيش فـــي الصيف، وبي طاب السرور
ممسكي ينفي أذى الحر اذا اشتـــد الحـــرور
الندي والجـود فـي و جـه آمين الله نـــور
ملـــك اسلمـــه الـ شبــه واخــلاه النظــير

ومما اخبر به على بن الجهم قال : خرجت علينا (عالج) جرية خالصـة دانها غصن بان وعلى طرتها مكتوب بالغالية :

ياهلالاً من القصـور تجلـى صام طرفي لمقلتيـك وصلـى
لست أدرى أطال ليلـي ام لا كيف يدرى بذاك مـن يتقلى

وكتبت (وردة) جاريه المهاني على عصابتها :

تمت وتم الحســن في وجههـا فكلّ شـيء ماسواهـا محال
لناس في الشهر هلال ولـي في وجهها في كـلّ يـوم هلال

وكتبت في مـأزرها :

ياراميا ليس يدرى ماالذي فعلا عليك عقلـى فأن السهم قد قتلا
اجريته فيمجارى الروح من بدني والنفس في تعب والقلبقدشغلا

وكتبت (عنان) جارية الناطفى في مئزرها في الجانب الايمن :

كتب الطرف في فؤادي كتـابـاً هـو بالشوق والهـوى مختوم

وعلى الجانـب الايسر :

كان طرفى على فـؤادى بـلاءاً أن طرفى على فؤادى مشـوم

وكتبت على عصابتهـا :

الكفر والسحر في عيني إذ نظـرت فأغرب بعينك يامغرور عن عينـي
وان لي سيـف لحظ لست أغمده من صنعة الله لا من صنعة القيـن

وكتبت الجارية (شكل) على قلنسوتها :

لم ألق ذا شجن يبوح بحبّـه الاّ حسبتك ذلـك المحبوبـا
حذراً عليـك وإنني بك واثق أن لاينال سواي منـك نصيبا

وكانت الجارية (حمدان) تتقلد سيفا وتخرج الى القوم وقد كتبـت علـى حمائلـه :

لم يكفه سيف بعينيه يقتل من شاء بحديثه
حتى تردّى لابساً درعه يخطر فيها بين صفيّه
علمت انالسيف من طرفه أقتل من سيف بكفيه

ولم يكن هذا التزيين محصورا بالقيان والجوارى اللواتى كتبن الأشعار علىعصائبهن وأزرهن ،وانما تعدى الى الاميرات العربيات الحرائر، فقد كتبت ولادة بنت المستكفى ءى جوانب برقعها الاربعة من كل جانب شطراً :

أنا والله اصلح للمعالى وأدرك حاجتى واتيه تيها
أمكّن عاشقي منصحن خدى وامنح قبلتي من يشتهيها

ولم ادر هل ان ولادة كتبت هذين البيتين اغراء لعشاقها أم لتحلية الملابس ؟

وكانت القيان في العصر العباسى تقدم كالهدايا وتدخل في الميراث وفي الصداق .

وذكر مؤرخوا ذلك العصر محاسن تلك القيان فكان الجمال في مقدمة مايتبعه من المهارة الفائقة فيهن مع رجاحة العقل والاخلاق الفاضلة وحفظ الأشعار والعزف باحدى الآلات الموسيقية . وكثير من بين تلك القيان من كن يذهبن فى حب أسيادهن مذهبا بعيدا ويخلصن لهم الى حد التضحية مثل جارية منصور زلزل ، وكان قد رباها واحسن تربيتها ، وعلمها الضرب على العود والغناء حتى حذقت بهما ، وكان يصونها من ان يسمعها أحد ويتمتع بجمالها ، فلما مات بلغ اسحاق الموصلي انها تعرض في ميراثه فذهب اليها لينظر مقدرتها الفنية وطلب منها ان تغني فغنت :

اقفر من أوتاره العود والعود للأوتار معمود
وأوحش المزمار من صوته فماله بعدك تغريد
من للمزامير وعيدانها وعامر اللذات مفقود
الخمر تبكي في أباريقها والقينة الخمصانة الرود

وهذا الشعر رثاه به صديق كان يألفه فأبكت عين اسحاق وأوجعت قلبه، فدخل على الرشيد وحدثه عنها ، فامر بأحضارها فلما حضرت قال غنى الغناء الذي حدثني عنه اسحاق فغنته وهى تبكى !

فتغرغرت عينا الرشيد ، وقال اتريدين ان اشتريك ؟

فقالت ياامير المؤمنين عرضت علي ما يقصر عنه الامل ، وليس من الوفاء ان يملكنى احد بعد سيدى فينتفع بي ، فازداد الرشيد رقة عليها وقال غني لي غناءً آخر فغنت :

العين تظهر كتمانى وتبديه والقلب يكتم ما ضمنته فيه
فكيف ينكتم المكتوم بينهما والعين تظهره والقلب يخفيه

فأمر ان تبتاع وتعتق ، ولم يزل يجرى عليها الى ان ماتت .

والقيان اللواتي تعلمن الغناء ومهرن فيه ، لم يكن تعليمهن مقصوراً عليه وحده ، فقد تعلمن كثيراً من الادب والشعر حتى منهن من كانت تقرضه وتجيده كعريب ومحبوبة ، ومنهن من كانت تطارح الشعراء كعنان جارية الناطفي وفضل اليمامية لذلك أصبحن مغنيات مثقفات قد نلن حظاً عظيما ومقاما رفيعاً .

## الشعراء والقيان

عرف عن معظم شعراء الدولة العباسية بعشق القيان والجوارى فبشار ابن برد كان يحب ( عبدة ) وفيها يقول :

يزهدني في حب عبدة معشر ... قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ... ولا تسمع الأذنان إلاّ من القلب
وما الحسن الاّ كلّ حسن دعا الصبا ... والف بين العشق والعاشق الصب

وقال فيها عندما ارسل غلامه اليها :

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم ... الأذن كالعين توفي القلب ما كانا
ما كنت أول مشغوف بجارية ... يلقى بلقيانها روحاً وريحانا
يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين احيانا

وقال فيها وقد بعثت اليه تبث اشواقها :

عبد إني اليك بالأشواق ... لتلاق وكيف لي بالتلاقي
انا والله اشتهي سحر عينيك ... وأخشى مصارع العشاق
وأهاب الحرسي محتسب الجند ... يلف البريء بالفساق

وقال فيها بعدما اعترضه مالك بن دينار ولامه على فعله :

غدا مالك بملاماته ... علي وما بات من باليه
فقلت دع اللوم في حبها ... فقبلك اعييت عذاليه
اعبدة مالك مسلوبة ... وكنت مقرطقة حاليه
فقالت على رقبة انني ... رفضت المرعث خلخاليه
بمجلس يوم سأوفى به ... وان تكن الناس أحواليه

وقال فيها عندما زارها فلم يجدها في بيتها :

لعبدة دار ما تكلمنا الدار ... تلوح مغانيها كما لاح اسطار
اسائل احجاراً ونؤياً مهدّماً ... وكيف يجيب القول نؤي واحجار

وما كلمتني دارها اذ سـألتها … وفي كبدي كالنفط شبت به نار
وعند مغاني دارها لو تكلمت … لمكتئب بادي الصبابة اخبار

وقال فيها وقد قل صبره :

يا عبد بالله فرجي كربي … فقد براني وشفني نصبي
وضقت ذرعاً بما كلفت به … من حبكم والمحب في تعب
ففرجي كربة شجيت بها … وحر حزن في الصدر كاللهب
ولا تظني ما اشتكى لعباً … هيهات قد جل ذا عن اللعب

وقال فيها وقد اشتاق اليها :

يا عبد زوريني تكن منة … لله عندي يوم القاك
والله ثم الله فأستيقني … اني لأرجوك واخشاك
ياعبد إني هالك مدنف … ان لم اذق برد ثناياك
فلا تردي عاشقاً مدنفاً … يرضى بهذا القدر من ذاك

وقال فيها يشرح حاله :

لم يطل ليلي ولكن لم أنم … ونفى عني الكرى طيف ألم
واذا قلت لها جودي لنا … خرجت بالصمت عن لاونعم
رفهي يا عبد عني واعلمي … أنني يا عبد من لحم ودم
ان في بردي جسماً ناحلاً … لو توكأت عليه لا نهدم
ختم الحب لها في عنقي … موضع الخاتم من اهل الذمم

وقال فيها معترفاً بذنبه :

عبد إني قد اعترفت بذنبي … فاغفري واعدلي خطاي بحبي
عبد لا صبر لي ولست فمهلاً … قائلاً قد عتبت في غير عتب
ولقد قلت حين انصبني الحب فأبلى جسمي وعذب قلبي
رب لاصبر لي على الهجر حسبي … فأقلني حسبي لك الحمد حسبي

وقال فيها متوسلاً :

يا عبد بالله ارحمي عبدك … وعلليه بمنى وعدك
يصبح مكروبا ويمسي به … وليس يدري ماله عندك

ماذا تقولين لرب العلا اذا تخليّت به وحدك

وهذا ابو نواس يحب ( جنان ) جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى ، وكان موّلهاً بها ، ولم تكن تحبّه وقال يعاتبها :

جنان إن جدت يا مناي بما آمل لم تقطر السماء دما
وان تمادى دماً تماديت في منعك أصبح بقفرة رمما
علقت من لو أتى على أنفس الماضين والغابرين ما ندما
لو نظرت عينه الى حجر ولدّ فيه فتورها سقما

وقال فيها :

لولا حذاري من جنان لخلعت عن رأسي عناني
وركبت ما اهوى وكم أجفو مقالة من نهاني
وخرجت اخبط سادراً لم أغن عن حب الغواني
قد ذبت غير حشاشة في النفس تحبسها الأماني
يا من يلوم على الصبا دعنى فشأنك غير شاني

وقال فيها وقد رآها في منزل عبدالوهاب الثقفي وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم وجنان واقفة مع النساء تلطم وجهها وفي يدها خضاب :

يا قمراً أبرزه مأتم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فيذرى الدّر من نرجس ويلطم الورد بعناب
لا تبك ميتاً حلّ في حفرة وابك قتيلاً لك في الباب
أبرزه المأتم لي كارهاً برغم دايات وحجاب
لا زال موتاً دأب أحبابه ولم تزل رؤيته دابي

وقال فيها حينما علم انها شتمته وتنقصته :

وابأبى من إذا ذكرت له وطول وجدى به تنقصنى
لو سألوه عن وجه حجته في سبّه لي لقال يعشقنى
نعم الى الحشر والتناد نعم اعشقه أو الفّ في كفنى
أصيح جهراً لا أستتر بها عنفّني فيه من يعنفني
يا معشر الناس فاسمعوه وعوا إن جناناً صديقة الحسن

وقال فيها وقد طلب منها ان تكتب لـه :

كثـري السهو في الكتـاب وفجيّه بريق اللسان لا بالبنـان

وامرّى الحـزام بين ثنايا ك العـذاب المفلجّات الحسان

إنني كلمـا مررت بسطر فيـه محو لطعتـه بلسانى

فأرى ذاك قبلـةً مـن بعيـد اسـعدتنى وما برحت مكانـى

وقال فيها وقد زاد حبـه :

جفن عيني قد كاد يسقط من طـول ما اختلـجْ

وفؤادي من حر حبـك والهجـر قـد نضـجْ

خبريني فدتـك نفسي واهـلي متـى الفـرجْ

كـان ميعادنا خـرو ج زيـاد وقد خـرجْ

أنت مـن قتـل عائـذ بـك اضيق الحـرجْ

وكان ابو العتاهية يحب (عتبة) جارية الخيزران ام الرشيد وفيها يقول :

بالله يا قرّة العينين زورينـى قبـل الممـات والاّ فاستزيرينـى

هذان أمران فاختارى أحبّهمـا روحى وان شئت ان احيا فأحيينى

ياعتب ما أنت الاّ بدعـة خلقـت من غير طين وخلق الناس من طين

إني لأعجب من حـبّ يقربنـي ممن يباعدنـي منـه ويقصينـى

لو كان ينصفنى مما كلفت بـه إذا رضيت وكان النصف يرضيني

أما الكثير فما ارجوه منك ولـو اطعمتنى من قليل كان يكفينـى

وقـال فيهـا :

ألا يا عتب يا قمـر الرصافـة ويا ذات الملاحـة والنظافـة

رزقت مودتى ورزقت عطفـى ولم ارزق فديتك منك رافـه

وصرت من الهـوى دنفاً سقيما صريعا كالصريع من السـلافه

أظل اذا رأيتك مسـتكينا كأنك قد بعثت عـلي آفـه

وقـال فيهـا :

من لم يذق لصبابـة طعمـا فلقد احطت بطعمها علمـا

إنى منحت مودّتى سكنـاً فرأيتهـا قـد عدّهـا جرمـا

ياعتب ما ابقيت في جسدى		لحماً ولا أبقيت لي عظما
ياعتب ما انا من صنيعك بي		أعمى ولكن الهوى أعمى
إن الذي يدرى وما كلفى		ليرى على وجهي به وسما

والعباس بن الاحنف يحب (فوز) جارية محمد بن منصور الملقب بفتى العسكر ، ثم اشتراها شاب من البرامكة وقد ذهب بها لاداء فريضة الحج ، ولما عادت قال فيها العباس :

ألا قد قدمت فوز		فقرت عين عبّاس
لمّن بشرني البشرى		على العينين والراس
أيا ديباجة الحسن		ويا رامشة الآس
يلومني على الحب		وما بالحب من باس

وقال فيها وقد رآها معصوبة الرأس :

عصبت رأسها وقالت صداعا		قد شكته الي كان براسي
ثم لاتشتكى وكان لها الاجر		وكنت السقام عنها اقاسي
ذاك حتى يقول لي من رآني		هكذا يفعل المحب المواسى

وقال فيها عندما برأت ونكست ،

ان التى هامت بها النفس		عاودها من عارض نكس
كانت اذا ماجاءها المبتلى		ابرأه من كفّها اللمس
يابأبى الوجه المليح الذى		قد عشقته الجن والانس
ان تكن الحمّى أضرت به		فربما تنكسف الشمس

وقالت فوز الى بعض اولاد الجند وبلغ ذلك العباس فتركها ولكنها لم ترض هى بهذا البديل فعادت الى العباس وكتبت له تعاتبه على هذا الجفاء الحاصل منه فكتب اليها :

كتبت تلوم وتستريب زيارتى		وتقول لست لنا كعهد العاهد
فأجبتها ودموع عينى جمة		تجرى على الخدين غير جوامد
يافوز لم اهجركم لملالة		مني ولا لمقال واشٍ حاسد
لكنني جربتكم ، فوجدتكم		لاتصبرون على طعام واحد

وقال فيها :

يافوز يامنية عباس ... قلبي يفدى قلبك القاسي

اسأت ان احسنت ظني بكم ... والحزم سوء الظن بالناس

يقلقني الشوق فآتيكم ... والقلب مملوء من الياس

وابن عينيه[1] يحب فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب (هزار مرد) وكانت امرأة شريفة وكان يخاف اهلها ويقول الشعر في جارية لها يقال دنيا ومن قوله فيها :

ما لقلبي أرق من كل قلب ... ولحبي أشد من كل حب

ولدنيا على جنوني بدنيا ... اشتهى قربها وتكره قربي

نزلت بي بلية من هواها ... والبلايا تكون من كل ضرب

قل لدنيا ان لم تجبك لما بي ... رطبة من دموع عيني وكتبي

فعلام انتهرت بالله رسلي ... وتهددتهم بحبس وضرب

أي ذنب اذنبته ليت شعري ... كان هذا جزاؤه أي ذنب

وقال فيها :

ألا في سبيل الله ماحل بي فيك ... وصبرك عنى حين لاصبر لي عنك

وتركك جسمى بعداخذك مهجتى ... ضئيلا فهلا كان من قبل ذا الترك

فهل حكم في الحب يحكم بيننا ... فيأخذ لي حقى وينصفنى منك

وقال فيها :

رق قلبي لك يانور عيني ... وأبى قلبك لي أن يرقا

فأراك الله موتي فأني ... لست أرضى بأن تموتى وأبقى

أنا في وجد بدنياي منها ... ومن العذال فيها ملقى

زعموا اني صديق لدنيا ... ليت ذا الباطل قد صار حقا

وقال فيها :

ياحسنها يوم قالت لي مودعة ... لاتنس ماقلت من فيها الى اذني

كأنني لم اصل دنيا علانية ... ولم أزر اهل دنيا زورة الختن

---

(١) الاغاني ج ١٨ ص ٢٠

جسمي معي غيران الروح عندكم فالروح في موطن والجسم في وطن
فليعجب الناس مني ان لي جسداً لاروح فيه ولا روح بلا بدن

ومطيع بن أياس يحب (جوهر) جارية بربر وفيها يقول :

أنت ياجوهر عندي جوهره في قياس الدرر المشتهره
او كشمس أشرقت من بيتها قذفت في كل قلب شرره
وكأني ذائق من فمها كلما قبلت فاها سكره
وكأني حين اخلو معها فائز بالجنة المختضره

وقال فيها :

يابأبي وجهك من بينهم فأنه احسن مايبصر
يابأبي وجهك من رائع يشبه بالبدر اذا يزهر
جارية أحسن من حليها والحلى فيه الدر والجوهر
وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
جاءت بها بربر مكنونة يا حبذا ما جلبت بربر
كأنما ريقتها قهوة صب عليها بارد اسمر

وقال فيها :

ألا ياجوهر القلب لقد زدت على الجوهر
وقد كملك الله بحسن الدل والمنظر
اذا غنيت يا احسن خلق الله بالمزهر
فهذا حزناً يبكى وهذا طرباً يكفر
وهذا يشرب الكأس وذا من فرح ينعر

وقال فيها بعدما يئس منها :

لقد قلت معلناً لسعيد وجعفر
ان أتتني منيتي فدمي عند بربر
قتلتني بمنعها لي من وصل جوهر

ولم يكن الشعراء وحدهم هاموا بحب الجواري والقيان ، بل تعدى الى جماعات شتى متنوعة الاذواق ، متعددة المراتب والمقامات الاجتماعية ،

ومن بينهم ابن فهم الصوفي وهو موّله بالقيان والسماع الى غنائهن ، فعندما يسمع غناء (نهاية) جارية ابن المغنى يضرب بنفسه الارض ، ويتمرغ في التراب ، ويهيج ويزبد ، فاذا دنا منه أحد عض بنانه ، وخمش بظفره وجهه، وركل رجله الارض . ومثله ابن غيلان البزاز عندما يسمع ترجيعات (بلور) جارية ابن الزيدي وهي تغنى تنقلب حماليق عينيه ، ويسقط مغشيا عليه ، فلا يستفيق الا بعد ان ينضح بالكافور وماء الورد ، ويقرأ في اذنيه آية الكرسي والمعوذتين !

والاغرب من هذا أن ابا الحسن الجراحي قاضي الكرخ الرجل الوقور عندما يسمع غناء القينة (شعلة) تبتل شيبته بالدموع حتى يرّق له الحاضرون ، فتنحدر دموعهم رحمة واشفاقا عليه ، وغير هؤلآء أحبوا الغناء ورغبوا في التحلى من الملاحة الدافقةمن اصوات القيان .

## تجارة القيان

كانت تجارة القيان صناعة رائجة تدر كسباً وافرا لاصحابها النخاسين، في وقت كانت للرقيق أسواق تبنى فيها الدور للبيع والشراء ، وتقع هذه الدور في بغداد قرب دجلة في الجانب الغربي ، وقد بقيت آثارها بادية الى القرن الثالث عشر للميلاد [1] وكان كثيرا من هؤلآء النخاسين قد بلغوا الشهرة الواسعة والصيت البعيد . وكان أكثر الشعراء والأدباء يقصدون دورهم للتمتع بجمال قيانهم ، ويبذلون لهذه الدور الاموال الطائلة والهدايا الثمينة ، وبهذا كان اولئك الذين فتحوا دورهم ينعمون في ترف وعيش رغيد يحسدون عليه .

وفي بعض الايام مرّ أبو دلامة (زند بن الجون) الشاعر الكوفي الاسود

---

(١) تجارة العراق قديما و حديثا ليوسف غنيمة ص ٥١

بأحد هولآء النخاسين فرأى عنده من النعمة وترف العيش مادعاه الى أن يحسده على ذلك فدخل على الخليفة المهدى وانشده قصيدة يفضل فيها مهنة النخاسة على قرض الشعر ومطلعها :

ان كنت تبغي العيش حلواً صافيا فالشعر أعذبه وكن نخاسا

وكان الرقيق لدى النخاسين من جميع الاجناس والالوان ومن مختلف الشعوب والديانات •

ووجه العباسيون عناية فائقة الى تدريب القيان والجوارى وتعليمهن مختلف الصناعات والفنون وخاصة الموسيقى فأذا وجدوا في الجارية قابلية على حفظ الشعر والأنشاد أودعوها الى أساتذة أكفاء يعلمونها قرض الشعر والآداب العربية حتى تأخذ حظها منهما ، واذا كانت الجارية ذات صوت حسن ومنظر جذّاب ، اتجهوا بها الى تعلم الموسيقى واصول الغناء لتجمع بين الجمال وحسن الشدو والغناء ، وهذا هو السبب المباشر فى انتشار الغناء بأوسع نطاق ، فكان فى وسع المرء أن يواجه هذه الظاهرة الفنية فى كل مكان من بغداد ، يسمعها في الطرقات ، او في المحلات العامة والندوات الخاصة ، يسمعها فى الحانات المكتضة أو في قصور الخلفاء والامراء ، وبيوت اليسار ، ودور الطبقة الفقيرة ، يسمعها فى كل نافذة تشرف على دجلة وفي كل مجتمع أنس يسمع ترنم الاوتار وهينمة الانغام ، مما اصبح من الصعب الحكم على هذا الغناء والقصف ، هل تسرب من القصور والمنازل الى الحانات ؟ ام من الحانات الى القصور والمنازل ؟

وهكذا كانت بغداد تجمع بين حياة كلها لهو ومجون واباحة ، وحياة كلها ورع وتقوى • فقد كانت كما قيل في وصفها :

مسجد وحانة ، وقارىء وزامر ، وساهر متهجد يرقب الفجر ليؤدى فرضه ، ومصطبح في حدائق ، ولاهٍ في طرب ، وعاكف في تخشع ، وتخمة في غنى • ومسكنة فى إملاق ، وشك في دين ، وايمان في يقين •

ولم يكن الناس قبل هذا يعلمون الجوارى الحسان الغناء ، وانما كانوا يعلمون الجوارى السود والصفر فقط •

وأول من علم القيان البيض الغناء ابراهيم الموصلي فبلغ بهن كل مبلغ، ورفع من اقدارهن غاية الرفعة ،

والقينة التى تمتاز بالموهبة يرتفع ثمنها في سوق الرقيق ، وبذلك يقول أبو عينيه وقد كان يهوى جارية له يقال لها (أمان) حينما أغلى بها مولاها السوم:

| | |
|---|---|
| قلت لما رأيت مولى أمانٍ | قد طغى سومه بها طغيانا |
| لاجزى الله الموصلى ابا اسـ | حاق عنا خيراً ولا احسانا |
| جاءنا مرسلا بوحى من الشـ | يطان اغلى به علينا القيانا |
| من غناء كأنه سكرات الـ | حب يصبي القلوب والآذانا |

وهذا الشعر قيل على اثر تأليف شركة لتعليم القيان اصول الغناء بين ابراهيم الموصلي دون أن تتأثر مواهبه الفنية ، وبين المغني يزيد حوراء، على ان تقسم الارباح بينهما مناصفة .

ومن جراء ذلك كان تعلم القيان عاملا كبيراً في ازدهار حركة الغناء بين افراد الشعب .

وازدادت الرغبة في طلب المزيد من تعليمهن ورفع مستواهن وبذلك حذا اصحاب القيان حذو الموصلى وشريكه وأخذوا يجدون في تعليم قيانهم، واصبحوا يفاخرون على ان تكون قيانهم موضوعا لاحاديث الناس ، ووحيا لخيال الشعراء ، وفيضا لالحان المغنين ومنهم من كان يسعى جهده لينال هذا الفخر ، وكان يقصد الرجل الشريف والشاعر العبقرى والمغني للزيارة والتحدث الى القيان ومن الذين اشتهروا بتجارة القيان : أولهم ابراهيم الموصلى ، وولده اسحاق ، ويزيد حوراء ، وعمرو بن بانه ، وابن غانم ، وابن رامين ، وابن رمانه ، وابن ميناء ، وابن شماس ،ويحى بن نفيس وقرين أبو الخطاب ، ومحمد بن كناسة ، وسنبس ، ودحمان ، والمفضل .

وللقيان اثمان فاحشة ، فابن غانم قينته (زبيده) بمئة الف درهم ، وكذلك عوف بلغت جاريته (حشيثة) مئة الف درهم .

ويروى أن دحمان المغنى كان جمّالا فاشترى جارية من امرأة قرشية بمائتي دينار ، ثم باعها لأحد الخلفاء متنكرا بعشرة آلاف دينار ، هذه لمحة

خاطفة من تجارة القيان فى بغداد ومن هذا تعرف أن القيان والجوارى كان لهن الفضل الأكبر في نهوض الموسيقى وترفيه لادب العامة والشعر خاصة •

## قيـــان الحانات

الحانات جمع حانة ، وهي البيت الذى تباع فيه الخمرة ، وهـــذه الحانات لم تعد للطبقة الاستقراطية الراقية ، بل كانت للطبقة المتوسطة من اهل بغداد ، فلا تحوى غير مايحتاج اليه صاحبها لصنعته ، والشارب فـي تعاطيه • واذا ما أردنا أن نصف ما يوجد عادة فيها ، لانجد غير البســط والنمارق التي يمتد عليها الشاربون أثنـاء تعاطيهم الشراب ، والدنان التي توضع فيها الخمرة ، والاباريق المعدة للتفريغ بعد ان تكال لهم ، والقنانـي والطاسات والكؤوس وبعض آلات الطرب ، كالعود والطنبور وغيرهما ، والخمارون بعضهم يؤثر وضع الخمرة المعتقة في خابية يختم فاها بالطين المطيب وآخرون يعمدون الى الزقاق ( جمع زق ) المصنوعة من جلد الغنم ويربط رأس الزق بحبل أو خيط ويحل رأسه عندما تسكب الخمرة منه وفي هذا قـــال الشاعر •

ولما حللنـــا رأسه من ربـــاطـــه  وفاض دماً كالمسك اوعنبر الهند

وجدناه في بعض الـــزوايا كأنه  أخو قرّة يهتز من شدّة البـــرد

وكذلك كانت الاباريق والكؤوس مختلفة الاصناف والانواع ، تصنع من الفخار والبلور ، وتوشّي بالرسوم والتصاوير الدقيقة الصنع ، تمثـل فيها نقوش مشاهد عديدة من معارك حربيّة ترمز الى العهدين الفارســـي والبيزنطي ، وفيهـــا قال أبو نواس :

فحلّ بزالها في قعـــر كـــأس  محفـــرة الجوانـــب والقـــرار

مصورّة بصورة جند كسرى وكسرى في فرار الطهرجار
وحلّ الجند تحت ركاب كسرى باعمدة واقبية قصار

أما القناني الزجاجية البديعة الشكل ، فتملأ للذين يتناولون الخمرة خارج الحانة ، ولهذه الحانات قيان خصصن لها فيقمن بدورهن أحسن قيام ويبعثن المرح فى قلوب الذين يؤمونها من غناء ورقص ومنادمة ،ويتفنن فى اظهار ملاحتهن وجلب الانظار اليهن فمنهن من تتخذ أزياء الغلمان من حيث اللباس وتصفيف الشعر ، ويعقربن سوالفهن على مستدار الاذن . ومنهن من عقدن على حجب أجسامهن بنسيج شفاف فيترآى من تحته بياض الجسم الغض الناعم ، اغراءاً للشاربين ، وهن رهن اشاراتهم متقيدات بتلبية طلباتهم ، فيغنين لهم مايروق لهم من الغناء الشائع يومذاك .

وكان الشعراء في مقدمة الشاربين يتقارضون الشعر مديحا وتغزلاً ، ويطرحونه عليهن فيتغنين به ، وهكذا تجتمع قريحة الشاعر وحناجر القيان فيتحول مجلسهم الى جوّ زاخر بالطرب والادب ، يختلطفيه غناء القيان وصخب السكارى ، فواحد يطلب سماع غناء ابراهيم الموصلى والآخر يرغب سماء غناء (عريب) المأمونية ، والقيان حريصات على ارضاء الجميع . وهولاء القيان من طبيعة مهنتهن يتوددّن الى صاحب المال ويبدين غوايتهن لهويعمدن الى جميع الوسائل المغرية لايقاعه في احابيلهن . وقد تبين للجاحظ أنّ القينة . لا تكاد تخلص لعشيقها لأنها مجبولة على نصب الأشراك للمرابطين عندها ليقعوا في أنشوطتها . واذا شاهدها المشاهد رمته بلحظ وداعبته بالتبسم المصطنع ، وغازلته في أشعار الغناء ونشطت للشرب معه ، وأظهرت الشوق الى طول مكثه عندها والصبوة لسرعة عودته والحزن العميق لفراقه. واذا أحست ان الحيلة انطلت عليه أكثرت فيما شرعت فيه من عشق وهيام ، وأوهمته انّ الذي فيها اكثر مما به منها ، واذا غاب عنها غياباً طويلاً ، فتأتيه وتشكو اليه ألم بعده وفراقه ، وتقسم له ان شرابها من دمعها ، وان خياله لا يفارقها في ليلها ونهارها ، وأنها لا تريد سواه ولا تؤثر احداً على هواه ، ولا تريده لثروته بل لنفسه ، فاذا أجابها على ما أبدت له ،ادعت أنها صيّرت

الجواب سلوتها وأقامت كتابه مقام رؤيته ، وتبدي له انه شديدة الغيرة عليه، وتنسب اليه النظر الى صاحباتها ، وتزوده عند انصرافه منها بخصله من شعرها ، وتهدي اليه في الاعياد والهدايا المناسبة ، وتنقش على خاتمها اسمه، وتزعم انها لا تنام الليل شوقا اليه وهياما به ، ولا تهنأ بطعام وتلتذ بشراب وجداً عليه ، وربّما عمدت الى مثل هذه الحيل مع ثلاثة او اربعة من المترددين عليها ، فتبكي لواحد بعين ، وتضحك للثاني بالاخرى ، وتوهم كلاً منهما انها له دون الاخر ، وتظل تثابر على هذا النهج في الخداع إلى ان تنتزع منه ما معه من المال فتنبذه نبذ النواة بعد ان فازت بما أرادت وفاز منها بالخيبة والحرمان ، وفي هذا قال الشاعر :

| | |
|---|---|
| اذا رأين القيان احمق ذا | مال يقلبن نحوه الحدقا |
| بالتغني وبالتدلل يسلين | فؤاداً بحبّه علقا |
| حتى اذا ما سلخن جلدته | سلخاً رقيقاً وبدد الورقا |
| فبتن يرعين في دراهمه | وبات يرعى النجوم والارقا (1) |

ومع هذا كله كانت الحانات متوارية عن الأنظار لا يجرأ أصحابها على الظهور امام الناس خوفاً من رجال الشرطة الذين عهدت اليهم مراقبة الحانات وأصحابها وكشف ما استتر من مخالفاتهم في جنح الليل ، وكثيراً ما كان الروّاد يطرقون باب الحانة ليلاً فلم يعدهم الخمار التفاتة ويتناوم خوفاً من مداهمة الشرطة له ، وبذلك قال أبو نواس :

| | |
|---|---|
| تناوم خوفا ان تكون سعاية | وعاوده بعد الرقاد وجيب |
| ولما دعونا بأسمه طار ذعره | وأيقن منه الرحل منه خصيب |
| وبادر نحو الباب سعياً ملبّياً | له طرب بالزائرين عجيب |

ومن طبيعة الخمار أن يوجس خيفة من رجال الشرطة لأن مداهمتهم لحانته تؤدي إلى احراق الخمور المعتقة بالطرقات والى جلده وحبسه ومصادرة كل ما يملك من مال ومتاع ، هذا اذا كان صاحب الحانة يهودياً أو نصرانيا،

---

(1) عيون الاخبار ( كتاب النساء ) ص ٩٠

والويل لصاحب الحانة اذا كان مسلما ، فأن عقابه يكون أدهى وأمر .

وقد تفنّن اصحاب الحانات بشتى الوسائل لرّد أذى الشرطة عنهم ، وكانت النساء أكثر من الرجال في احتراف هذه المهنة وابتكار الأساليب الشيطانية التي لا تمر على البال للتخفي والتستر من الأنظار ، ومن تلك الأساليب أنهن جعلن لأبواب حاناتهن الوسيعة طاقات صغيرة في مستوى وجه الباب يفتحنها ، وينظرن منها الى الطارق والتعرف عليه،حتى اذا اطمأنن له فتحن له الباب ليدخل فيرحبن به ترحيباً لائقاً ، وكان رجال الشرطة لا ينفكون يشددون المراقبة للحصول على شيء ينعمون به دون علم رؤسائهم .

ومن طريف ما نشير اليه من الأساليب الشيطانية ما وقع في حانة (شهلاء) اليهودية المشهورة بظرفها وملاحتها وأناقة ملبسها وطيب خمرتها وحسن منادمتها لروادها ، وكان أحد الشعراء مولّهاً بها وكان يشرب ويشبب بها في شعره ، وقد جاءها ليلاً فطرق الباب ودخل واقفل الباب وراءه . وبعد برهة قصيرة دق الباب فدنا الشاعر مع صاحبته اليهودية من الكوّة الصغيرة ونظرا الطارق فأبصرا شرطياً فوجما خيفة وقد فاتهما ان الشرطي لا يود ازعاجهما وانما يريد أن يسقى خمراً وقد أخذ يلح في الدخول الى الحانة ، ومن يأمن كيده اذا فتح له الباب ، وفي هذا الموقف الحرج فطنت شهلاء اليهودية الى الثقب الذي في الباب ووضعت فيه انبوبة قصب وصبت الخمر في داخل الحانة والشرطي يشرب من الخارج ، فروى الشرطي ظمأه وبذلك قال الشاعر صاحبها :

| | |
|---|---|
| سأل الشرطي ان نسقيه | فسقيناه بأنبوب القصب |
| انما نشرب من أموالنا | فاسألوا الشرطي من اين شرب[1] |

وكانت كل حانة يومذاك تشتمل على غرفتين أو ثلاثة تطرح في احداها الزقاق في بعض زواياها بعيدة عن الأنظار ، والذين يشربون يقعدون في غرفة اخرى على البسط كل منهم قابض على كأسه ، وتمر القينة بالشاربين تحمل

---

(1) مسالك الابصار ج ١ ص ٢٩١

ابريقاً معدنيا له عنق طريل فتملأ الكؤوس الفارغة ، وأحياناً يمزجن الخمرة بالماء حسب ما يطلبه الشارب وفي ذلك قال أبو نؤاس :

فدعا بالبـزال ثـم وجاهـا | فجرت كالعقيـق والجلنـار
في أباريق من لجين حسـان | كظبـاء سكـن عرض القفـار
أوكراك ذعرت من صوت صقر | مفزعـات شواخص الابصـار

ولم تكن الحانات مختصرة في بغداد بل تعدت الى أماكن أخرى خارجها، وهي أماكن نزهة محفوفة بالكروم والأشجار ، فيقصدها المعاقرون للخمرة والمواضبون على اللهو والعبث والدعارة فيقيمون فيها اياماً غير معدودة .

ومن هذه الحانات تلك التي نزلها أبو نواس عندما أزمع الى الحج في احد الأعوام وهي بين الكوفة والقادسية فلما حلّ بها وذاق خمرتها تشهى متعها ونازعته نفسه على الأقامة فيها والتسويف في أمر دينه في سبيل دنياه فتحول عن الحج واستقر فيها يشرب ، وما زال يحتسي الكؤوس ويداعب القيان بشعره حتى وفد أوائل الحجاج عائدين من أداء المناسك ، فكرّ معهم راجعاً الى بغداد ، وكأنه كان منهم .

واكثر القرى شهرة يمثل هذه الحانات هي عانة وقطربل وقنة الفرك وكلواذا والصالحية وطيرناباذ والكرخ .

وكانت هذه الحانات على اختلافها تدّر على اصحابها المال الغزير ممّا ساعدهم على البذل في رشوة اصحاب النفوذ المسؤولين وكفّ الأذى عنهم حتى ليظهر بعضهم حاله عياناً بدون خوف ولا وجل ، يقيم بناء حانته بجانب بستان نزه يملأ الأنظار بهجة ومتعة ، ومثل ذلك ما فعله احد المقربين الى الخليفة المتوكل ، وقد انصرف الى هذه التجارة الرابحة فاقام حانة فخمة لتكون مأوى للشاربين من ذوي اليسار والقواد وأبناء الأسر المشهورين في بغداد ، فلا يسمح لأحد من العامة الوضعاء بالدخول اليها والتمتع بملاذها ، واعد فيها كل ما يلزم للشرب ليرضى الذين يرتادون اليها ، واتخذ لها خماراً يهودياً يعرف من اين تؤكل الكتف وحال بنفوذه دون قيام الشرطة بواجبها في مراقبته وان كثيراً من كبار بغداد اغرموا بهذه الحانة فكانوا يتوافدون

عليها ليلاً ونهاراً وينعمون بما يلقون فيها من لذّة الشراب وجمال القيان حتى تعدى هذا الى بعض الخلفاء العباسيين الذين حال مقامهم الرفيع دون ترددهم على الحانات فأنشأوا مثيلات لها في حدائق قصورهم كما حدث للخليفة الواثق الذي كان يحب الحانات ويسعى لرفع مستواها فجعل له حانتين احداهما في دار حرمه ، والأخرى على حافة شط دجلة ضمن دار ضيافته ، وبعد ان اثثها واقام فيها أحواضاً من المرمر تنفث الماء بصورة تجلب الأنظار ، وأمر ان يختار له خمار نظيف من أهل قطربل فجيء له بنصراني خبير بأمور الحانات ، له ابنان نظيفان مليحان وابنتان وسمتا بميسم الظرف والملاحة ، وزوجته لا تختلف عنه دراية بالحانات ، فجعل النساء في حانة الحرم ، والرجال في حانة دار الضيافة ، وضمّ اليهم خدماً وجواري ، ونقل اليهما أحسن الشراب المعتق ، وأمر أن تعلق الستور الموشاة بالذهب فى الحانتين ، ووضع فيهما الأواني المذهبة ، والدنان المطيبة ، وامر بأحضار احسن القيان البارعات في الغناء والمغنين المعاصرين لهن ، ولم يدع احداً ممن يحسن الضرب على العود والطنبور إلاّ وأحضره ، وبرز الخمار مع زوجته واولاده وفي اوساطهم الزنانير ، ومعهم غلمان يحملون المكاييل والأوزان والمبازل في اطباق من فضة ، واخرجت الدنان من مكمنها قد طينت رؤوسها تطييناً نظيفاً يعبق منه المسك والزعفران ، واقيمت بازاء المجلس الذي كان جالسا به الخليفة وبزلت الدنان ( ثقبت ) كما يفعل في الحانات، فيؤتى بالنماذج فيذوقها الخليفة أولاً ، ثم تعرض على الجلساء فيختار كل منهم ما يشتهيه ويجيء إلى الخمار فيكتال منه ما يكفيه .

ويأمر الخليفة ان تجعل على رؤوس الحاضرين اكاليل من الزهور وما أشبهها من الرياحين ، ويشربون على غناء القيان والمغنين ، ثم يأمر الخليفة بتوزيع الجوائز ، فيعطى للخمار الف دينار ، ولزوجته مثلها ، ولكل واحد من أولاده خمسمائة دينار ، ولن يبرح المجلس أحد من الحاضرين إلاّ بجائزة تناسب مقامه .

وكانت هذه الولائم تقام في الحانات بدلاً من قصر الخليفة وهي محرمة

على الحرائر ومقتصرة على الرجال الضيوف والقيان والجواري ، وتقام هذه الولائم عادة عند المساء فتبقى إلى آخر الليل وتزين بالغصون الخضراء ، وتنثر الزهور على وجه الأرض ، وتوقد الشموع وهي بشكل ( ثريات ) تقوم على اعمدة مركزة في الأرض ، على قاعدة مثلثة وتضاء الى جانبها سرج الزيت ، وعندما يبدأ الضيوف بالوفود يقف الخدم والجواري عند المدخل لاستقبالهم والترحيب بهم ، فيخلعون أخفافهم ، ويغسلون ايديهم وارجلهم بماء الورد في أوان من فضة •

ومن تقاليد هذه الولائم ، أن لا يتوجه المدعو رأساً إلى قاعة المائدة ، ويبدأ بالتفرج على ما تحويه الدار من رياش فاخر ، وزهور وانوار ساطعة، وسرر منظّمة ، ومقاعد مزركشة ، إلى أن يصل إلى المائدة وهي تزخر بالأطعمة الشهيّة ، ويتألف طعام المائدة من ثلاثة أصناف •

الأول : من اللحوم وفي مقدمتها لحم الضان والبقر والغزال •

الثاني : من لحم الطيور الداجنة ، وطرائد الصيد ، بضمنها الأسماك •

الثالث : الحلويات المعجونة بالسمن والعسل ، والفواكه والخضروات والرياحين •

وتقدم هذه الألوان مجزأة ، ليسهل تناولها باليد ، لأنهم لم يألفوا استعمال الملاعق والشوكات والسكاكين ، وبعد الفراغ من تناول الطعام ، يبدأ الشرب ومنادمة القيان المتخرجات على اساتذة اكفاء ، ثم يأتي دور الجواري الراقصات ، وهنّ يرتدين الأثواب الموشّاة برسوم الزهور ،خاصة بالرقص ، وهي أثواب شفّافة تنم عما يكتمن فيها من بديع صنع خالقهن ، ويتبعهن جواري من نوع آخر ، تكاد ثيابهن الشفافة الملتصقة في اجسامهن لا تخفى شيئاً من الملامح المثيرة للشعور ، وفي غمرة ثورتهن الفنية في الرقص يعمدن إلى فك العقد التي تضم شعورهن فينسدل ليل الشعر على نهار الأجسام ، وفي هذا قال الشاعر :

| | |
|---|---|
| بيضاء تسحب من قيام شعرها | وتغيب فيه وهو ليل أسحم |
| فكأنها فيه نهار ساطع | وكأنه ليل عليها مظلم |

وترافق الموسيقى أنواع الرقص الذي يأتين به في مختلف الأدوار ،ومن عادة المدعوين حين تعلن الاستراحة ، مداعبة القيان والجواري ، وهم في نشوة سكر بجر شعورهن وتقبيلهن خلسة منها وكل هذا يحدث أمام انظار الجميع دون أن تثير هذه المشاهد اشمئزازا وخجلا ، وعندما يطلع الفجر ويتنفس الصبح يتسلل بعضهم إلى منازلهم ويبقى الآخرون غارقين في سبات عميق .

## في منزل ابن رامين

ابن رامين اسمه عبدالملك مولى عبدالملك بن بشر ، وكان من كبار التجار في بيع القيان والجواري للخلفاء وأولادهم ، وللوزراء والقوّاد والأعيان والأثرياء ، وكان كلما جيء له بقينة ظريفة ، وجارية جميلة يبعث إلى قصر الخليفة او إلى أحد الامراء من يغرونه بالشراء ، واكثر هولاء الوسطاء يومئذ من بطانة صاحب القصر والمترددين اليه من الشعراء والمغنين، وكان محمد الأمين بن الخليفة هارون الرشيد ، مولعاً باقتناء القيان الحسان ، غير مبال بما يبذله في سبيلهن من الأموال الطائلة ، وقد بلغه ان ابن رامين النخاس المشهور يملك مثل هذه القيان ، فانتدب الفضل بن الربيع ليحقق له رغبته ، ووصل الخبر إلى ابن رامين أنّ الفضل قادم اليه فيهذه المهمّة ،فقام وأصلح شأنه وأوعز إلى قيانه بالتأهب لملاقات الضيف الكريم ، وفي الصباح الباكر أقبل الفضل مع حاشيته على خيول جياد ، عرف مما عليها من الديباج، أنها من اصطبل الرشيد ، وقد تقدم أحد الحاشية وطرق الباب ، وأخذ الفرسان بالنزول عن جيادهم ، وأول من نزل الفضل بن الربيع ، وكان طويل القامة ، رقيق العضل ، خفيف شعر اللحية ، أسمر اللون ، تخالطه صفرة ، وهو لا يزال بعنفوان الشباب ، وبعد أن فتح الباب ، دخل حاشيته إلى دار الرقيق ، فأشرف منها على فسحة واسعة تحيط بها عدّة غرف ، وكانت

الفسحة مزدحمة بحاشية الفضل ، وانظارهم متجهة إلى الغرف كأنهم يشاهدون بها شيئاً غريباً ، وبجانب الباب من الداخل غرفة لاستقبال الضيوف مفروشة بالطنافس الفاخرة ، وفيها الوسائد المصفوفة بين الجدران المزخرفة بالنقوش الملونة ، وكان الفضل قد دخل هذه الغرفة مع كبار خاصته ، ولبث في انتظار ابن رامين الذي أقبل على الغرفة ، فرأى الفضل جالسا الأربعا، وقد أسند مرفقيه على ركبتيه ، فهرع اليه وأكبّ على يديه يقبّلها ويدعو له ، فضحك له الفضل وقال : أظننا اقلقناك بهذه الزيارة ؟ فقال : كلاّ يا مولاي فانّ زيارتكم شرف لنا ، واشار الفضل اليه فجلس وقال له : إنّ مولانا ولي العهد رغب الينا أن نأتيه بما عندكم من القيان الحسان ، وعسانا نوفق إلى ذلك ، وقد أحببنا زيارتك لمشاهدة الرقيق والتفرج على ما حوت من القيان والجواري ، فقد قيل لنا أنها تحوي ما يعجب كل زائر اليها ، فقال ابن رامين: في خضوع وأدب وذلك شأن النخاسين ، لقد تجشمتم المشقة بهذه الزيارة واوليتموني شرفاً لا استحقه ، وكنتم في غنى عن ذلك باشارة منكم فتنتقل دار الرقيق بأجمعها إلى ما بين يدي مولانا حفظه الله ولكن اقبال سعدنا حملكم على تكبّد هذه المشقة ، أما اذا شئتم ان تشاهدوا القيان والجواري في هذه الدار ، فانكم ترون فيها ما لا يجتمع عند أحد سواها لأني لم أدخر وسعاً في اقتناء أحسن الرقيق الأبيض والأصفر والاسمر والاسود من القيان والجواري والغلمان على اختلاف اللغات والعمر والمولد في العراق والحجاز ومصر والشام والمجلوب من أقاصي البلاد من الترك والروم والفرس وطبرستان والسند والمغرب ، فسأله الفضل : هل لديك بعض الجواري المغنيات ؟ قال: كيف لا ، وقد تعلمن الغناء عند مغنّي مولانا أمير المؤمنين نفسه وحفظن الأشعار الجيدة ، وأتقن الضرب على آلات الطرب : منهن العوادة والطنبورية وضاربة الدف والطبل ، فضحك الفضل وقال : كأني بك تصف جواري وقيان أمير المؤمنين ، وانّ مولانا ولي العهد يريد مغنّيات من القيان البيض. فقال : كل ما يطلب مولانا عندي ، وسوف يرى ما يسره ، فتحفز الفضل للقيام ، فنهض ابن رامين ، ونهض سائر الحاشية ، ومشى هو بين أيديهم حتى خرجوا من الغرفة إلى ساحة الدار ، فتسارع الخدم إلى الانزواء ، ووسعوا

الطريق الى الفضل فمشى وابن رامين بين يديه حتى قطعوا الساحة ووصلوا إلى الغرفة الأولى ، وكان بابها مفتوحاً قليلاً ففتحه ابن رامين بيده فرأى الفضل عدّة فتيات بيض صغيرات ، لا يتجاوز اكبرهن العاشرة من العمر ، لا يكسو ابدانهن إلاّ ما يستر العورة من الأطمار البالية ، وخشونة البادية ظاهرة عليهن بارسال شعورهن على طبيعتها لم يمسّها مشط . ورأى جمال البداوة يتجلى من اشراق وجوههن البيض ، المشوبة بحمرة ، دليلاً على الصحة والعافية . وناهيك بجمال العيون الساحرة ، ومنهن شقراء الشعر ، زرقاء العينين وسوداء الشعر والعينين . فلما وقع نظرهن على الفضل ورجاله نفرن نفور الظباء من الصيادين ، وظهر الرعب والخوف في وجوههن ، والغرفة اضيق من أن تتسع لفرارهن ، فجعلن يتسترن بعضهن وراء البعض وعيونهن شاخصات ، وأخذ بعضهن في البكاء واستغثن بلغة لم يفهمها أحد من الوقوف ، فدهش الفضل لذلك المشهد الغريب ، ونظر إلى ابن رامين ، فابتدره ابن رامين قائلاً : لا تعجب يا مولاي لما تراه من هؤلاء من بداوة الفطرة فان معظم اللواتي في قصر الخليفة وقصور الأمراء من الجواري والقيان ، كنّ في بادىء الأمر مثل هولاء ، وقد أتيت بكم الى هذه الغرفة لأريكم حال الجواري والقيان عند قدومهن لتعلموا كم نقاسي في تربيتهن وتعليمهن حتى تنبغ منهن القينة التي تباع بألف دينار أو اكثر .

فقال الفضل : إنّه لعمل شاق، وهل كانت (دنانير وعريب وذات الخال) وغيرهن من القيان الفاتنات في مثل هذه الخشونة ؟ قال : نعم إنّ اكثرهن جاوب على هذه الحالة . فقال الفضل : ايجوز حرمانهن من ذويهن وأهليهن وجلبهن على هذه الصورة ؟ فتبسم ابن رامين وقال : إن استرقاقهن من اكبر أسباب السعادة لهن ، فينقلن من خشونة البداوة وشظف العيش إلى المدينة والترف ، وقد يبلغن من رخاء العيش ما لا تبلغه بنات الأمراء ، خصوصاً من كانت منهن جميلة الوجه ، رخيمة الصوت ، والقليل منهن ينبغ فربّما نبغت واحدة من كل خمسين أو ثمانين ، فمن وجدنا فيها الذكاء والصوت الرخيم، علمناها الغناء وحفظناها الأشعار .

رأى الفضل أن أمر التطلع قد يطول ، فقال : أرنا أحسن ما عندك

ودعنا من هذه التفاصيل فليس في الوقت متسع لرؤية كل ما في هذه الغرف ، فتجاوز ابن رامين عدّة غرف حتى وصل الى غرفة فاذا فيها فتيات بعضهن بين الخامسة عشر والعشرين من العمر ، تبدو سذاجتهن، ويلبسن ثياباً من الأثواب البسيطة وشعورهن مرسلة او مجدولة ، وفي آذانهن اقراط ، وفي اعناقهن عقود من الخرز الملون وفيهن جمال النساء الفاتنات وحياؤهن ، فلما رأين الفضل ورجاله غلب عليهن الحياء وتولاهن الخوف ، فوقع نظر الفضل على واحدة منهن ، رأى في عينيها سحرا ، وفي قامتها رشاقة ، وقد زادتها السذاجة حسنا وجمالاً فوقعت في نفسه موقعا حسنا ، فكلمها بالعربية فلم تفهم مراده ، ولكنها أدركت أنه يناديها ، فنفرت واختبأت وراء جارتها ، وحولت وجهها وغطته بذراعها ، فأعجبه ذلك النفور ، فقال : أين العباس بن الاحنف ، والحسن بن هاني ابو نواس ، ليصفان هذا المنظر الجميل في شعرهما فقال ابن رامين : صدق مولاى ، ليتهما هنا ؟ وأظن ان هذه الجارية اعجبتك ، إن هذه الجارية من طبرستان ، اشتريتها فى جملة جوار من نوعها فليس منهن اجمل منها ، فكيف لو رأيت الجواري المولدات من البصريات والكوفيات ، وبينهن من اذا أفرغت عليها جرة ماء وهى قائمة فلا يصيب ظاهرة فخذيها شيء لعظم عجيزتها ، فضحك الفضل لمهارة ابن رامين في وصف النساء على شيخوخته وقال له : أراك ماهرا في وصف القيان الحسان ! فأجابه ويده على لحيته : وأين قضيت هذه الشيبة يامولاي . فقال الفضل : اذهب بنا الى الجواري المولدات ، فقام وتبعه الفضل والحاشية ومشى حتى وصل الى غرفة وفتح بابها ووسع للفضل ،فدخلها فرأى الغرفة مفروشةبالبسط الفاخرة والوسائد وفي بعض جوانبها ثلاث من القيان البيض جالسات ، وقد فاحت رائحة المسك منهن ، وعلى احداهن ملحفة معصفرة فوق غلالة حمراء ، وعلى رأسها عصابة مزركشة ، وقد أرخت تحت العصابة سالفتين ، علقت في طرف كل سالفة ياقوتة حمراء ،وأرخت شعرها كأنه الليل على محيّا كالبدر المنير ، وتعطّرت بعطور ملأت رائحتها أرجاء الغرفة ، وهى أجمل من صاحبتيها خلقة ، وأحسن هيئة ، على ان صاحبتيها كانتا في مثل لباسها ،

ولكنها تفضلهما بجمالها الفتان ، وبعينيها السوداوين ، ولونها الابيض في صفاء البلور ، وفي عنقها عقد من العقيق ، وكانت جالسة بين رفيقتيها على وسادة ، فلما فتح الباب أبتدأها ابن رامين قائلاً :

قومي يا (قرنفله) وقبلي يد مولانا الفضل بن الربيع ، وكانت تعرف هذا الاسم وعلاقته بقصر الخليفة ، وتحضرت للوقوف ، وطال تحفزها لثقل أردافها ، ثم مشت وهي تتمايل وسراويلها تتثني فوق قدميها ، حتى اذا مادنت من الفضل هشت له وابتسمت ابتسام التحية بلطف ورقة ، وانحنت تقبل يديه فمنعها من ذلك والتفت الى ابن رامين التفاتة استحسان فقال ابن رامين خاطبها يا مولاى فأنها فصيحة اللسان . فحياها الفضل فاجابته بأفصح لسان فادرك من لهجتها انها بصرية ولكنها تختلف عن اهل البصرة بلون الوجه وسائر الملامح . فنظر الى ابن رامين نظرة المستفسر وقال لعلها من اهل البصرة ؟ فقال كلا يا مولاي ولكنها ربيت في البصرة منذ طفولتها وأصلها من بلاد الكرج وقد ابتعتها صغيرة وآنست فيها ذكاءاً وجمالاً فارسلتها الى البصرة وتعلمت العربية وحفظت الاشعار . ولما عادت الي اعجبني نطقها ورخيم صوتها ورأيت ماعلمته من رغبة رجال الدولة اقتداءاً بأمير المؤمنين تعليم الجواري البيض الغناء فرغبت الى ابراهيم الموصلي من تعليمها فأتى حتى بذلت له المال الكثير وصرت ابعثها اليه كل صباح تأخذ عنه الغناء حتى اتقنت هذه الصناعة واصبحت نادرة بين القيان ولا نظير لها حتى في قصر الخليفة . وكان ابن رامين يتكلم والفضل يتأمل بحال الجارية . وكانت قد انزلت عوداً معلقاً على الحائط فانحسر كمها عن يدها فبانت بضاضة زندها وعليه الاساور والدمالج ورأى قرطيها يلمعان في اذنيها ، فقال الفضل قلت انها تحفظ الشعر والعربية ، قال اسألها ماشئت واسمع حديثها وانظر الى العصابة واقرأ ما عليها فقرأ واذا به :

| | |
|---|---|
| بدر على غصن نظير | شرق الترائب بالعبير |
| خطت صحيفة خده | من صفحة القمر المنير |

فاعجبه ذلك اعجاباً شديداً فتحقق لابن رامين ان الفضل سيشتري هذه

الجارية لامحالة فاراد ان يرغبه في الاخريات واشار الى احداهن اشـــارة فهمتها فانزوت في بعض الغرفة والتفت الى مرآة معلقة بالحائط بحيث لايظهر وجهها لأحد وكان الفضل مشتغلا عن ذلك بمراقبة الجارية الاولى وهـــي تتلهى بأصلاح اوتار عودها ، فلما علم ابن رامين ان الجارية الثانية اتمت وصيته التفت الى الفضل وقال يامولاي انظر ما على وجنة هذه الجارية ! وقال لها تقدمي (ياسوسنة) فأتت تتهادى بمشيتها وثوبها الارجواني يتمـــوج بلمعانه فتفرس الفضل في وجهها فرآها قد كتبت على خدها الناصع بالمسك الفضل بن الربيع فافتتن بها ورغب في هذه الجارية ايضاً ، وادركت الجارية الثالثة رأيه وخافت ان تبقى وحدها وهى تعد ذهابها مع الفضل نجاحا كبيرا لاتطمع في احسن منه فانفردت جانبا وفي يدها تفاحة عالجتها سرا فناداهـــا ابن رامين تقدمى (ياسلافة) فاقبلت على الفضل وقدمت التفاحة له فتناولهـــا واذا عليها بيت من الشعر مكتوب بالغالية وهو :

اقول والركب قد مالت عمائمهم وقد سقى القوم كأس النعسة السهر

فأدرك الفضل انها تشير الى ما يقوله الشاعر :

ياليت انى باثوابى وراحلتـــي عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجـر

ان كان قد رما يعطيـك ناقلـة منـــا ويحرمنا ما انصف القــدر

فكانها تعرض له برغبتها في الذهاب مع رفيقتيها • فاستحسن فطنتها وعزم على ابتياع الجميع • وكان في عزمه سماع غنائهن ولكنه رأى انه ابطأ ولم يكن ميالا الى اللهو والقصف وانما طاوع الامين بذلك • وخرج الفضل من الغرفة ويتبعه رجاله وابن رامين بين يديه وسار حتى ادخلهم غرفة الاستقبال لانه يرى في الوقت سعة • والتفت الى ابن رامـين وقال : بعنـي هـــذه الجـــواري الثلاث ، فوقف ابن رامين إجـــلالا وقال هـل على ولـى العهد شرط او مساومة فان الجواري جواريه ونحن كلنا عبيده سواء اعطانا مالا او لم يعط • فقال الفضل بارك الله فيك سوف ترى مايسرك فما عليـك الا ان ترسل الجواري الى قصر مولانا مع وكيلك لاخذ المال • وتحفـز للنهوض واشار الى الخدم ان يسرعوا في اعداد الركائب وخرج وهو متلثم بطرف عمامته اخفاء لما جاء من اجله وسار وحاشيته معه •

# القيــان المؤدبــات

في العصر العباسي زاد الاهتمام بتثقيف القيان والجواري الى جانب اهتمامهم بظرفهن وملاحتهن وقد جعلت الصفات الادبية لهن شأنا وقيمة منها خفة الروح وتوقد الذكاء ورفاهة الحس ، وحلاوة النكتة وسرعة الجواب ولطافة الفطنة والمجون المستحب كل هذا اصبح وجوده لازما في القيان والجواري ، وقد فطن النخاسون الى ذلك فكانوا يهدون اولا الى علماء اللغة والاداب لتثقيف قيانهم وجواريهم ليأخذوا عنهم آداب اللغة ومالحق بها من علوم اخرى ثم الى اساطين فن الموسيقى ورجالها لتعليمهن الغناء وما يتعلق به من حفظ الاشعار والانشاد ليصبحن قيانا بارعات مثقفات وليفخروا بهن حين تعقد حلقات المطارحة والمنادمة ، ولهذا واضب رجال الفكر وعلماء اللغة والشعراء في التردد على هولآء القيان للتمتع في محاسنهن والاصغاء الى مايدور بينهن في المباحث الادبية والقصائد الشعرية وقد نشأت كثيرات في هذا المضمار الادبي ومنهن الجاريتان اللتان قال لهما الخليفة الرشيد لتقل كل واحدة منكما شعراً فمن كانت ارق شعراً واحسن شأنا حظيت عندي فقالت الاولى :

انا التي امشي كما يمشي الوجى    يكاد ان يصرعني تغنجي
من جنة الفردوس كان مخرجي

وقالت الثانية :

انا التي لم ير مثلي بشرْ    كلامي اللؤلؤ حين ينثرْ
اسحر من شئت ولست اسحرْ

فقال لهما احسنتما واجدتما فما لواحدة فضيلة على الاخرى وحظيتا عنده اما ادبهن وحضور بدائهن وجميل ردودهن فشواهده كثيرة شعرا او نثرا ومن ذلك ما وقع بين الخليفة المأمون وقينته عريب فقد اغضبها يوما

نهجرته فدخل عليه القاضي أحمد بن ابي دؤاد ، فقال المأمون يا أحمد تعال فاقض بيننا فقالت عريب لاحاجة لي في دخوله بيننا وانشدت ،

ونخلط الهجر بالوصال ولا يدخل فى الصلح بيننا احد

وبهذا حصل الصلح بينهما ،

ومرة اخرى عتب المأمون على عريب في بعض الامر فهجرها اياما ثم مرضت فعادها وقال لها : كيف وجدت طعم الهجر ؟ قالت يا أمير المؤمنين لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل • ومن ذم بدء الغضب حمد عاقبة الرضا :

ومثل ذلك ما ذكره محمد بن على بن عثمان قال كان ابى عند ابن كناسة والقينة دنانير يومئذ عنده فقال له اتريد ان اعرفك شيئا عن فهم دنانير وادبها قال ذلك ماكنت اتمناه فكتب اليها :

انكامرأة ضعيفة لكعاء فاذا جاءك كتابي هذا فعجّلي بالجواب والسلام

فكتبت اليه : ساءني تهجينك اياي عند أبي الحسين • وان من أعيا العي الجواب عما لاجواب له والسلام • فهز الي رأسه اعجابا بجواب دنانير لابن كناسه :

وسأل علي بن الجهم في ليلة منادمة جارية له • كم بيننا وبين الصبح ؟

قالت • عناق مشتاق ! فجوابها يدل على ان الوقت طويل لان المشتاق يطول عناقه •

واستطرد يحدثها وقد طاب له الحديث والمسامره معها •

فقال • انظرى الى القمر ؟ فاجابته ماأولعك بالجمع بين الضرائر•• وهو جواب يدل على توقد الذهن وسرعة الخاطر ،

ومثل هولآء القيان والجواري كثيرات كن يوقعن الشعراء بالاجوبة المسكتة • واشتهرت من بينهن ( عنان ) جارية الناطفي التي عاصرت أبا نواس وكانت لها معه مساجلات شعرية ومطارحات نثرية لا تخلو من المجون والاقذاع • وقد رآها يوما وفي يدها طاقة نرجس فسألها اياها فضنت بها

عليه • فقال ما اقبح البخل ، فاجابته افبح من البخل شاعر مفلس • وجلس[1] ابو نواس الى عنان يوما فقالت كيف علمك بالعروض وتقطيع الشعر ياحسن ؟ قال جيد قالت قطع هذا البيت :

اكلت الخردل الشا مي في قصعة خباز

فلما ذهب يقطعه ضحكت به واضحكت • فأمسك عنها وأخذا في ضروب من الأحاديث • ثم عاد سائلا لها فقال كيف علمك بالعروض ؟ قالت حسن ياحسن فقال قطعى هذا البيت ،

حوّلوا عنا كنيستكم يابني حمالة الحطب

فلما ذهبت تقطعه ضحك ابو نواس فقالت له قبحك الله ما برحت حتى أخذت بثأرك •

واغرب من هذا ماحدث به بعض الهاشميين لاخوانه قال خرجت فى ليل مظلم فرأيت امرأة ذات لباس فاخر وجمال نادر ووجه يلوح وعطر يفوح وحولها نسوة قد حففن بها كما تحف الهالة بالقمر ، فقلت :

(ان اخا الظلماء مستراب )

فسمع النسوة فاجابت التى حففن بها فكحلت الشطر الذى قلته

( الا محباً شاقه ألاحباب )

فسألت عن المرأة فقيل هي فضل الشاعرة قينة الخليفة المتوكل فتعجبت من سرعة خاطرها وحسن بديهتها وبذلك صار كل من الخلفاء والامراء والشعراء اذا سمع جواباً شافيا من قينة أو جارية أعاده استحسانا له وربما كان هذا مدعاة لشرائها باغلى الاثمان او الانعام عليها بأثمن الجوائز •

---

(١) العقد الفريد طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر ج ٦ ص ٥٩

## الفصل الثاني

## أشهر القيان

### بصبص

هذه اول نجمة من نجوم الغناء اللامعة بسماء بغداد فى العصر العباسى الذهبي وهي قينة من القيان اللواتي اكتض بهن منزل يحيى بن نفيس ومنزله معرض يضم خيرة القيان واحسن الجوارى يجتمع فيه اشراف بغداد لسماع غناء القينة بصبص التى امتازت على زميلاتها بما وهبها الله من حسن الصورة وقوة الحنجرة من الغناء مما جعلهم يلهجون بذكرها ويثنون عليها . وممن كان يغشى هذا المنزل محمد بن يحى او عبدالله بن يحى وعبدالله بن مصعب بن الزبير . ومر ابو جعفر المنصور الخليفة العباسى بالمدينة عائدا من الحج واقام بها اياما وغادرها دون ان تتوق له نفسه الى سماع المغنين والمغنيات . وابو جعفر في غنى عن ذلك لانه رجل لاتلهيه لاهية عن مهام الخلافة والخلافة يومذاك في باديء نهضتها فقال عبدالله بن مصعب وقد تعرض بالخليفة المنصور ،

| | |
|---|---|
| أراحل أنت أبا جعفر | من قبل أن تسمع من بصبصا |
| هيهات أن تسمع منها اذا | جاوزت العيس بك الاعوصا |
| فخذ عليها مجلساً لذة | ومجلساً من قبل ان تشخصا |
| احلف بالله يميناً ومن | يحلف بالله فقد اخلصا |
| لو أنها تدعو الى بيعة | بايعتها ثم شققت العصا |

فلما بلغت الابيات المنصور غضب ودعا بعبدالله بن مصعب وقال اما انكم يا آل الزبير قديما قادتكم النساء وشققتم معهن العصا حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنيات ؟ فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم .

ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك أن عبدالله اصطبح مع بصبص وهي تغنيه:

اذا تمــررت صراحيــــة كمثل ريح المسك او اطيـب
ثم تغنــى لي بأهزاجــه زيد اخو الانصار او اشعب
حسبت انى مالــك جالس حفت به الاملاك والموكـب
فلا أبالي وإلــه الــورى أشرق العالـم ام غربـوا

فقال ابو جعفر . العالم لايبالون كيف اصبحت وكيف امسيت ولكن الذى يعجبني ان يحدو لي الحادى الليلة بشعر العنبرى فهو آلف على سمعي من غناء بصبص واحرى ان يختاره اهل الذوق والعقل ، وقال ابن ابــى الزوائــد فى بصبص ،

بصبص انت الشمس مزدانــة فإن تبدلت فانت الهــلال
سبحانــك آللهـم ماهكــذا فيما مضــى كان يكون الجمال
اذا دعــت بالعــود في مشهــد وعاونت يمنى يديها الشمــال
غنــت غناءاً يستفــز الفتــى حذقاً وزان الحذق منها الدلال

وممن شغف ببصبص وهام بها محمد بن عيسى الجعفرى وطال عليــه ذلك . فقال لصديق له لقد شغلتنى هذه عن صنعتى واستحوذت على كـل مشاعري قم معى اليها حتى اكاشفها واقع على سر نواياها فاستريح فاتياهـا فرحبت بهما ولما غنت لهما قال محمد اتغنين :

وكنت احبكم فسلوت عنكـم عليكـم فى دياركـم السلام

فقالت لا ولكنى اغنــى :

تحمل اهلها عنــا فمــالــوا على آثار من ذهـب العفــاء

فاستحيا وازداد بها كلفا وعشقا فأطرق وقال اتغنين :

وأخضع بالعتبى اذا كنت مذنباً وان اذنبت كنت الذي اتنصل

قالت نعم واغنى احسن منه :

فان تقبلوا بالود نقبل بمثلــه ومنزلكـم عنــا بأقــرب منزل

وبهذا انهما تقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين :

وغنت بصبص في مجلس كان فيه ابو السائب المخزومي :

قلبي حبيس عليك موقـــوف والعين عبرى والدمع مذروف
والنفس في حسرة بغصتهـــا قد شف أرجاءها التساويف
ان كنت بالحسن قد وصفت لنا فانني بالهـوى لموصـــوف
ياحسرتا حسرة امـــوت بهـــا ان لم يكن لى لديك معـروف

فطرب المخزومي ونعر وقال لا أعرف لله قدره إن لم أعرف لك معروفك ثم اخذ قناعها من رأسها وجعل يبكي ويقول لها بأبى والله انت انى لارجـو أن تكوني عند الله أفضل من الشهداء • وجعل يصيح واغوثاه يا لله لما يلقى العاشقـــون ،

وكان فتيان قريش مفتونون بغناء بصبص وكثيراً ما كانوا يحضرون مجالسها وكان فيهم فتى يحبها ويشبب بها في شعره فسألته حاجة يقضيهـا لها فقام ليأتيها بها فنسى ان يلبس نعله ومشى حافيا فقالت له نسيت نعلك فعاد ولبسها وقـــال :

وحبك ينسيني عن الشيءفي يدي ويشغلنى عن كل شيء احاوله

فأجابته وهى تعلم بحبه لها :

وبي مثل ماتشكوه منـــى واننى لاشفـــق من حـــب اراك تزاوله

ومن هفوات المؤرخين التى شوهت وجه الحقيقة وغيرت مجرى التاريخ ما ذكر عن بصبص ذلك أن الخليفة المهدي قد أعجب بها فاشتراها سراً في خلافة ابيه وحجبها عنه فولدت له عُليّه بنت المهدى [1] المغنية • والـــذى نعلمه ان ام عُليّه هى (مكنونة) جارية المروانية اشتريت للمهدى فـــى خلافة ابيه بمائة الف درهم وقد قالت عنها الخيزران • ماملك المهدى جارية اغلظ علي من (مكنونة) • فيستدل من هذا ان بصبصا هى ليست ام عُليّة وهناك كثير في كتب الادب عنها لمن اراد الاستزادة •

---

(١) هو محمد المهدى بـــن المنصور تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ ٧٧٥م الى سنة ١٦٩ هـ ٧٨٥م

# غــادر

لم يرد في اخبارها انها قينة من القيان الشهيرات ولا مغنية من المغنيات المحترفات وغاية ما هنالك انها جارية من الجوارى الحسان تفردت بالجمال الباهر والعقل الراجح ، وقعت في قلب الخليفة الهادى [1] موقعا عظيما ومن شغفه بها تزوجها وافرغ لها مكانا في قلبه . وكان يغار عليها من اقرب الناس اليه والمحب من طبعه ان يكون سيىء الظن بحبيبه. وكلما اشتد فيه الحب كثرت هواجسه وزاد ظنه بحبيبه .

وفي يوم من الايام كانت غادر تغني الهادي وهو مصغ اليها فعرضت له فكرة اضطرب لها اضطرابا شديدا كاد أن يقضى عليه وأخذ يلتفت يمينا وشمالا ويقوم ويعقد . فسأله من حضر من خواصه فقال تبادر الى ذهني الآن أني أموت وان أخي هارون يعتلي كرسي الخلافة من بعدي ويتزوج جاريتي غادر ، فقالوا له : نعيذك بالله يا أمير المؤمنين الكل قبلك ، فأمر باحضار أخيه هارون وعرفه بما اضطرب له فأجابه لايكون هذا يا اميرالمؤمنين أبدا فقال لا أرضى حتى تحلف أني متى ما مت لا تتزوجها ، فحلف له واستوفى عليه الايمان من الحج راجلا وطلاق الزوجات وعتق المماليك وتسبيل ما يملكه ثم احلفها بمثل ذلك !.

ان الهادي خطا هذه الخطوة . وقد فاته ان المحب اذا كثر حبه وهاجت عواطفه يصيبه ضرب من الجنون . ولم يمض على ذلك شهر حتى مات الهادي وبويع الرشيد[2] . ولما استقرت الخلافة له بعث الى غادر يخطبها فقالت له كيف يكون هذا ؟ وماذا تصنع بالأيمان ؟

فقال اكفر عن الكل واصبح راجلا . فتزوجها وزاد حبا لها حتى انه

(١) هو موسى الهادي ابن المهدي تولى الخلافة سنة ١٦٩هـ ٧٨٥م الى سنة ١٧٠هـ ٧٨٦م

(٢) هو هارون الرشيد بن المهدي تولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ ٧٨٦م الى سنة ١٩٣هـ ٨٠٩م .

صار يضع رأسها في حجره وتنام ولا يتحرك حتى تنتبه! واحياناً يأخذ المروحة بيده ويروّح لها تاركا وراءه ابهة الخلافة وعظمة سلطانها .

وظل يمرح في رياض محاسنها وهو في غفلة من ريب الدهر ، فبينما هي نائمة كعادتها انتبهت فزعة مرعوبة تبكى بكاءاً حاراً فسألها عن حالها ومـا اصابها ؟ فقالت يا امير المؤمنين رأيت اخاك الهادى واذ في سنة النوم بهـذه الساعة وقد اخذ يعاتبنى ويؤنبنى ويقول لى .

| | |
|---|---|
| اخلفت وعـدك بعدمـا | جاورت سـكان المقابـر |
| وحلفـت أن لا تحنثـي | ايمانك الكذب الفواجـر |
| ونكحت غـادرة اخـى | صـدق الذى سماك غـادر |
| امسيت في اهـل البلـى | وغدوت في الحور العوائـر |
| لا يهنـك الألف الجـديد | ولا تدر عنـك الدوائـر |
| الحقت لي قبـل الصبـا | حوصرت حيث غدوت صائر |

والله يا امير المؤمنين فكانى اسمع ما قال وكانما كتبه في قلبى فما نسيت منه كلمة واحـدة .

فقال لها الرشيد انف عنك الفزع ما هذا الا اضغاث احلام فقالت كلا كلا يا أمير المؤمنين وهي تضطرب وقد تغيرت سحنتها واصفر وجهها وغارت عينا ها ولم تزل تضطرب حتى سقطت جثة هامدة ولحقت بالهادي .

## علية بنت المهـدي

ازدهرت الفنون الجميلة فى العصر العباسي وعمت الحضارة كل مكان وأخذ صوت الموسيقى يملأ أجواء بغداد معبّراً عن رسالته الفنية ومفصحاً عن الحنة الغنائية فتلقاها الخلفاء واولادهم والأمراء والأغنياء بكل فخر واعتزاز. وبذل بعض الخلفاء وأولادهم أقصى مجهودهم في تعليم صنعة الغناء واتقانها وخلدوا اسماءهم في سجل تعتز به الموسيقى وتاريخها ومن بينهم من الرجال نبغ ابراهيم بن المهدي ومن النساء اشتهرت الأميرة علية بنت المهدي التي كان

لها الحظ الأوفر والنصيب الكامل في الغناء العربي نشأت علية اميرة عباسية تستقبل خلافه بعد خلافه فمن خلافه الجد والاب الى خلافه الاخوان وابناء الإخ فشبت زهرة يانعة مدلله بين مقاصير الذهب واللؤلؤ ووسط الحرير والديبج • وثقفت بما هو جدير بامثالها من بنات الخلافه والملك ، كانت علية تقرض الشعر الجميل وتصنع له لحناً اجمل وتؤديه باعذب صوت واحسن اداء وقد جمعت بين شخصية الفنانة البارعه وصفات المتعبدة الزاهدة وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ الا اذا كانت معتزلة للصلاة الاعتزال الشرعي • فاذا طهرت أقبلت على الصلاةوقراءة القرآن والكتب الدينيةوالادبية، ولا تلتذ بشيىء غير قول الشعر والمنادمة فيه •

وكانت مفتونة بالمطالعة والبحث في الكتب التاريخية والأدبية لا تنفك منها آناء الليل واطراف النهار • ولها مع اخيها الرشيد مواقف غذئية ومطارحات شعرية يلتذ بها الرشيد ويسجلها في مجموعة ذكرياته •

ومما حد ثوابه ان الرشيد ارق ليلة فركب حماره وخرج متلثما ومعه بعض خدمه وقصد بيت ابراهيم الموصلي فلما دخل عليه رأى عيدانا واثار لجلسة قد انتهيت فقال ماهذا ياابراهيم ؟

قال وقد ظهر عليه الارتباك • ياامير المؤمنين لقد بعثت الي مولاتي عليه بنت المهدي بجاريتين أعلمهما بعض الالحان • قال الرشيد عليّ بهما فحضرتا وامر الرشيد احداهما ان تغني فاخذت العود وشرعت تغني •

| | |
|---|---|
| بني الحب على الجور فلـو | أنصف المعشوق فيه لسمج |
| ليس يستحسن في شرع الهوى | عاشق يحسن تأليف الحجج |
| لا تعيبن من محب ذلـة | ذلة العاشق مفتاح الفـرج |
| وقليل الحب صرفاً خالصـاً | لك خير من كثير لو مـزج |

فطرب الرشيد وسأل لمن الشعر والغناء ؟ فقالت لسيدتي • قال ومن سيدتك ؟ قالت علية أخت أمير المؤمنين فأطرق رأسه وحركه قليلا ثم طلب الجارية الثانية امر ان تغني فاخذت تغني :

تحبّبت فأن الحب داعيـة الحب ۔ وكم من بعيد وهو مستوجب القرب

تفكر فأن حدثت ان اخا الهوى نجا سالماً فرج النجاة من الحب
واحسن ايام الهوى يومك الذي تروع بالتحريش منه وبالعتب
فان لم يكن في الحب سخط ولا رضى فاين حلاوات الرسائل والكتب

فطرب الرشيد غاية الطرب وسأل عن الشعر والغناء ؟ فقالت انهما لمولاتي عليه بنت المهدي . وطلب الرشيد المزيد من الغناء فغنت احداهن :

يا موري الزند قد أعيت قوادحه اقبس اذا شئت في قلبي بمقباس
ما اقبح الناس في عيني واسمجهم اذا نظرت فلم ابصرك في الناس

ولما علم الرشيد ان الشعر والغناء لاخته عُليه نهض غير متوان وانصرف في ظلمة الليل مسرعا حتى دخل على عُليه فذعرت لقدومه اليها في تلك الساعة الرهيبة . فجلس ونظر اليها بأستغراب ؟ واستحلفها بتربة المهدى ان تغني الغناء الذى سمعه من الجارتين عند ابراهيم الموصلى . فدهشت لهذا الطلب المفاجيء ولم يكن منها الا ان غنته له . فقال لها أعندك هذا ولا أعلم! وتمم ليلته عندها وكانت من احسن الليالي التى مرت بالرشيد ،

ومن براعة عليه في الغناء الحكاية التالية :

أهديت الى الرشيد جارية ظريفة في غاية الجمال والكمال . فشغف بها وحلت بسويداء قلبه فجعلها جنة حياته يستظل بظلها الوارف ويرتشف من مائها السلسل ويتنعم برحيقه الحلو وينشق عبيرها الفياح . وقد اصطبح يوما واخرج كل قيانه وجواريه من قصره فكان جميع من حضر من قيانه وجواريه ماعدا الخدم زهاء الفى قينة وجارية في احسن زي من انواع الثياب الفاخرة وشاع خبر هذا الاصطباح العظيم . وفزعت له ام جعفر وغلظ عليها ذلك . وام جعفر من طبيعتها كامرأة شديدة الغيرة وايثار نفسها على غيرها . فارسلت الى عليه بنت المهدى تشكو ما آل اليه الرشيد وما اسرف من الاموال الطائلة ارضاءاً لهذه الجارية التى سلبت عقله ، فارسلت اليها عُليه لايهولنك هذا فوالله لاردنه اليك فنظمت شعراً وصاغت به غناءا ووضعت لاخراجه منهجا رائعا . وجمعت جواريها وجواري ام جعفر والبستهن افخر الثياب وزينتهن بأبهى زينة مزودات بالعيدان والطنابير

والدفوف وفوجيء الخليفة بعد صلاة العصر بهذا الاستعراض الفخم الذي لم يألفه الرشيد من قبل ،

وكان في مقدمة الجواري علية بنت المهدي من جانب وأم جعفر في جانب آخر والجواري يضربن بالعيدان والطنابير والدفوف في نغم واحد ويرددن بصوت واحد •

منفصل عني وما قلبي عنه منفصل
يا قاتلي اليوم فمن نويت بعدي ان تصل

فدهش الرشيد لذلك وتعجب ! واقبل معتذرا الى ام جعفر وهي على غاية السرور فقبلت العذر واهدته ثلاث جواري وهن (ماردة) ام المعتصم و (مراجل) ام المأمون و (فارهة) ام صالح بن الرشيد :

هذه هي علية المحظيه التي لا تغنى الا لأهلها واذا غنت تكاد تحرك الحجر وتستخف ارباب العقول الراجحة وتقتل النفوس المغرمة طربا فكيف يهاجمها الرواة وينسبون اليها اشنع الاخبار (وما آفة الاخبار الا رواتها )

كيف تغرم علية بخدم الرشيد وأمامها الاشراف من العباسيين والامراء والقواد وغيرهم من ذوي المكانة والمقام الرفيع الذين يليقون بها وتليق بهم ويؤيد هذا ماأثبته الدكتور مصطفى جواد في كتابه القيم ( سيدات البلاط العباسي ) وكان تصريحا مشبعا بالادلة العقلية والنقلية ومن شاء فليراجعه ، ومما قاله حفظه الله وابقاه ،

« قالوا انها كانت تحب مملوكا لاخيها الرشيد اسمه (طل) على نحو مايفعل السادة المتواضعون مع عبيدهم فمنعها الرشيد من ذلك خشية قالة السوء لأن الناس يسيئون الظنون ويجعلون الاراجيف كالذى رأته العيون • ولقد نحلها الرواة شعرا لغيرها لانها لحنته وغنت به ، ولان منهم من يريد تقبيح اخبارها والانتقام منها ومن اهلها قالوا انها نظمت شعرا في المملوك (طل) وغنت فيه وصحفت اسمه الى الظل وفي رواية انها قالت شعرا في مملوكها ( رشأ ) وكنت عنه بزينب وريب الى غير ذلك مما هو سهل التلفيق صعب التحقيق على أن العدو اذا أراد مقالا في عدوه وجد له مجالا

وانا اقول ان علية بنت المهدى مع مقامها الرفيع وفنها المستحب كانت تجيد قرض الشعر وتحسن صياغة الالحان فيه • واذا صح انها قالت شعراً من اسم (طل) ورشأ فما ذاك الا تلاعباً في الاسماء أو ضربا من رفاهيةهذه المتفننة • أو أنها سلكت سلوك الشعراء المتقدمين كقول امريء القيس وهو يشبب باسم فاطم في معلقته المشهورة ،

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل　　　وان كنت قد ازمعت هجري فأجملى

فمن هي فاطم ياترى ؟ اليس هذا اسم من اسماء الترفيه او من الخيال الشعرى الذى يلازم الشعراء ،

وكذلك الاعشى يقول :

رحلت سمية غدوة اجمالها　　　غضباً عليك فما تقول بدالها

ولطرفة بن العبد مثله ،

لخولة أطلال ببرقة ثهمد　　　تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

والنابغة يقول في مية

يا دار مية في العلياء فالسند　　　اقوت وطال عليها سالف الأبد

وهذا حجر بن عمرو آكل المرار يقول

ان من غره النساء بشيء　　　بعد هند كجاهل مغرور

ولكعب بن زهير قصيدة اشتهرت بالبردة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول　　　متيم اثرها لم يفد مكبول

وللعرجى في اسم سلمى ،

لو ان سلمى رأتنا لا يراع لنا　　　لما هبطنا جميعاً ابطن السوق

ولأبن الاشعث في اسم زينب ،

خليلى عوجا ساعة ثم سلما　　　على زينب سعياً ورقياً لزينب

ولو اردنا التوسع بمثل هذه الاداة الدامغة لضاق بنا المجال في هذا البحث ،

وظلت علية معتزة بمقامها تحت أنظار الرشيد حتى توفي فحزنت عليه

حزنا شديدا وتركت الغناء • واقسمت ان لاتفوه به ماعاشت ولكن الخليفة محمد[1] الأمين كان مفتونا بغنائها وظل يستميلها حتى غنت مكرهة :

أطلت عاذلتي لومي وتفنيدي ... وانت جاهلة شوقي وتسهيدي
لا تشرب الراح بين المسمعات وزر ... ظبياً غريراً نقي الخد والجيد
قد رنحته شمول وهو منجدل ... يحكي بوجنته ماء العناقيد
قام الأمين فاغنى الناس كلهم ... فما فقير على حال •• بموجود

وكانت علية يستهويها كل غناء جديد ، ولا تحاذر أن تنسب الى نفسها ما يروق لها من غناء ابراهيم الموصلي واسحاق ابنه ويقول الاخير أنه عمل لحنا من شعر ابراهيم بن يسار وهو :

سقيا لأرض اذا ما نمت نبهني ... بعد الهدوء بها قرع النواقيس
كأن سوسنها من كل شارقة ... على الميادين اذناب الطواويس

وقبل ان يغنى اللحن او يسمعه انسان احتالت عليه ( علية ) فأخذته منه وأعطته عشرين ألف درهم على ألا يبوح لاحد انه لنفسه او يغنيه امام الخليفة • ورضي اسحاق على كره منه • وراحت علية تغنيه للمأمون وهو يطرب له ويعجب لوضعه • وبعد موت علية دخل اسحاق على المأمون فغناه الغناء نفسه فدهش وقال من اين لك هذا ؟ وهو غناء عمتي علية ! فروى له اسحاق القصة • فقال له المأمون يا بغيض وأي فخر لك من أن تبيع غناءك ثم تجهر به • فخجل اسحاق وحلف الا يغنى هذا الغناء ابدا ،

وقد ادركت علية خمسة خلفاء من اهلها وهم ابوها المهدى واخواها الهادى والرشيد وابنا اخيها الامين والمأمون ، وذكر ان سبب وفاتها هو ان المأمون جعل يقبل رأسها بعد غناء غنته له وكان وجهها مغطى وشرقت من ذلك ثم حمت وبعد ايام ماتت •

---

(١) هو ابن هارون الرشيد تولى الخلافة من سنة ١٩٢ هـ ٩٠٨ م الى سنة ١٩٨ هـ ٨١٢ م.

# ذات الخال

وردة ثمينة وجوهرة لامعة في تاج بغداد عروس الدنيا ومدينة العلم والفن اسمها (خنث) وعرفت (بذات الخال) لوجود خال على خدها أو على شفتها العليا لم ير الناس احسن منه في موضعه كانت لابى الخطاب المسمى قرين وهو نخاس شهير احترف مهنة النخاسة ببغداد ، يتجر بأسواقها بالقيان والجوارى المولدات ،

وذات الخال فتاة لعوب وقينة طروب تستهوي الارواح وتعبث بالقلوب وفي مقدمتها قلب استاذها ابراهيم الموصلى حينما كان يعلمها الغناء . فما كان منه إلا أن تعلق بها ووقع في شرك هواها فأرسل فيها شعره وتغنّى به وشهرها وشهر معها نخاسها ابا الخطاب ، ولما علم بذلك حجبها عنه ولم يعد يراها الموصلي فقال فيها :

| | |
|---|---|
| ما بال شمس ابى الخطاب قد حجبت | يا صاحبي لعل الساعة اقتربت |
| أولا فما بال ريح كنت آنسها | عادت الي بصد بعد ما جنبت |
| اليك اشكوا با الخطاب جارية | غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت |
| فانت قيمها فانظر لعاشقها | يا ليتها قربت منى وما بعدت |

وزاد الموصلى بها شوقا وغراما فقال ،

| | |
|---|---|
| اذات الخال اقصيت | محبّاً بكم صبّا |
| فلا انسى حياتى ما | عبدت الدهر لى ربا |
| وقد قلت انيلينى | فقالت اقرف الذنبا |

وقال وهو يتوجع في هذه الأبيات ويتغنى بها :

| | |
|---|---|
| اذات الخال قد طال | بمن اسقمته الوجع |
| وليس الى سواكم في الـ | ـذي يلقى به فزع |
| اما يمنعك الأسلا | م في قتلى ولا الورع |
| وما ينفك لى فيك | هوى تفتره خدع |

وفيها يقول وقد زاد به الوله :

فمن يرحم محزونا ... بذات الخال مفتوتا
آبى فيها وما يسلو ... وكل الناس يسلونا
فقد اودى به السقم ... وقد اصبح مجنونا
فأن دام على هذا ... ثوى في اللحد مدفونا

ويقول فيها وقد نفذ صبره وزاد ارقه ،

لذات الخال ارقني ... خيال بات يلثمني
بكى وجرى له دمع ... لما بالقلب من حزن
فلا انساه او انسى ... اذا ادرجت في كفني

وظل الموصلى يشبب بها حتى اشتراها وسعد بها سعادة قصيرة فقد جنى عليه شعره فيها وتشبيبه بها حيث وصل خبره ونعته في محاسنها الى سمع الرشيد فبعث اليه واشتراها منه وقد اغلى الموصلى بها الثمن و لايهم الرشيد ذلك فقد قيل ( ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر ) .

اخذ الرشيد ذات الخال وحجزها في قصره فنعم بها ومال اليها ميلا شديدا حتى طغى حبها عليه وجلس ينظر الى وجهها المشرق البديع ويحدق في نجوم السماء فيتخيلها عقدا فريدا في نحرها ولكن الحرص الشديد والغيرة العنيفة التي عرف بها الرشيد نغصّت عليه سعادته بها وقد خامره الشك فيها . والمحب كثير الهواجس سيء الظنون . ولم تدر بما كان يكنه الرشيد في قلبه نحوها ؟

اكان ذلك لنقص في جمالها ؟ وهى كالبدر المنير ! ام كان من ناحية ثقافتها الادبية والفنية . ولها الحظ الوافر والنصيب الاوفى منهما ، فلعل ذلك كان من ناحية انها ليست خالصة له ! وللرشيد الحق في ذلك . فكيف يستخلص لنفسه ويتخذ لانسه وطربه من شبب وتغنى بها ابراهيم الموصلى، وقد يكون غير الموصلى احبها واحبته . والذى لاشك فيه انها كانت سلعة معروضة للشعراء وغيرهم . ان الرشيد لم يخطىء فيما تخيل له وقد سألها في مجلس شراب وقد شدد عليها أن تصدقه ، أكان بينك وبين الموصلي

شيء ؟ فتلكأت ثم قالت وقد اعتراها الخوف والفزع • (اجل مرة واحدة) والانسان اذا شدد عليه في افشاء سر أودع اليه فلا عبرة بتعهده أن يكتمه وقد يكون الالحاح عليه في كتمانه من بواعث ترغيبه في افشائه ، والنساء اقل صبرا على حفظ الاسرار من الرجال ، فصدقها الرشيد وتألم الما شديدا. فأمام هذه الثورة النفسية وهذا الموقف الحرج لم يكن صعبا على الرشيد ان يتخلى عن ذات الخال ويتنازل عنها هبة لوصيفه حمويه وبين عشية وضحاها غادرت ذات الخال قصر الرشيد • واصبحت سميرة حمويه ونديمته • وما ان غربت الشمس حتى ازدحمت على الرشيد الخواطر والهموم وقد اسدل الليل ستاره على ضوء النهار المشرق واخذ يناديها ولا من مجيب في جوف ذلك الليل البهيم الا صدى اخر كلمة قالتها ذات الخال وهي وداعا يا أمير المؤمنين لتبقى تسلية له في وحدته وتخفف من آلامه وأخذ يناجى نفسه ويقول :

كيف تثور بى الغيرة فانتزع من يدى خاتما لؤلؤيا كان متعة ناظرى وانس روحى ؟ وكيف اصبر عنها وهي بعيدة عني ؟

وظل مولها بها لاتبرح من فكره ، وقد اشتاقها الرشيد يوما بعدما وهبها لحمويه قال له ماصنعت الاقدار بذات الخال عندك ؟ قال ياامير المؤمنين انها قرة العين ومتعة السمع والبصر •

قال الرشيد ويلك يا حمويه وهبنا لك ذات الخال على أن تسمع غناءها وحدك ؟ قال حمويه ما تأمر يا امير المؤمنين ؟

قال الرشيد نحن عندك غدا ، وفي اصيل اليوم التالى اقبل الرشيد الى بيت حمويه ليرى ذات الخال • واذا بها فوق خياله لقد رآها تتبختر فى عقود من الجواهر • وتميس في حلل ثمينة تزيد قيمتها على اثنى عشر الف دينار فلم يكن من الرشيد الا التعجب حينما رأى عقودا وجواهر لاقبل لحمويه بها ، فنظر اليه شزرا وحملق في وجهه غاضبا وقال ويلك ياحمويه من اين حصلت على هذه الجواهر والعقود وعهدى بك لاتملك شيئا قل من اين وصل اليك هذا ؟ وكان حمويه قد استأجرها من بعض الجوهريين

لاستقبال الخليفة على حال تليق به عظمة ومقاما • فصارح الخليفة بذلكولم يكتم عنه شيئا • فامر الرشيد باحضار صاحب الجواهر فاشتراها منه واهداها الى ذات الخـال •

ويبدو من هذا أن ذات الخال لا بد من رجوعها الى قصر الرشيد •

ولا بد من تعويض يناله حمويه من الرشيد فطلبت ذات الخـــال من الرشيد أن يوليه ديوان الخراج بفارس سبع سنين ففعل الرشيد ذلك وكتب له وثيقة به وأكد على ولي العهد بعده أن يتمها له ان لم تتم وهو في قيدالحياة•

وفي الصباح الباكر احتفل جواري قصر الرشيد بقدوم ذات الخال وغدا القصر يموج بالقيان وعلامات الفرح والسرور بادية على وجوههن • كيف لا وهي احدى القيان الثلاث اللواتي استولين على قلب الرشيد • والقيان الثلاث هن (سحر) و (ضياء) و ( خنث ) أي ذات الخال • وفيهن قال الرشيد وقد قيل أن ابن الاحنف قالها على لسانه :

ملك الثلاث الآنسـات عناني وحللن في قلبـي بكـل مكان
مالـي تطاوعني البريـة كلهـا واطيعهـن وهـن في عصياني
ما ذاك الا ان سلطان الهـوى وبـه قويـن اعز من سلطانى

ولما عادت ذات الخال الى الرشيد اصبحت معتزة بمكانتها آمرة ناهية ترضى وتغضب • وتغار وتثور • ولكن قلب المرأة كالـزهرة تذبلها الريح وتنعشهـا قطـرة النـدى •

ومن حب الرشيد لذات الخال وشغفه بها انه وعدها أن يجـيء الليلـة عندها لسماع صوتها فلما خرج متوجها اليها واذا بجارية غيرهـا تقطع عليـه الطريق وتنتزعه منها قبل أن يصل اليها ويذهب الرشيد ويقضي ليلته عند تلك الجارية • فاتقدت نار الغيرة في ذات الخال وماذا تصنع ؟ وليس لها سلطان على الرشيد • انها لا تستطيع مقابلة الرشيد بشيء يقهره الا أن تجعل جمالها الذي فتن الرشيد موضع الانتقام • فقامت بقطع الخال من على خدها وهو حلية جمالها اذ كانت أنظر القيان وجها وأحسنهن جاذبية بهذا الخال العنبري لقد جنت على نفسها وعلى قلب الرشيد الذي شغف بها بهذا العمل الجنوني

فبذلك محت آية من آيات جمالها وطمست فتنة وجهها بقطعه منه • ولما علم الرشيد بذلك ترك ما هو عليه من الأنس وراح يؤنبها على فعلها هذا وانصرف غضبان أسفاً وسأل من بالباب من الشعراء فقيل له العباس بن الاحنف وأدخل عليه وحدثه بما حل بذات الخال وأمره أن ينظم ذلك شعراً ثم يصوره ابراهيم الموصلي أنغاما فقال :

تخلصت ممن لم يكن ذا حفيظة ... وملت الى من لا يغيره حال
فان كان قطع الخال لما تعطفت ... على غيرها نفسي فقد ظلم الخال

فكان هذا خير تسلية للرشيد وأمر للعباس بجائزة ألفي دينار وقام الرشيد الى ذات الخال فترضاها فاعتنقته وبكت،ومن شعر العباس بن الاحنف في ذات الخال قوله :

الاليت ذات الخال تلقى من الهوى ... عشير الذي القى فيلتئم الشعب
اذا رضيت لم يهنني ذلك الرضا ... لعلمي به أن سوف يتبعه العتب
وابكى اذا ما اذنبت خوف صدها ... واسألها مرضاتها ولها الذنب
وصالكم قطع وحبكم •• قلى ... وعطفكم صد وسلمكم حرب

وفيها قال :

جزى الله من كلفت يوماً بحبه ... وليس به الا المموه من حبي
وقالوا قلوب العاشقين رقيقة ... فما بال ذات الخال قاسية القلب
وقالوا لها هذا محبك معرضاً ... فقالت ارى اعراضه ايسر الخطب
فما هو إلا نظرة بتبسم ... فتنشب رجلاه ويسقط للجنب

ولئن استهدف ابن الأحنف دلال ذات الخال وبديع غنائها فذلك شأن كل شاعر اتصل فنه بفنها •

وللشعراء غير ابن الأحنف شعر كثير في ذات الخال مما يشعرنا انها قينة تتمتع بما تتمتع به القينة الممتازة من صفات طيبة تميل اليها القلوب وتستهويها الأفئدة •

# دقـــاق

ما عجبت واستغربت في أخبار القيان والجواري التي مرت بي في كتب الأدب أكثر مما عجبت من سيرة القينة دقاق جارية يحيى بن الربيع ، فقـد اعتنى في أمرها وأدبها وخرّجها في الغناء على أكابر الأســاتذة فيه في العصر العباسي حتى أصبحت مغنية بارعة يكتنفها جمال بديع وفتنة ساحرة •

كانت دقاق تغني لمولاها وحده لأنه كان ضنيناً بها شديد الغيرة والحرص عليهـا حتى لم يعرف عنه انه عرضهـا للبيع يوماً ما أو قيل أهـداها لبعض من طلبوهـا منـه •

وروى أنها ولدت ليحي ابنه أحمد المعروف باسم أمه دقاق ، وان يحي مولاها اعتقها قبل وفاته فتزوجت ثلاثة قوّاد معروفين فماتوا جميعـاً واحداً واحدا وهي لم تزل بريعان الشباب تتمتع بحسنها وجمالها وفتنتها ودلالها •

دقاق امرأة هتكت ستر الحياء بعيدة كل البعد عن حشمة المرأة الحرة، جبلت طبيعتها على الدعارة الممقوتة تعيش عيشة المرأة المتهتكة لا يهمها خجل أو حياء • والحياء من ألزم الصفات للمرأة فهولها حلية ثمينة لا يقدر لها ثمن• والمرأة الكاملة الشريفة روضة مزدهرة يفوح شذاها ويضوع أريجها وينتشر في الجو عطرها • لها وداعة الظباء وثورة اللبـوة عند الغضب ومن أعمال دقاق التي لا تتفق مع سمعة مولاها ومركزه الاجتماعي انه اذا غاب عنها بضعة أيام وصفا لها الجو في دارها تراسل أناساً لا قيمة لهم لها صلاة معهم فيلتقون معها في دارهـا بدون أن يعلم أحـدهم بالآخر • وبذلك اشتهرت بين الناس ولاكتها الألسن ومجتها الأفواه وهجاها الشعراء هجاءاً لاذعاً وممن هجاهـا وعرّض بمولاها بعد موته ابو موسى الأعمى قال :

قل ليحي تعم صبرت عـلى المـو ... ت ولم تخش سهم ريـب المنون

كيف قل لى اطقت ويحـــك يـا ... يحي على الضعف منك حمل القرون

وكانت تواصل جماعة يميلون اليها وترى كل واحد منهم أنها تهواه ، فقال فيها أبو اسحاق ابراهيم بن المهدي :

عدمتك يا صديقة كل خلق     اكل الناس ويحك تعشقينا
فكيف اذا خلطت الغث منهم     بلحم سمينهم لا تبشمينا

ولما مات القواد الثلاثة الذين تزوجوا منها اصبحت في نظر الناس مصدر خوف وفزع لانها شؤم على كل من تزوجها وقد هجاها بذلك عيسى بن زينب فقال:

قلت لما رايت دار دقاق     حسنها قد اضر بالعشاق
لم تضاجع بعلا فهب سليماً     لا يكونن نجمه في محاق
حذروا الرابع الشقي دقاقا     بل جريحا وجرحه غير راق

وروى ابن حمدون ان دقاقا كتبت رسالة الى ابي تصف فيه جسمها وصفاً مثيراً اعجزه الجواب عليه فقال له صديق ابعث الى احد المخنثين ليكتب اليها جواباً شافياً فكتب المخنث بذلك وألقمها حجراً والكتاب تجوز قراءته في كتاب الأغاني ولا يحلو نقله[1] . وحدث أحمد بن علي بن جعفر قال حضرت مرة مجلساً وفيه أحمد بن دقاق وحضر النصراني المعروف بابي الجاموس اليعقوبي البزاز فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس واكثر عليه العبث فقال النصراني أسمعوا مني وحلف بالحنيفية أنه لا يكذب .

قال مضيت وأنا غلام مع أستاذي الى باب حمدونة بنت الرشيد ومعنا بز نعرضه للبيع فخرجت الينا دقاق أم هذا ، وأشار الى أحمد ، تقاولنا في الثمن وفي يدها مروحة كتبت على أحد وجهيها كذا وعلى الوجه الآخر كذا وقاله بنصه وهو كلام فحش بذيء فبهت الحضار وسكت ابن دقاق سكوتاً عميقاً علمنا منه لو أنه أخرس لكان الخرس أصون لعرضه ، وهذه نكبة أصابت أحمد فلم يستطع أن يدفع عن نفسه اذى الناس ويقف في وجوههم ان عرضوا بأمه ، ودقاق التي عاشت بحصن من حصون البرامكة ما الذي دعاها أن تكون داعرة خليعة لا تعرف الحياء ولا يمر ببالها خجل .

دقاق التي كان مولاها لا يسمح لأحد أن يسمع صوتها ولا يراها كيف أطلقت لنفسها العنان واتصلت بمن عشقتهم وأرسلتهم في غفلة منه ؟

دقاق المصونة في دار مولاها لماذا خرجت من دارها وفي يدها مروحة

---

(١) الاغاني ج ١٩ ص ١٨٢

كبيرة كتبت على وجهيها عبارات تدعو الناس اليها بلا حياء وخجل ؟

دقاق نديمة حمدونة بنت الرشيد التي لا تتحدث الا" بملحة طريفة ونكتة نادرة كيف تصف جسمها لصديق لها بعبارات تنم على أنها امرأة ساخرة بالحياة تتخالع وتتماجن لا يردعها رادع ولا يزجرها زاجر ؟

دقاق ربيبة كبير البرامكة تتزوج بثلاثة قواد وتطمح نفسها الى أناس سوقـة لا شأن لهم بين المجتمع •

هذه هي دقاق وهذه سيرتها المملوءة بالدعارة والأستهتار كيف لا أعجب وأستغـرب من سيرة حياتهـا !•

## دنانـير

عرف الخلفاء العباسيون بميلهم الشديد الى القيـان واشتهروا بحبهـم لسماع الغناء منهن حتى صاروا لا يحلو لهم العيش بدونه •

ولقد أغرم الرشيد بالغناء وبلغ من غـرامه به انه كان يغشـى المجالس العامة تاركا وراءه أبهة الخلافة وعز السلطان ليستمع الى غناء القيان المحترفات وكثيراً ما كان يذهب الى دار خالد بن يحيى البرمكي ليسمـع غناء جاريته دنانير • ودنانير هذه كان مولاها الأول محمد بن كناسـة الشاعر العباسـي المعروف • نشأت في داره وكانت أحسن القيان وجهاً وأعذبهن صوتاً وأكملهن أدباً وأكثرهن رواية للغناء القديم والشعر الجيد •

دنانير صفراء ذهبية اللون مولدة مليحة القوام تتثنى كأنها غصن بـان أو قضيب خيزران • وكان لمولاها صديق يسمى أبا الشعثاء أديب فكه يدخل الى دنانير فيسمعها تغني فيطرب لغنائها ويثني عليه ويحـادثها بلطف وأدب ويعرض في حديثه لها أنه يهواها وهي تعلم بما يضمره نحوها فقالت فيه :

لأبى الشعثاء حـب باطـن ... ليس فيـه نهضـة للمتهـم
يا فؤادى فازدجر عنه ويـا ... عبث الحـب به فاقعد وقـم
زادنى منـه كـلام صـائب ... ووسيلات المحبين الكلم

صل ان احببت أن تعطى المنى ... يا ابا الشعثاء لله وصم
ثم ميعادك يوم الحشر في ... جنة الخلد ان الله رحم
حيث ألقاك غلاماً ناشئاً ... يافعاً قد كملت فيك النعم

وسمع يحي بن خالد البرمكي بدنانير وما هي عليه من الأدب الرفيع والصفات الكاملة فاشتراها من ابن كناسة وانتقلت من منزل متواضع الى قصر منيف . وكان الرشيد لا ينفك من الحضور الى منزل يحي فيسمع دنانير تغني فيطرب لغنائها ويعجب بمحاسنها ومن اعجابه بها انه أهداها في ليلة عيد عقداً ثميناً قيمته ثلاثون ألف دينار . وقد رد اليه عند مصادرة أموال البرامكة بعد الفتك بهم وكان الرشيد على علم بما لدنانير من المكانة في قلب يحي واستمر يكرر زيارته اليه ويسهر معه أكثر لياليه . ودنانير تعلم أنها هي الدافع الوحيد لاستمرار زيارة الرشيد الى يحي . وشاع حب الرشيد لدنانير ولم يخف ذلك الحب على أم جعفر ( زبيدة ) فشكته الى عمومته فعاتبوه على ما بدر منه . فقال ما لي في هذه الجارية من أرب في نفسها وانما هي مغنية محسنة وأخذهم الى دار يحي بن خالد واستمعوا الى دنانير تغني :

هذي دنانير تنساني فاذكرها ... وكيف تنسى محباً ليس ينساها
اعوذ بالله من هجران جارية ... اصبحت من حبها اهذى بذكراها
قد اكمل الحسن في تركيب صورتها ... فارتج اسفلها واهتز اعلاها
قامت لتمشي فليت الله صورني ... ذاك التراب الذى مسته رجلاها
والله والله لو كانت اذا برزت ... نفس المتيّم في كفّيه ألقاها

ولما سمع أعمامه ذلك الغناء طربوا له وعذروا الرشيد فيها وعادوا الى أم جعفر وأشاروا عليها أن لا تلح عليه فانه غير ملوم وظلت دنانير عند يحي وهو شديد الحرص عليها وابراهيم الموصلي يرعاها بفنه فتلقت عليه أصول الغناء . فاذا غنت لم يعرف أهو غناؤها أم غناء الموصلي !

وكان الموصلي يقول ليحي اذا فقدتني دنانير عندك فانك لم تفقدني !!

وحدّث الموصلي قائلا : قال لي يحي بن خالد أن ابنتك دنانير عملت لحناً أعجبت به فقلت لها لا يغرنك حسن عملك حتى تعرضيه على أستاذك

فاذا رضيه كان له الفوز والنجاح فيه . وان كرهه فجتهدي لعمل غيره ،فقلت أيها الوزير فكيف اعجابك أنت به ؟ فانك والله ثقب الفطنة صحيح التمييز، فقال يحي أكره أن أقول لك انه أعجبني وانت غير معجب به . وانك رئيس صناعتك تعرف منها ما لا أعرف وتقف من مضمونها على ما ليس لي به علم. كما اكره ان اقول لك لا يعجبني وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً ، وانما يتم السرور اذا صادف منك تصويباً واستحساناً ، قال ابراهيم فمضيت اليها وقد تقدم أن يحي قال لدنانير اذا جاءك ابراهيم الموصلي فاعرضي عليه الغناء الذي صنعته فان قال لك أصبت سررت لذلك وان كرهه فلا تعلميني فاني أكره أن أسمع منك شيئاً غير حسن .

قال الموصلي فدخلت الدار واذا الستارة قد نصبت فسلمت على دنانير من ورائها فردت عليّ السلام بأحسن رد فقالت يا ابة أعرض عليك غناءاً قد تقدم لا شك اليك خبره وقد سمعت مولاي الوزير يقول الناس يفتتنون بغنائهم فيعجبهم منه ما لا يعجب غيرهم وقد خشيت على غنائي أن يكون كذلك فقلت هات فأخذت العود وراحت تغني :

| | |
|---|---|
| نفسي اكنت عليك مدّعياً | ام حين أزمع بينهم خنت |
| إن كنت مولعة بذكرهم | فعلى فراقهم الا مت |

قال ابراهيم فأعجبني والله غاية العجب واستخفف فيه الطرب فقلت لها أعيديه فأعادته وأنا أطلب فيه موضعاً أصلحه وأغيره لتأخذه مني فلا والله ما قدرت فطلبت اعادته مرة ثالثة فأعادته فاذا هو كالذهب المصفى ، فقلت أحسنت واصبت فقد صرت تحسنين الأختيار وتجيدين الصنعة . وخرجت فلقيني يحي بن خالد فقال كيف رأيت ابنتك ؟ قلت أعز الله الوزير ما يحسن كثير من حذاق المغنين مثل هذه الصنعة . وقد قلت لها أعيديه فأعادته عليّ مرات كل ذلك وأنا ألتمس فيه موضعاً لأصلحه فلم أجد ! فقال لي يحي وصفك لها يقوم مقام تعليمك اياها ، وقد سررتني وسأسرك فوجه اليه جائزة ثمينة. وبعد الفتك بالبرامكة أمر الرشيد بنقل دنانير اليه فنقلت وأمرها أن تغني فأبت قائلة يا أمير المؤمنين أني آليت ألا اغني بعد وفاة سيدي ابداً .

فقال لها متهكماً ومن هو سيدك ؟ قالت يحي بن خالد . فغضب وأمر بصفعها فصفعت وأقيمت على رجليها وأعطي العود لها فأخذته وهي تبكي أحر البكاء واندفعت تغني :

يا دار سلمى بالنازح السند ... بين الثنايا ومسقط اللبد
مالي رأيت الديار قد درست ... ايقنت ان النعيم لم يعد

فانتحبت فرق الرشيد وأمر باطلاقها فانصرفت وبقيت في دار من دور البرامكة التي أخنى عليها الدهر حزينة كئيبة لا تفرح لنعمة ولا تطرب لغناء.

ومما يذكر بعد أن أصبحت حرة ان عقيلا مولى صالح بن الرشيد وقع في حبها وهام بها وشغف بذكرها فخطبها فردته واستشفع عليها بمولاه صالح والمغنية ( بذل ) والحسين بن محرز فلم تجبه وأقامت على الوفاء لسيدها يحي بن خالد البرمكي فكتب اليها عقيل يقول :

يا دنانير قد تنكر عقلي ... وتحيرت بين وعد ومطل
شغفي شافعي اليك والا ... فاقتليني ان كنت تهوين قتلي
انا بالله والأمير وما آ ... مل من موعد الحسين وبذل
ما احب الحياة والله ان لم ... يجمع الله عاجلاً بك شملي

ولم يعطفها ذلك وبقيت على ما هي عليه من بكاء ونحيب الى أن ماتت ومما يجدر ذكره ان دنانير في أخريات أيامها عند يحي بن خالد أصيبت بالعلة الكلبية فما كانت تصبر على الطعام ساعة واحدة وكان يحي يتصدق بألفي درهم من أجلها في كل يوم من أيام الصيام في شهر رمضان .

# عنـــان

للقيان والجواري في العصر العباسي الزاهر الفضل الاكبر في نهضــة الاداب عامة والشعر خاصة فمنهن من كانت تطارح الشعراء وتسابقهم في التصوير والتفكير وتعرض عليهم صورا من انفعالات النفس والتعبير عمـا تكنه في مجامع قلبها وبما لم يسر بمخيلتهم واحساساتهم منه • وكانت عنان جارية الناطفى (١) من تلكم الجوارى الشاعرات والنبيهات فقد كانت سريعة البديهة ترتجل الشعر ارتجالا بما يطلب اليها بدون مشقة أو عسر • وهــي الفارس المقدام في هذا المضمار وأفضل من عرف من طبقتها فيه • وكثيراً ما كان فحول الشعراء في عصرها يلقونها في منزل مولاها الناطفى فيقارضونهـا الشعر فتنتصف منهم وتتسامى عليهم •

عنان من القيان الحسان غلب عليها اسم مولاها الناطفى وصارت تدعى ( عنان جارية الناطفى ) • وهى من مولدات اليمامة وبها نشأت وادبت ولرفعة أدبها وفصاحة لسانها رغب الرشيد بشرائها فمنعه عنها استهتارها وما هجاها به الشعراء • وقيل انه احضرها ليبتاعها من مولاها وكان ثمنها مائة الــف درهم فرفضها • ولما مات مولاها بيعت بمائتــي ألف درهم ثم اعتقت بعـد وفاة مولاها الاخير ،

وذكر مروان بن أبي حفصه قال لقيني الناطفي فدعاني لزيارته فذهبت معه فدخل اليها قبلى فقال لها جئتك بشاعر عظيم هو مروان بن ابى حفصــه وكانت عليلة تشكو من مرض اعتراها فجأة فقالت أني عنه لفي شغل فأتــى بسوط فضربها به ثم قال لي أدخل فدخلت وهي تبكي فرأيت الدمع كاللؤلؤ ينحدر من عينيها فقلت

بكـت عنان مسبلاً دمعهـا ... كالدر اذ يسبق من خيطـه

فقالت وهي تبكي :

---

(١) الناطفى بائع الناطف وهو نوع من الحلوى اسمه القبيط ايضا .

فليت من يضربهـــا ظالمـاً　　　تيبس يمنـاه على ســـوطه

فقلت للناطفي احلف ولا احنث ان كان في الانس والجن مثلها :

وذكر ان رجلا اعجب ببيت شعر فاجهد نفسه للعثور على من يجيزه فلم يجد فقال له صديق عليك بعنان جارية الناطفي فأنها اهل لذلك فجاءهـــا وانشـــدها ،

وما زال يشكو الحب حتى رأيته　　　تنفس من احشـائه وتكلمـــا

فما لبثـت أن قالـت :

ويبكي فابكي رحمـة لبكائـه　　　اذا ما بكى دمعاً بكيت له دمـا

ودخل ابو نواس على الناطفي وعنان جاريته تبكي وخدها علـــى رزة مصراع الباب . وقد كان الناطفي ضربها وهربت منه فأومى لابى نواس ان يحركها بشيء فقال ،

عنان لوجدت لى فاني مـــن　　　عمرى بما آمـن الرسول بمـا

يعني في اخر عمره لان آمن الرسول بما انزل اليه من ربه ،

فردت عليـه عنـان ،

فان تمادى وما تماديـــت في　　　قطعك حبلى كن كـمن ختـما

فرد عليهـــا ،

علقت من لواتـى علـى انفس　　　الماضيين والغابرين ما ندمـــا

فردت عليه ،

لو نظرت عينـه الى حجـــر　　　ولد فيـــه فتورها ســـقما

ودخل ابو نواس يوماً دار الناطفي والمجلس حافل ما بين محب وامـق وناظر متعجب ومستفيد متعلم . فقال ابو نواس لعنان اجيبيني على هـــذا البيـــت ،

رأيت نجوم الليل لاحت كأنهـــا　　　من الذهب العقيان احمر خالص

فقالت عنـان ،

فشبهتها ليلاً مصابيح راهب　　　عليـه ثياب باليات قـــوالص

وقال ابو نواس ،

واني لاهـوى من حبيب احبه　　　مداعبة منـه واهـوى المداعقة

فقالت عنان ،

اجرعه ريقي واشرب ريقه فما تنقضي مني ومنه المزاعقة

وكان أبو نواس تحلو له مجالسة عنان ومنادمتها فقال لها :

جعل الرحمن من وجـ ـهك يا حسناء قبله

فاذني لي بصلاة من محياك وقبله

فردت عليه قائلة ،

انظر لي في المرآة تريك القبح جمله

وتأمل كيف ترجو من جميل الوجه قبله

وكانت عنان تعارض أبا نواس في الشعر وتتحداه فكتب اليها يوماً :

يا ايها الظبي الذي لحظاته تصمى الفؤاد الا ترق وترحم

هلا تفي ليكون وصلك غامراً صباً بغير لقاك لا يتنعم ..

ودخل ابان اللاحقي على عنان جارية الناطفي في يوم من ايام الصيف وهي جالسة في الخيش وهو ثياب في نسجها رقة . وخيوطها غلاظ من الكتان وهو معروف في عدة أقطار عربية فقال لها اللاحقي :

لذة عيش الصيف في الخيش

فقالت .... لا في لقاء الجيش في الجيش

فقال اللاحقي ،

كل يوم باقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء

فقالت ،

هي كالوشي في ثياب يمان جلبتها التجار من صنعاء

وقال معرضاً بها ما احسن ما قال جرير ،

فضللت ارعى صاحبي تجلداً وقد علقتني في هواك علوق

فقالت غير متوقفة ،

اذا غلب الخوف اللسان تكلمت بأسراره عين عليه نطوق

وكان ابو النظير الشاعر يهوى عنان وكتب اليها

ان لي حاجة فرأيك فيها لك نفسي الردى من الأوصاب

وهي ليست مما يبلغه غيري ولا استطيعه بكتاب

غير انـــي اقولها حـين القـــا ك رويداً اسرهـا في ثيابـــى

فاجابته قائلة

انا مشغولة بمن لست اهـواه وقلبى من دونـه في حجـاب

واذا ما اردت امـــراً فاسرره ولا تجعلنـه في كتـــاب

ولعنان شعر ينم عن عواطف جياشة مشبعة بلوعة الفراق ومنه قولها في رثاء مولاها الناطفى ،

نفسي على حسراتها موقوفـــة فوددت لو مزجت من الحسرات

لو في يـــدي سياف ايامي اذا لطرقتهن تعجـلاً لوفاتـــي

خـير لبعدك في الحياة وانمـا ابكى مخافة ان تطول حياتـى

هذه هي عنان التي كانت مطمح أنظار الرشيد وقد أراد شراءها لولا اقوال الناس الذين قبحوها بعينه والناس مفطورون على حب الذات وقلما يعملون عملاً لا ينظرون فيه الا الى فائدتهم •

## دمـــن

ينبوع عذب يروي عشاق الأنس والطرب ، ودرة ثمينة رسبت في قعر بحر فن الغناء فأستخرجها اسحاق الموصلى فصقلها ووضعها بقلادة نحـــر الموسيقى واخذ يتباهى بها في دنيا القيان ، كانت ( دمن ) شيطانة مريـدة تسترق السمع من مولاها اسحاق حين اخذت عنه احسن اغانيه بلا علم منه وطبعتها في ذاكرتها ، وسألها محمد بن موسى اليزيدى اي شيىء اخذت من مولاك اسحاق من الغناء ؟ فاجابت ما اخذت عنه انا ولا واحدة من جواريه ولكن اغفلته يوماً وهو مثخن بالسكر فدخل الى البيت وهو يترنح يمينـاً وشمالاً فرأى عوداً معلقا فاخذه وبدأ يجس اوتاره وقال لخادمه علي بدمن فجاء الى الخادم واخبرنى فخرجت معه فلما بلغت الباب اذا هو مستلق على الفراش والعود في يده وهو يصنع هذا الغناء ويردده •

الا ليلك لا يذهـــب ونيط الطـرف بالكوكب

وهذا الصبح لا يأتـــى ولا يدنـو ولا يقـرب

وقد تمعن في هذا الغناء وبالغ في صنعته وتركيزه حتى استقام له ، اما أنا فعلمت أني اذا دخلت اليه ورآني أمسك عن الغناء وهو كما عرف ضنين بغنائه فوقفت استمع ولا استطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى من اللذة والسرور وكدت اطير طرباً وانساً حتى فرغ منه واخذته عنه ثم وضع العود من يده وتذكر انه طلبنى فقال يا غلام اين دمن ؟ فقلت ها اناذى يا سيدى فقال منذكم وانت واقفة ؟ قلت منذ ابتدأت بالغناء وقد اخذته منك فنظر الي وهو مغضب وقال هاته فغنيته حتى استوفيته . وقال وقد فتر وخجل قد بقيت عليك نقطة واحدة أَأُصلحها لك . فقلت لست أحتاج الى اصلاحك اياه وقد والله اخذته بكامله على رغمك فضحك عن حقد .

ومرت الايام ودمن تحلق في سماء الغناء وسطع نجمها حتى طار خبرها الى الرشيد انها جارية ظريفة تجيد الغناء بصوت يأخذ بمجامع القلوب وتحكمه مع ادب كامل وجمال فتان . فبعث الى اسحاق ليأتى بها اليه ليسمعها . فلما مثل اسحاق بين يديه ودمن معه امر لهما بالجلوس وقال لأسحاق دعها تغنى فاخذت العود وغنت الغناء الذي اخذته عن اسحاق السالف الذكر فطرب الرشيد وتعجب وقال لدمن لمن هذا الغناء ؟ فنظرت الى اسحاق وضحكت . وقالت سرقته منه فقال الرشيد وكيف ؟ فحكت له الحكاية ، فقال الرشيد مخاطباً اسحاق ارغب ان اشترى ( دمن ) منك . قال اسحاق هى بين يديك يا امير المؤمنين .

فاشتراها منه وغادرت دمن منزل اسحاق وحلت بقصر الرشيد وشتان بين قصر الرشيد ودار اسحاق وظلت تقضى حياتها بمناظر قصر الرشيد الخلابة واشجاره المورقة التى تتمايل مع النسيم العليل وعلى افنانها تصدح العنادل بانغامها المقتبسة من انغام الموسيقى !

عاشت ( دمن ) بتلك النعمة والرشيد معجب بها لا ينفك من الأستماع الى غنائها ومضت السنون وهي تنمو وتزدهر باوراق صباها المتأرجة وثمار الأنثوية الناضجة .

وروى ابراهيم الموصلي قال : دعاني الرشيد وهو مصطبح فلما مثلت بين يديه أذن لي بالجلوس وفي تلك الساعة دخلت جارية كأنها خوط بان

حلوة المنظر طيبة الشمائل وفي يدها عود فأمرها الرشيد أن تغنى فغنت شعر ابي نـــواس ••

| | |
|---|---|
| توهمه قلبى فاصبح خـــــده | وفيه مكان الوهم في نظرى اثر |
| ومر بفكرى خاطـــرا فجرحتــــه | ولم ار جسماً قط يجرحه الفكر |
| وصافحه قلبى فالم كفــــــه | فمن غمز قلبى في انامله عقـــــر |

قال ابراهيم فذهبت والله بعقلي حتى كدت أن أفتضح وقلت من هذي يا امير المؤمنين ؟ قال هذه التي يقول فيها الشاعر :

| | |
|---|---|
| لها قلبى الغداة وقلبها لــــــــى | فنحن كذاك في جسـدين روح |

فقال لها الرشيد زيدينا من غنائك فغنت ،

| | |
|---|---|
| تقول غداة البين ان نســـاءهم | لي الكبد الحرىفسر ولكالصبر |
| وقد خنقتها عبرة فدموعهـــــا | على خدها بيض وفي نحرها صفر |

فشرب الرشيد وسقانى ثم سقاها وقال غن يا ابراهيم فغنيت حســـبما في قلبى غير متوقف في شيىء ••

| | |
|---|---|
| تشرب قلبـــي حبهـــا ومشى بـــــه | تمشى حميا الكأس في جسم شارب |
| ودب هواهـــا في عظامي فشـفها | كما دب في الملسوع سم العقـــارب |

ففطن الرشيد في تعريضي وكانت جهالة مني فأمرنـــي بالأنصراف ولم يدعني شهراً الى مجلسه ولما مضى الشهر دس لى خادماً معه رقعة فيهـــــــا مكتـــــــوب ••

| | |
|---|---|
| قد تخوفت ان اموت مـــن الو | جد ولم يدر من هويت بما بـــي |
| يا كتابي فاقـــر السلام على من | لا اسمى وقل له يا كتابـــــى |
| ان كفاً اليك قــــــد بعثتنـــى | من شـقاء مواصـل وعـــذاب |

فاتانى الخادم بالرقعة فقلت له ما هذا ؟ فقال رقعة الجارية التي غنتك بين يدي امير المؤمنين • فادركت ما انطوى عليه ذلك فشتمت الخادم ووثبت عليه وضربته ضرباً شفيت به نفسي وغيضي وركبت الى الرشيد مــن فوري واخبرته بالأمر واعطيته الرقعة وضحك حتى كاد يستلقى ثم قال على عمــد فعلت ذلك بك لأمتحن مذهبك وطريقتك • فقمت وقبلت الأرض بين يديــه وقلت يا امير المؤمنين بحق تربة المهدي الا" قلت لي من هي تلك الجارية ؟

فقال الرشيد هي دمن جارية ولدك اسحاق ثم انصرفت بعد ان تفضل علي بجائـزة .

## بـــذل

غض العصر العباسي بالقيان والجواري الحسـان . وانك لتسمع الأحاديث الممتعة عنهن فتطرب لطرائف أخبارهن وما نقلت الأسفار التاريخية عنهن . ولتجد في كل واحدة مزية لاتجدها عند اخرى فكانك اذا تمر بتاريخ اولئك القيان انما تطوف .. بروضة في كل غصن منها فاكهة طاب اكلها . ومن بينهن امتازت بذل بشيء هام اعنى الرواية والحفظ وجودة الغناء ومهارة العزف وحسن النقل ، وكانت بذل تزاحم اسحاق الموصلي وتتحدى ابراهيم بن المهدي بصنعتهما وحسبك بهما من زعيمين لأكبر مدرسةموسيقية في زمانهمـا !

كان ابراهيم بن المهدى يعظمها ويتعصب لها ويتودد اليها ثم استكبر عليها اعجاباً بما بلغه من مكانته في الغناء فسارعت اليـه لتعلمه درساً في التواضع لعظمة الفن . وطلبت العود وغنت امامه بايقاع واحد مائة لحن لم يعرف منها ابن المهدى لحناً واحداً ثم وضعت العود وانصرفت جذلة منتصرة ولم تعد الى داره بعد ذلك . حتى الح عليها في الرجاء والأعتراف بفضلها ، وكانت بذل مع سيطرتها على النواحى الفنيـة الرفيعة . جميلة الخلقة وسيمة الطلعة خفيفة الروح لها سحر اخاذ وعاطفة تسمو بها الى حياة راقية في ظل الخلفاء العباسيين . فاشتراها جعفر بن موسى الهادي .

فملكت مشاعره بظرفها وملاحتها وحسن غنائها . وقد وصفت للخليفة محمد الأمين فحضر مجلس جعفر واستمع الى بذل فاعجب بحسن صـوتها وجمالها فطلب شراءها منه ، فقال جعفر يا سيدى مثلى لا يبيع جارية . قال فهبها لى . قال ان رضيت فانصرف الأمين حانقاً ثم سطا عليه فانتزعها منه قهراً وارسل اليه على كره منه عشرين الف الف درهم ثمناً لها وما زالت عند

الأمين مدة خلافته حتى قتل ويروى ان علي بن هشام كان يهوى بذل ويكتم ذلك وانها هجرته مدة فكتب اليها :

تغيرت بعدي والزمان مغير ... وخست بعهدي والملوك تخيس

واظهرت لي هجراً واخفيت بغضه ... وافريت وعدا واللسان عبوس

ومما شجاني انني يوم زرتكم ... حجبت واعدائي لديك جلوس

وفي دون ذا ما يستدل به الفتى ... على الغدر من احبابه ويقيس

كفرت بدين الحب انجئت بابكم ... وتلك يمين ما علمت غموس

فان ذهبت نفسي عليكم تشوقاً ... فقد ذهبت العاشقين نفوس

ولو كان نجمي في السعود وصلتكم ... ولكن نجوم العاشقين نحوس

وكانت بذل تتحدى على كل من يتطاول على فنها ولم يسلم اسحاق الموصلي على عظم قدره وعلو مكانته في الغناء من تحديها له ، فقد حدث ان خالفها في نسبة لحن غنته في مجلس المأمون فامهلته ساعة ثم غنت ثلاثة ألحان واحداً بعد واحد . وسألت اسحاق عن مصدرها فتلعثم ولم يجب ، فقالت للمأمون يا امير المؤمنين هي والله لأبيه ابراهيم اخذتها من فيه فاذا كان هذا لا يعرف غناء ابيه فكيف يعرف غناء غيره ؟ فاشتد على اسحاق وظهرت على وجهه علائم الفشل الذريع ومما لا شك فيه ان هذه الألحان هي من صنع بذل ارادت ان تتحدى اسحاق بها كما كان هو يتحدى سائر زملائه . وقد روى حماد ابنه قال غنت بذل يوما بين يدي ابى :

ان ترينى ناحل البدن ... فلطول الهم والحزن

كان ما اخشى بواحدتي ... ليته والله لم يكن

فطرب ابي طرباً شديداً وقال لها احسنت يا بنتى :

وذكر ان المأمون كان جالساً يشرب وبيده كأس اذ غنت بذل :

الا لا ارى شيئاً الذ من الوعد ... ومن املى فيه وان كان لا يجدى

فغيرت كلمة ( وعد ) وجعلتها كلمة[1] لا تليق بمقام المأمون فوضع المأمون الكأس من يده والتفت اليها واجابها بجواب اضطربت منه وخافت

---

(١) اللفظ الصريح في الاغاني ج ١٥ ص ٣٢٨ .

من غضبه وقال لها اتمى الغناء فغنت ،

ومن غفلة الواشى اذا ما اتيتهـــا ومن زورتى ابياتها خالياً وهـدى
ومن ضجة في الملتقى ثـم سـكتة وكلتا هما عندى الذ من الخلـد

وبلغ المأمون انها غضبى من على بن هشام فاكرهه على ان يذهب اليها فيترضاها . وذهب علي اليها يوماً فاستأذن وهي تمشط شعرها فكرهت دخوله عليها فقالت جاريتها ( وشيكة ) يا سيدتي اتحجبين من على بن هشام؟ فدعت بخمار غطت به وجهها ورأسها واذنت له فدخل . وصاحت به بذل ان كنت اتيتنا بأمر من الخليفة فأهلاً والا فاخرج فترضاها وطلب اليها نسبة اربعة آلاف لحن الى أصحابها فكتبت له بها جميعاً في يوم واحد أ

ومما ذكر ان سبب موتها هو انها كانت جالسة عند المأمون فغنته وكان حاضراً في المجلس موسوس يكنّى بأبي الكركدن من اهل طبرستان يضحك منه المأمون فعبثوا به فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق احد فيه الا هرب وبقيت بذل جالسة والعود في حجرها فاخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجه وانصرفت وحمت وبعد أيام قلائل ماتت .

## سـلامة الزرقاء

آية في معرض الجمال وهبها الله كمال الحسن ومزية الظرف فكانت بهما واحدة لا ثانى لها .

كانت سلامة الزرقاء من ابرز جوارى ابن رامين وابن رامين كما نوهنا من اكبر تجار الجوارى والقيان في بغداد . واشتهرت الزرقاء من بين قيانه برخامة الصوت والحديث المستطاب وبهذا كله كانت موضع اعجاب الذين يؤمون دار ابن رامين .

وذكر بعض المدنيين . قال اتيت منزل ابن رامين فوجدت عنده جارية قد رفع ثديها قميصها . لها شارب اخضر ممتد على شفتها امتـداد الطراز كأنما خطت طرتها وحاجباها بقلم لا يلحقها في ضرب من ضروب حسـنها

وصف واصف فسألت عنها فقيل لي هذه سلامة الزرقاء فقلت تبارك الله احسن الخالقين .

كانت الزرقاء فتنة للناظرين وسلوة المحبّين ومن افتتن بها ووقع في شرك حبها محمد بن الاشعث القرشي . وهو من فتيان اهل الكوفة وادبائهم وكان يجيد قرض الشعر ويتغنى به ومن شعره في الزرقاء .

امسى لسلامة الزرقاء في كبدى  صدع مقيم طوال الدهر والأبد
لا يستطيع صناع القوم يشعبه  وكيف يشعب صدع الحب في الكبد
الا بوصل التي في حبها انصدعت  تلك الصدوع من الاسقام والكمد

ودخل ابن الأشعث يوماً الى دار ابن رامين فخرجت اليه الزرقاء ومعها وصيفة من وصائفهم فأعجبته فتبسّم وقال شعراً في وقته وتغنّى فيه فأخذته منه الزرقاء وهو قوله :

قل لاختى التى احب رضاها  انت لى فاعلميه ركن شديد
ان لى حاجة اليك فقولى  بين اذني وعاتقي ما تريد

ففطنت الزرقاء الى ما اراد فقالت :

بين أذني وعاتقي ما تريد فما هو ؟ قال جاريتك هذه فانها قد أعجبتني . قالت هي لك فأخذها شاكراً لها .

ولام ابن الأشعث قومه في التردد الى بيت ابن رامين فلم يحفل بمقالتهم ولم يعرهم التفاتة وظل مواظباً على ذلك الى أن حدث ما كرهه وازعجه فترك بيت ابن رامين ومال الى ( سحيقة ) جارية زريق بن منيح وزريق هذا كان شيخاً كريما نبيلاً يجتمع اليه أشراف الكوفة وفضلاؤها . وسحيقة جاريته فقال فيها ابن الأشعث .

سحيقة انت واحدة القيان  فما لك مشبه فيهن ثان
فضلت على القيان بفضل حذق  فحزت على المدى قصب الرهان
سجدن لك القيان مكفرات  كما سجد المجوس لمرزبان
ولا سيما اذا غنيت صوتاً  وحركت المثالث والمثانى
شربت الخمر حتى خلت انى  ابو قابوس او عبدالمدان
فاعمال اليسار على الملاوى  ومن يمناك ترجمة البيان

ولما علم ابن رامين ان ابن الأشعث مال بكليته الى سحيقة وان تركه للزرقاء أمر لا يستهان به فلم يكن منه ان أباح لابن الأشعث بسر كان يكتمه عن سحيقة ظناً منه أن يحوله عنها ويعود الى الزرقاء فكتب له ابن الأشعث يلومــه على ذلــك :

| | |
|---|---|
| يا بــن رامين بحت بالتصريــح | في هوائــي سحيقة ابن منيح |
| قينة عفــة ومولــى كريــم | ونديم من اللباب الصــريح |
| ربعي مهــذب اريحــى | يشترى الحمد بالفعال الربيح |
| نحن منه في كل ما تشتهى الا | نفس من لذة وعيش نجيــح |
| عند قوم من هاشم في ذراهـا | وغناء من الغــزال المليــح |
| في سرور وفي نعيــم مقيم | قدامنــا من كــل امــر قبيح |
| فاســل عنا كما سلوناك انــى | غير سال عن ذات نفسي وروحي |
| حافظ منك كل ما كنت قــد | ضيعت مما عصيت فيـه نصيحي |
| فاكتفى ما حييت منى لــك الد | هر بود يا منيتــي ممنــوح |
| يا بن رامين فالزمن مسجد الحي | وطــول الصــلاة والتسبيح |

وعلى هذا لم يدع ابن رامين شريفا بالكوفة الا وجعله واسطة ليرضى ابن الأشعث عنه فيعود اليه وكان نصيبه الفشل واخيراً استعان عليــه بالجحواني وهو محمد بن بشر بن جحوان الأسدى وكان يومئذ على الكوفة فكلم ابن الاشعث فرضى عنه ورجع الى ما كان عليه من تودده للزرقاء .

ولأبن الاشعث غناء كثير في الزرقاء لا تنفك هي من الغناء به ومنه .

| | |
|---|---|
| صاح اني عاذل ما ذهبــا | من هوى هاج لقلبى طربا |
| اذكرتنى الشوق سلامة ان | لم اكن قضيت منها اربــا |
| واذا ما لام فيهــا لائــم | زاد في قلبي لحبّي عجبــا |
| من ذوات الدل لو دب على | جلدها الذر لأبدى ندبــا |

ويقول فيهــا :

| | |
|---|---|
| رحبت بلادك يا امامــه | وسلمت ما سجعت حمامه |
| وسقى ديارك ، كلمــا | حنت الى السقيا غمامــه |
| انــى وان اقصيتنــى | سفهاً احب لك الكرامة |

رى امورك طاعة		مفروضة حتى القيامه

ويقول فيها :

ما بالمغاني من احد		الا حمامات فرد
اضحت خلاءً درساً		للريح فيها مطرد
عهدى بها فيما مضى		ينتابها بيض خرد
فاستبدلت وحشا بهم		والورق تدعو والصرد

ويقول فيها :

ليت من طير نومى		رد في عينى المناما
او شفى جسمى سقيماً		زاده الهجر سقاما
نظرت عينى اليها		نظرة هاجت غراما
تركت قلبى حزيناً		بهواها مستهاما

واجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفع فغنت لهم سلامة الزرقاء . وفي الصباح الباكر بعث اليها معن ببدرة دراهم فصبت بين يديها . وكذلك فعل روح بن حاتم اما ابن المقفع فبعث اليها بصك ضيعة وقال لها هذه عهدة ضيعتي خذيها . اما الدراهم فما عندي منها شيء .

ومما يروى ان جعفر بن سليمان اشترى سلامة الزرقاء بثمانين الف درهم وستر امرها عن أبيه وابوه يومئذ على البصرة في خلافة المنصور وقد تحرك في تلك الايام عبدالله بن علي ثائراً وفي يوم من الأيام فاجأه أبوه والزرقاء عنده فخبأ العود تحت السرير فقال له ويحك نحن في ضيق وقد هجم علينا عدونا وانت تشترى جارية بثمانين الف درهم وغضب عليه لفعله هذا . فلم يكن من ابنه جعفر الا ان غمز خادماً كان واقفا فاخرج الزرقاء الى سليمان فأكبّت على رأسه تقبّله ودعت له فأعجب ما رأى منها وقال لها غنيني قول النعمان بن بشير . ( اذا ما أم عبدالله ) فقالت فديتك قد ترك الناس هذا الغناء منذ زمان ثم غنته اياه وهو :

اذا ما ام عبدالله		لم تحلل بواديه
ولم تشف سقيما هيـ		ـج الحزن دواعيه
غزال رابه القنا		ص تحميه صياصيه

| | |
|---|---|
| عرفت الربيع بالأكليل | عفته سواقيه |
| بجو ناعم الحوذان | ملتف روابيه |
| وما ذكرى حبيبا و | قليلاً ما اواتيه |
| كذا الخمر تمناها | وقد أسرف ساقيه |

ولما مضت لها مدة عند جعفر سألها يوماً هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بقبلة ؟

فخشيت ان يبلغه شيىء كانت فعلته امام جماعة او يكون قد بلغه : فقالت لا والله الا يزيد بن عون الصيرفي الملقب بالماجن فانه قبلني قبلتين •

فقال وكيف كان ذلك ؟

قالت كنت يومذاك في منزل ابن رامين وقد اجتمع ناس من اشراف أهل الكوفة ووجهائها وأنا أغنيهم اذ طرقنا طارق واذ هو يزيد فاستأذن للدخول فاذنت له فلما استقبلني اقصى بين يدي ثم اخرج من جيبه لؤلؤتين وقل لي انظري يا سلامة جعلت فداك ثم حلف انه اشتراهما بأربعين الف درهم ، فقلت وما شأني بشرائهما ؟ قال اردت ان تعلمي فغنيت غناءاً خلبت به لب الماجن وقلت هبهما لي قال فعلت والله ان شئت ، قلت قد شئت •

قال واليمين التي حلفت بها لازمة لي ان تأخذيهما بشفتيك من شفتي! فقلت قد قبلت ، فمشى على يديه وركبتيه واللؤلؤتان في فمه فقلت له هات • فلما اقدمت عليه بشفتي جعل يصد عني يميناً وشمالاً ليستكثر من الملاعبة فغمزت لجارية كانت واقفة فاندفعت اليه فلما دنا منها وذهب ليروغ كشأنه دفعت منكبيه فأمسكتهما حتى أخذت اللؤلؤتين بشفتي من فمه وقد رشح جبيني حياءاً من الحاضرين ثم تجلدت فأقبلت عليه فقلت له المغبون مقهور فقال أما أنا فلا أبالي لا يزال طيب هذه الرائحة في أنفي وفمي أبدا ما حييت •

فلما سمع جعفر ذلك سكت عن غيظ ولم يزل يحتال على ذلك الماجن حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات •

# عريب

اذا كانت القينة ( جميلة ) مولاة الأنصار زعيمة الغناء في العهد الأموى فأن عريباً زعيمة الغناء في العصر العباسي فضلاً عن انها نقادة بارعة صريحة في قولها تدعم الحجة بالحجة يؤخذ برايها كدليل قاطع . كما كان لهـا إلمام نادر المثال بالثقافات العربيه كالأدب والتاريخ والشعر والبـلاغة والمنطق . وقد اشتهرت بالحسن والجمال والظرف والدلال . ولا يوجد احد ممـن عاصرها يتجرأ على مزاحمتها في الضرب على العود مع اتقان الصنعة والمعرفة بفن النغم والأوتار . ومن الروايات الواضحة في كتب الأدب والتاريخ عن حياة عريب انها ابنة جعفر بن يحى البرمكى وامها تسمى فاطمة كانت قيمـة لأم عبدالله بن يحي البرمكي رآهـا جعفر فمال قلبه اليها وأحبها وتزوجهـا فلامه يحى بن خالد وعنفه ، وقال له كيف تتزوج بجارية لا تعرف لهـا ابـاً ولا اماً اذهب واشتر مكانها مائة جارية واتركها ، فلم يستطع جعفر انيخالف رأى ابيه ولا يهون عليه تركها فسكت على مضض واسكنها في دار بناحيـة الانبار ووكل بها من يقوم برعايتها وصار يتردد عليها بين آونة واخـرى . فولدت له عريبا وماتت وتركتها طفلة فدفعها جعفر الى امرأة نصرانية لتقوم بتربيتها وبقيت عندها مدة ولما حلت النكبة بالبرامكة باعتها الـى النخاس سنبس وهذا باعها الى اسماعيل المراكبى فخرج بها الىالبصرة واعتنى بأمرها وخرجها وادبها وعلمها الخط والنحو والصرف والعروض حتى اصـبحت وحيدة دهرها مع جمال نادر المثال ، ولما كان لها استعداد غنائـي استطاعت ان تستغنى عن الحان غيرها فانبرت تقرض الشعر وتضع فيهالألحان فحصلت بهذا على شهرة واسعة اعتلت بها كرسى زعامة الغناء بين القيان ، وفيها يقول اسـحاق الموصـلى :

ما رأيت امرأة اضرب بالعود من عريب ولا احسن صنعة ولا اجـمل وجهاً ولا اخف روحا ولا اميز دلالاً ورشاقة ولا ابلغ كلامـا ولا اسـرع جواباً ولها خصال حسنة لم ارها في امرأة غيرها .

كانت حياة عريب مملوءة بالحوادث المرعبه والحب العارم الذي أوقعها في احضان كثير من الرجال !

اولهم حاتم بن عدي اغرمت به واقامت معه اياماً حتى ملته ولم تستطع البقاء معه ،ففرّت منه دون أن يشعر بها فحزن عليها وظل يبحث عنها أياماً ولما يئس قال فيهـا :

رشوا على وجهي من الماء واندبوا قتيل عريب لا قتيـل حـروب
فليتك اذ عجلتنـي • فقتلتنـي تكونين من بعد الممـات نصيبي

وما لبثت حتى وقعت في غرام جديد فقد احبت محمد بن حامد المعروف بالخشن حباً استولى على مشاعرها فهامت به ونظمت به اشعاراً كثيرة وغنت بها • وابن حامد فتى وسيم الطلعة اصهب اللون ازرق العينين وفيه تقول :

بأبـي كـل ازرق اصـهب اللـون اشقر
جن قلبـي بـه وليـ ـس جنونـي بمنكـر

ولم يخف عن مولاها المراكبي وكان يعلم انها اغرمت بعشيق جديـد والحب يعمى ويصم فمهما أوتي صاحبه من الحكمة والتعقل فانه يفقدهمـا اذا وقع في شراكـه •

وظلت عريب تتحين الفرص للقاء ابن حامد بعد ان منعها مولاها مـن الاتصال به واذا خرجت من داره ارسل معها جارية مـن جواريه تدعـى مظلومة لتراقبها وتمنعها من لقاء ابن حامد •

ومن الاتفاق الغريب ان الجارية مظلومة هي الاخرى تعشق ابن حامد ولكن من منهما ستحظى به ؟ لا شك أنها عريب وأن مظلومة ستكتفي بالتمتع بالنظر الى ابن حامد فقط لأنها كانت تهيء لعريب وابن حامد اسباب اللقاء وفي ذلك يقول الشاعر :

لقد ظلموك يا مظلـوم حتـى اقامـوك الرقيب على عريـب
ولو اولـوك انصافاً وعـدلاً لما اخـلوك انت من الرقيـب
اتنهين المريـب عـن المعاصـي فكيف وانت من شـأن المريب
فأن يسترقبوك عـلى عريـب فما رقبوك انت من القلـوب

وهكذا ظلت عريب تجتمع مع ابن حامد تحت ستار الرقابة ولم يطب

لها العيش مع المراكبي وهي مغرمة بأبن حامد ولم تكتف بلقائه على يد الجارية مظلومة كم لم تحصل على الحرية التامة ومظلومة الرقيبة عليها • والحرية في الحياة هي اذا عاش الانسان حرا طليقا لا يسيطر عليه الا نفسه•

الحرية شمس يجب ان تشرق في كل نفس فمن عاش محروما منها عاش في ظلمة حالكة •

الحرية هي الحياة ولولاها لكانت حياة الانسان اشبه شيء بسجن ضيق •

واخيرا فرت عريب الى ابن حامد فتلقاها وحجبها في منزله فجاء اليه المراكبي وحاول ان يسترجعها منه فلم يفلح فذهب وشكاه الى الخليفة المأمون[1] فامر بأحضار ابن حامد كما امر ان يجرد عن ثيابه ويضرب بالسياط الى ان تحضر عريب • وعلمت عريب الخبر فحضرت وقد كشفت عن وجهها وهي تصيح ويلاه لم تضربونه ؟ لا اريد المراكبي ان كنت مملوكة له فليبعني • وان كنت حرة فلا سبيل له علي فرفع خبرها الى المأمون فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضي فعدلت عنده وتقدم اليه المراكبي مطالبا بها فسأله البينة على ملكه اياها فعاد متظلماً الى المأمون وقال ياسيدي لقد طولبت بما لم يطالب به أحد في رقيق ولا يوجد مثله في يد من ابتاع عبداً او امة • فامر المأمون بدفعها الى محمد بن عمر الواقدى القاضي بالجانب الشرقي في بغداد • فأمر ببيعها ساذجة فاشتراها المأمون بخمسين الف درهم ودعا بالمراكبي فدفعها اليه ، وقال له لولا اني حلفت الا اشترى مملوكا باكثر من هذا لزدتك ولكني سأوليك عملاً تكسب فيه اضعافا لهذا الثمن ورمى اليه بخاتمين من ياقوت احمر قيمتهما الف دينار وخلع عليه ، فقال يا سيدي أنا ينتفع بمثل هذا ؟ وأما أنا فاني ميت لا محالة لأن هذه الجارية كانت حياتي وخرج من حضرته واختلط وتغير عقله ومات بعد اربعين يوما•

ولما حلت عريب قصر المأمون كان على وسعه اضيق من كفه الحابل في عينها ودامت فيه على كره منها ثم احتالت في الخروج الى ابن حامد وكانت

---

(١) هو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد تولى الخلافة سنة ١٩٨ هـ ٨١٣م الى سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣م •

تلقاه وقتا بعد وقت حتى حبلت منه وولدت نبتا وبلغ ذلك المأمون فامــر بالباسها جبة صوف وختم زيقها وحبسها في مكان مظلم شهرا لا ترى الضوء يدخل اليها ثم ذكرها المأمون وسأل عنها فقيل له هي في سجنها فرق لها وامر باخراجها فأخرجت ولم تتكلم حتى اندفعت تغنى :

| | |
|---|---|
| لو كان يقدر ان يبثك ما بــه | لرأيت احسن عاتب يتعتــب |
| حجبوه عن بصرى فمثل شخصه | في القلب فهو محجب لا يحجب |

ومرت الايام وعز اللقاء بين الحبيبين ومر بفكر ابن حامد ان عريبـاً نسته وشك انها خانته وغدرت به ولما علمت ما خامره كتبت اليه :

| | |
|---|---|
| ويلى عليـك ومنكــا | اوقعت في الحب شــكا |
| زعمت انــي خؤون | جـوراً علـي وافكــا |
| ان كان ما قلت حقــاً | او كنت ازمعت تركــا |
| فابــدل الله ما بــى | من ذلة الحب نســكا |

وكتبت له يوما تستزيره فكتب اليها انى اخاف على نفسى •

فكتبـت اليـه :

| | |
|---|---|
| اذا كنت تحذر ما تحـذر | وتزعـم انــك لا تجسر |
| فمالى اقيم على صبـوتى | ويوم لقائــك لا يقدر |
| تبينت عذرى وما تعـذر | وابليت جسمى ولا تشعر |
| ألفت السرور وخليتنــي | ودمعى من العين لا يفتـر |

وزارته يوما وبعد ان جلسا جعل يعاتبها ويقول لها : فعلت كذا وكذا، فقالت يا عاجز • دع عنك هذا الآن واجعل سراويلي في عنقي والصق خلخالي بقرطى فاذا كان غداً اكتب الي بعتابك وقل فيه ما شئت ان تقول • فقــال اقول مثلما قال العباس بن الأحنف :

| | |
|---|---|
| تعب يطول من الرجاء لدى الهوى | خير له من راحـة في اليــاس |
| لولا كرامتكـم لمـا عاتبتكــم | ولكنتم عنـدي كبعض النـاس |

وبقيت عنده باطيب لقاء ثم ودعته وانصرفت •

وظل حب ابن حامد مسيطراً على قلب عريب لا تنزعه قــوة ولا ترهبه سلطة الخلافة ، فماذا يصنع المأمون وهو يعلم بها ، ايعاقبها على ذلك ؟ وقد

ملكت قلبه حتى لقبت بالمأمونية ! وغلب عليها هذا اللقب ، ومن حبه لها انه كان يقبل رجليها ! وقالت له مرة حين قبلهما . والله يا امير المؤمنين لولا ما شرفهما الله لوضع فمك عليهما لقطعتهما . ولكن لله عليّ ان لا اغسلهما لغير الوضوء أو طهر الا" بماء الورد ما عشت .

وكان المأمون لا يطيق فراق عريب ويصطحبها معه أينما ذهب ومع هذه الملازمة الشديدة فقد كانت تحتال للقاء ابن حامد ، وحدث احمد بن حمدون عن ابيه قال . قال ابى كنت حاضراً في مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء وكانت ليلة ظلماء يتخللها برق ورعد . فبعثنى المأمون برسالة الى معسكر المعتصم فركبت وبينما انا سائر سمعت وقع حوافر دابة فرهبت ذلك وجعلت اتوخاه . وبرقت بارقة فتبينت وجه الراكب فاذا عريب فقلت عريب؟ قالت نعم . فقلت من اين في هذا الوقت ؟ قالت من محمد بن حامد قلت وما صنعت عنده ؟ قالت . عريب تجيىء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة راجعة اليه . تقول لها اي شيء صنعت عنده ؟ صليت معه التراويح وقرأت عليه جزءاً من القرآن الكريم ودرسته شيئا من الفقه ، ويلك يا احمق . تحادثنا وتعاتبنا وشربنا وغنينا وتعانقنا . وانصرفنا افهمت ؟ قال فاخجلتنى فمضيت واديت الرسالة وعدت الى المأمون فاخذنا فى الحديث وتناشد الاشعار وهممت ان احدثه حديثها ولكنى هبته فقلت اقدم قبل ذلك تعريفا بشيء من الشعر والمأمون شاعر نبيه لابد ان يفطن اليه فانشدته .

| | |
|---|---|
| الا حي اطلالا" بواسعة الجبل | انوف تسوى صالح القوم بالرذل |
| فلو ان من امسى بجانب تلعة | الى جبلي طيء لساقطه الحبل |
| جلوس الى ان يقصر الظل عندها | لراحوا وكل القوم فيها على وصل |

فقال لي المأمون اخفض صوتك لا تسمع عريب فتغضب وتظن اننا في حديثها فامسكت عما اردت ان اخبره به وعلمت انه مأخوذ على يده ! هذا كله والمأمون يظن أن عريباً مخلصة له بحبها وانها اودعت اليه قلبها المتقلب . والقلب ما سمي قلباً الا لتقلبه وانحرافه وهل المأمون وهو الرجل

الكامل يصدق حب عريب له وهي لا تصبر على طعام واحد ! فاذا كان هذا حال عريب فكيف يغض النظر عن فعلها ! وقد احاط علما بكل مـا تنطوى عليها سريرتها ونواياها الخبيثة مع الامور التى لا يمكن الاغضاء عنهـا • والخلفاء العباسيون يفتكون باقرب الناس اليهم لاقل شبهة او ريبة • فكيف تعلل هذا ؟ وان سلطان الحب قاهر •

لقد عرفنا أن عريبا لم تخلص لواحد ممن أحبتهم • وان حياتها الغرامية ليست لها نهاية نفسانية • وهي في حبها كالريشة فى مهب الريح او كسفينة في بحر متلاطم الامواج ، والدليل على ذلك ما حدّث به ابن المعتز قال :

حدثني علي بن الحسن أن عريبا كانت تعشق أبا عيسى بـن الرشـيد وكانت لا تضرب المثل الا بحسن وجهه وغنائه • وكانت تزعم انها ماعشقت احدا من بنى هاشم واصفته المحبة من الخلفاء واولادهم سواه • وقد عشقت صالح المنذرى الخادم وتزوجته سرا فوجه به المتوكل الى مكان بعيـــد في حاجة له فقالت عريب فيه •

| | |
|---|---|
| اما الحبيب فقد مضـــى | بالرغـم منـى معرضـا |
| اخطأت في تركى لـــــه | لم الق فيـه عوضـا |

وحدث بعض جوارى المتوكل قالت • دخلت يوماً على عريب فقالت لي تعالى ويحك الي فجئت فقالت : قبلي هذا الموضع مني فانك تجـدين رائحة الجنة واشارت الى مابين نهديها • فقلت لها ما السبب في ذلك ؟قالت قبلنى صالح المنذرى من هذا الموضع !

وممن هويتهم عريب واستماتت في حبّهم ابراهيم بـن المدبّر وكـان شاعرا مجيدا وكاتبا اديبا اتخذه الخليفة لكتابة امور الدولة وقد تولـى كثيرا من الولايات • منها ولاية البصرة ولسوء اعماله وتصرفاته غير اللائقة حبسه المتوكل فقال وهو بالحبس :

| | |
|---|---|
| وانى لتثنينى الشمال اذا جـرت | حنيناً الى الاف قلبى واحبابـى |
| واهدى مع الريح الجنوب اليهـم | سلامىوشكوى طولحزنى واوصابى |
| فيا ليت شعرى هل عريب عليـمة | بذاك ام نام الأحبة عمابـيـى ؟ |

وكثيرا ما استعطف المتوكل في شعره فلم يعطف عليه حتى تشفعت له عريب واخرج من سجنه ، وكانت عريب تقدم ابن المدير على كل من احبته وشغفت به بعد ابن حامد وقد كتبت له عدة رسائل تشوقا اليه وتحببا له •

## رسـائل عريـب

لعريب كثير من النثر الجيد الذي يثير الاعجاب ، ويعد من أساليب النثر الأدبي • وكانت تضع فيه العبارات التي تنم عن اظهار قدرتها النثرية وابراز علمها • وهذه طائفة من رسائلها الى ابن المدبر •

**الرسالة الاولى**

استوهب الله حياتك • قرأت رقعتك التي كلفتها لسؤالك عن أحوالنا ونرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ونسأله الأجابة فلا تعوّد نفسك جعلني الله فداك هذا الجفاء والثقة مني بالأحتمال وسرعة الرجوع

**الرسالة الثانية**

وكتبت اليه وقد بلغها صومه يوم عاشوراء :

قبل الله صومك وتلقاه بتبليغك ما التمست • كيف ترى نفسك نفسي فداؤها ؟ ولم كدرت جسمك في آبه أخرجه الله عنك في عافية فانه فظ غليظ وأنت محرور واطعام عشرة مساكين أعظم لأجرك ولو كان لصمت لصومك مساعدة • وكان الصواب في حسناتك دوني لأني في الصوم كاذبة •

**الرسالة الثالثة**

فداؤك السمع والبصر والأم والاب ومن عرفني وعرفته • كيف ترى نفسك وقيتها الأذى • وأعمى الله شانئك وامقه الله • كيف ترى الصوم عرف الله بركته وأعانك على طاعته •

ارجو ان تكون سالمًا من كل مكروه بحوله وقدرته ، ووا شوقي اليك ووحشتي لك ردك الله الى احسن ماعودك • ولا اشمت بي فيك

عدوا ولا حاسدا . وقد وافاني كتابك لاعدمته الا بالغنى عنه بك .وذكرت حامله فوجهت رسولي اليه ليدخله فاسأله عن خبرك فوجده منصرفا ولو رأيته لفرشت خدى له وكان لذلك اهلا .

**الرسالة الرابعة**

وكتبت اليه بلهجة شديدة من قلب مفعم بالغيظ وقد عتبت عليه في شيء بلغها عنه .

وهب الله بقاءك ممتعا بالنعم وما زلت أنبس في ذكراك فمرة بمدحك ومرة بشكرك . ومرة بأكلك وذكرك بما فيك لونا لونا وأجحد ذنبك الآن وهات جميع الكتاب ونغامتهم ، وما اخبرنا امس فانا شربنا من فضلة نبيذك على تذكارك وقد رفعنا حسباننا اليك فارفع حسبانك . وخبرنا من زارك امس والقاك واي شيء كانت القصة على وجهتها ولا تخظرف فتحوجنا كشفك والبحث عليك وعن حالك وقل الحق فمن صدق نجا وما احوجك الى تأديب فانك لاتحسن ان تود والحق اقول انه يعتريك كزاز يجوز حد البرد . كفاك بهذا من قولى عقوبة وان عدت سمعت اكثر منه واغلظ مما فيه والسلام على من وعى .

**الرسالة الخامسة**

بنفسي أنت وسمعي وبصري وكل حواسي .
اصبح يومنا هذا طيبا طيب الله عيشك ومقامك ،

يوم قد احتجب سماوءه ورق هواوءه وتكامل صفاوءه فكأنه انت في رقة شمائلك وطيب محضرك وسخبرك لافقدت ذلك ابدا منك ولم يصادف حسنه وطيبه نشاطا ولا طربا لامور صدتني عن ذلك ،

أكره تنغيص ما أشتهيه لك من سرور بنشرها وقد بعثت اليك ببدعة وتحفة لتؤنساك وتسر بهما سرك الله وسرني بك .

فكتب اليها يقول ،

كيف السرور وانت نازحة عنى وكيف يسوغ لي الطرب

ان غبت غاب العيش وانقطعت | اسـبابـه والمت الكـرب

وأرسله اليها فلم تلبث أن جاءت على حمار فوثب وخرج حافيا واخذ بركابها حتى نزلت وقبل الارض بين يديها وانزلها في مجلسه وجلس بين يديهـا وقال ،

الارب يـوم قصر الله طولـه | بقرب عريب حبذا هو من قرب
بها تحسن الدنيا وينعم عيشها | ويجتمع السراء للعين والقلب

وقضت معه يوماً من احسن الايام في شراب وغناء في هـذا الشعر وكانت بدعه تضرب على العود وتحفه تزمر فوصفهما ابن المدبّر بقوله :

ان عريبـاً خلقـت وحدهـا | في كل ما يحسن من امرهـا
ونعمـة الرحمن في خلقـه | يقصر العـالم عـن شـكرها
اشـهد في جاريتيهـا عـلى | انهمـا محسنتا دهرهـا
فبدعـة تبـدع في ضربهـا | وتحفـة تحسـن في زمرهـا
يا رب امتعهـا بمـا خولـت | وامـدد لنا يا رب في عمرهـا

وأراد ابن المدبّر أن يمحو الشك من قلب عريب فقال شعـراً وقـد تغنت به فى مجلسها وهـو :

زعمـوا انني احـب عريبـاً | صدقوا والله حبـاً عجيبـا
حل من قلبـي هواها محـلاً | لم تـدع فيه لخلق نصـيبا
ليقل من رأى النـاس قدمـاً | هل رأى مثل عريب عريبـا
هى شمس والنسـاء نجـوم | فاذا لاحـت أفلن غيوبـا

وفي اواخر ايام عريب ركنت الى العزله مع جواريها وقد تقدمت بهـا السن ولم تفقد بها مكانتها الغنائية والادبية والثقافية حتى ماتت ٠

# متيم الهشامية

قينة من قيان العصر العباسي ابتسم لها الحظ في فجر حياتها وما انفك ذلك الابتسام حتى استحال الى ضحكة عالية سمعت فى كل مجالس الغناء ثم عبس بوجهها ذلك الحظ وتجهمت لها الاقدار وانتابها الشقاء بعد السعادة ولازمتها المحنة بعد الوفاة بفقدها مولاها علي ابن هشام •

كانت متيّم أول نشأتها للبابة بنت عبدالله المراكبي فاشتراها علي بن هشام بعشرين الف درهم واليه نسبت فقيل لها الهشامية وغلب عليها هذا اللقب ! وما كان لعلى ان يدفع قيمة جارية في حداثة سنها هذا القدر من المال لولا ما كانت تشفه مخايلها من دلائل النبوغ والعبقرية ؟ وعنى بها علي بن هشام وتركها تقيم بالبصرة حتى تمت ثقافتها واستكملت تربيتها وقد نبغت فى الغناء وقرض الشعر وابتكار روائع الالحان • وقد استقام فنها الغنائي واشرقت مواهبها وهى مستترة لاتغنى الا فى خلوة عند الخلفاء والامراء • وكانت احذق القيان بالموسيقى علما واداءا واخبرهن بالانغام والايقاع واطبعهن فى العزف على العود ، ولعلى بن هشام مجالس غنائية لاتقل روعة عن مجالس الخلفاء وكان المغنون وهواة الطرب يقصدون مجالسه لسماع الغناء من متيّم وحسب متيّم أن اسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدي كانا يبلغ بهما الأعجاب بفنها ويحسدانها لما هي عليه من البراعة• والحسد داء قديم بين اهل صناعة ومهنة فى كل عصر وزمان ، وكثيرا ماكان اسحاق وابن المهدى يحتالان فى استعادة الحانها حتى يأخذاها وعلى الرغم من منزلة اسحاق الموسيقية وقدره الرفيع فى فنه لم يمنعه ذلك من الاعتراف بها وتقديرها ،

وغنت يوما امام الخليفة المعتصم [1] لحنها ،

---

(1) هو محمد المعتصم بن هارون الرشيد تولى الخلافة سنة ٢١٨هـ ٨٣٣م الى سنة ٢٢٧هـ-٨٤٢م

لزينب طيف، تعتريني طوارقه هدواً اذا ما النجم لاحت لواحقه

وكان ابراهيم بن المهدي حاضراً فأعجب باللحن وود لو أنه يأخذه وطلب منها اعادته فقالت للمعتصم ياسيدى ابراهيم يستعيدنى الغناء وكأنه يريد استلابه لنفسه فضحك وقال لاتعيديه فامسكت وبعد ايام كان ابراهيم في مجلس المعتصم ومتيّم غائبة عنه فانصرف ابراهيم الىمنزلهومتيّم في منزلها بالميدان فجعل طريقه عليها فوجدها في منظرة مشرفة على الطريق وكانت تطرح ذلك اللحن على جوارى على بن هشام فتقدم ابراهيم الى المنظرة وهو على دابته فتطاول حتى اخذ اللحن ثم ضرب باب المنظرة بمقرعته وقال : أخذناه بلا حمدك ولم يعرف عن متيّم أنها أحبت غير مولاها ابن هشام واتصلت بغير المغنين وارباب الفن ،

وروي أن متيّماً اذا خرجت من المنزل لم تخرج سافرة كشأن القيان اللواتى عاصرنها بل تضع النقاب على وجهها ،

فحدث يوما ما استدعى ذهابها الى ابن عبدالله بن الحسن القاضي الى ان يشهد عليها فأمر ان تسفر ففعلت فقيل لعبد الصمد بن المعذل الشاعر لو نظرت الى متيّم وقد أسفرها القاضي لرأيت عجبا فقال :

ولما سرت عنها القناع متيّم روح منها العنبري متيما
رآها ابن عبدالله وهو محكم عليها لها طرفاً عليه محكما
وكان قديماً كالح الوجه عابسا فلما رأى منها السفور تبسما
فان يصب قلب العنبري فقبله صبا باليتامى قلب يحى بن اكثما

فبلغ قوله يحيى بن أكثم فكتب اليه عليك لعنة الله اي شيء اردت منى حتى اتانى شعرك من البصرة ؟ فقال لرسوله قل له متيّم اقعدتك على طريق القافية ،

وحدث الهشامي فقال : كانت متيّم تعلم اني أحب النبق فكانت لا تنفك تبعث الي منه وفي ليلة من الليالى في وقت السحر اذا بالباب يدق فقيل من هذا ؟ فقال خادم متيّم فدخل ومعه صينية فيها نبق ما رأت عيني مثله فوضعها امامى وهو يقول :

سيدتي تقرئك السلام وتقول لك كنت عند امير المؤمنين المعتصم فجاءوه بنبق فذكرتك فها انا مرسلة اليك منه ،

وكانت متيّم شديدة الاعجاب بالبنفسج وبجميع انواع الريحان حتى انها من شدة اعجابها به لايخلو كمّها منه ولا يراه الانسان الا كما قطع من البستان ، وكان المعتصم يداعبها ويجذبها من ردائها ويخطف البنفسج من كمها ، وفي البنفسج قال الحكيم بن منصور :

ولما بدا زهر البنفسج خلته    نجوم الثريا في انامل خرد
يشير بالحاظ مراض كأنه    عيون بنات الروم غشت باثمد

وتقول متيّم عن نفسها بعث الي المعتصم بعد قدومه بغداد فذهبت اليه فأمرني بالغناء فغنيته :

هل مسعد لبكاء    بعبرة او دماء
وذا لفقد خليل    لسادة نجباء

فقال غن غير هذا فغنيت :

اولئك قومي بعد عز ومنعة    تفانوا والا تذرف العين اكمد

فبكى وقال ويحك لاتغنيني في هذا المعنى فغنيت :

لا تأمن الموت في حل ومرتحل    ان المنايا تغشّي كل انسان
واسلك طريقك هوناً غير مكترث    فسوف يأتيك ما يمنى لك الماني

فقال والغضب يلوح بين عينيه والله لولا انى اعلم انك انما غنيت بما في قلبك لصاحبك وانك لاتريدين لمثلت بك ، ولكن خذوا بيدها فأخرجوها فأخذ بيدي فاخرجت ،

ويقول بعض من كانت تتردد اليهم متيّم وتغشى مجالسهم كنا فى مجلسنا نياما بعد أن قضينا سهرتنا ومع الفجر اذا بمتيّم قد دخلت علينا وقالت اطعمونى شيئا فاخرجنا اليها الطعام فاكلت ودعت بنبيذ فشربت ودعت بالعود فاخذته واندفعت تغنى لنفسها وتشرب ،

كيف الثواء بأرض لا اراك بها    يا اكثر الناس عندى منة ويدا

وهذا الغناء من صنعتها في رثاء مولاها على بن هشام . وليس هذا

فقط وانما رثته بكثير من شعرها واقامت عليه النوائح وهى تنوح في وسطهن • ومن ذلك الوقت اصبحت زعيمة النائحات ،

وقالت لها احدى النساء حياك الله يا متيّم كنت علما في السرور فصرت علما في المصائب ،

ويتحدث المؤرخون عن كيفية قتل المأمون لعلي بن هشام فمنهم من قال ان ابن هشام كان عاملا للمأمون على آذربيجان •وعلم المأمون انه يسير في الرعية سير المغتصب الظالم من اخذه الاموال وقتله الرجال بلا سبب موجب فأمر بقتله ، ومنهم من قال ان سبب قتله هو متيّم وهذا هو الصحيح • لأن المأمون لم يخل من نزعة غراميّة تدفعه الى امتلاك كل قينة طيبة كما فعل ذلك مع المراكبى مولى عريب من قبل وقد طلب من على بن هشام ارسال متيّم كلما اشتاقها • والمأمون لا تكفيه الزيارة بل يريدها لتكون جاريته ، ففطن ابن هشام الى ذلك وهو لا يستطيع التنازل عنها لاحد فاندفع الى حيلة يتخلص بها من المشكلة المهمة ، وكان ابن هشام يحرص كل الحرص ان لا تعلق منه متيّم ليظل متمتعا بمحاسنها كاعبا •ولكن الاضطرار جعله يضحي بهذه الرغبة ليحتفظ بها على أية صورة فحملت منه وامضت شهور حملها فولدت واصبحت ام ولد وام الولد لاتباع ولا توهب فبهذا خاب أمل المأمون فيها فحقد على ابن هشام واضمر له الشر حتى قتله ، وكانت متيّم شديدة الوفاء لسيدها ابن هشام فظلت على وفائها له بعد مماته • ومن ذلك انها مرت يوما في نسوة متخفية بقصر ابن هشام بعد ان قتل فلما رأت بابه مغلقا وقد علاه التراب وقفت عليه وقالت :

| | |
|---|---|
| يا منزلاً لم تبل اطلاله | حاشا لأطلالك آن تبلى |
| لم ابك اطلالك لكنني | بكيت عيشى فيك اذ ولى |
| قد كان لى فيك هوى مرة | غيبه الترب وما هلا |
| فصرت ابكى جاهداً فقده | عند ادكارى حيثما حلا |
| فالعيش اولى ما بكاه الفتى | لابد للمحزون ان يسلي |

وبكت حتى سقطت والنسوة يناشدنها ويقلن الله الله في نفسك فانك

تؤخذين الآن وحملت تتهادى بين امرأتين تجاوزت القصر .
وظلت متيّم بعد سيدها ترثيه وتندبه حتى ماتت .
وفي العـام الذي مات به ابراهيم بن المهدي ماتـت القينـة ( بذل ) وكذلـك ماتـت متيّم .

وحدثوا ان جارية للمعتصم قالت له لما مات هولآء ان في الجنة عرسا فطلبوا هؤلآء اليها فنهاها عن هذا القول وأنكره .
فلما كان بعد ايام وقع حريق في غرفة هذه الجارية واحترق كل مـا تملكه فشكت ذلك الى المعتصم وهى تبكى فقال لها لاتجزعى فأن هذا لـم يحترق وانما استعاره اصحاب ذلك العرس .

## عاتكة بنت شـهدة

عرفت عاتكة بأسم امها واشتهرت به حتى غلب عليها فنالت به مقامـا رفيعا وكانت أمها مغنية مدنيّة حظيت عند الوليد بن يزيد الخليفـة الأموي حظـوة ما نالتهـا قينة من قيانه .
وحدث بعض المغنين قال : كنا ليلة عند الرشيد وحضر معنا محمد بن داود فتغنى المغنون واندفع ابن داود يغنى :

| | |
|---|---|
| ام الوليد سـلبتنى حـلمى | وقتلتنـى فتخوفى آثمـى |
| بالله يـا ام الوليـد امـا | تخشـينَ في عواقب الظلم |
| وتركتني أبغـي الطبيب ومـا | لطبيبنـا بالـداء من عـلم |
| خافى آلهك في ابن عمك قـد | زودتـه سـقماً عـلى سـقم |

قال فاستحسن الرشيد الغناء كما استحسنه جميع من حضره فقـال الرشيد لمن هذا الغناء يابن داود ؟
قال ياامير المؤمنين سل هوءلاء المغنين لعلهم يعرفون لمن هو ؟
فقالوا والله لاندرى وانه لغريب ،
قال ابن داود انا اخذته من شهدة جارية الوليد بن يزيد وهـى ام

عاتكة الشهيرة بنت شهده ،

وعاتكة اخذت الغناء عن امها فاصبحت علما من اعلامه ،

وذكر اسحاق الموصلى قـال :

عاتكة بنت شهدة كانت اضرب من رأيت بالعود ولقد مكثت سبع سنين اختلف اليها في كل يوم فتعلمنى ضربا او ضربين وكان ضربها يطبع في فكرى لايبرحه وكنت اشعر انه ياخذ بمجامع قلبي ويدب في جميع مفاصلي وقد وصل اليها منى ومن ابى مينوف على ثلاثين الف درهم لتعليمى ماعدا الهدايا وكانت احذق الناس بالغناء صوتا واتزانا • واجمل القيان ملاحة وظرفا ،

وكان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع فكانت اذا اخذ يتزايد في غنائه تقول له الى اين يا ابا القاسم ؟ ماهذا الترجيع الذى لا معنى له عد بنا الى معظم الغناء ودعنا من جنونك •

وقد افرطت يوما فى الرد على ابن جامع بحضرة الرشيد مما اضجره فقال لها كلاما فاحشا مخجلا • فقالت له اسكت قطع الله لسانك ولم تعد بعد ذلك الى تحديه واذيته ،

وحدث على بن جعفر قال دخلت على جوارى المرواني المغنيات بمكة وعاتكة بنت شهده تطارحهن لحنها :

يا صاحبى دعا الملامة واعلما ان الهوى يدع الكرام عبيدا

فانبرت واحدة منهن تقول :

يدع الرجال عبيدا • خير من يدع الكرام عبيدا •

فصاحت بها عاتكة ويلك بندار الزيات وهو من تعلمين قبحا ورقاعة وصفاقة وتانة وبخلا رجل افمن الكرام هو ؟

قال ابن جعفر ولم يزل هذا عالقا في ذهني فكنت اذا مر بي بندار ورأيته غلبني الضحك فاستحي منه وآخذ بيده واصافحه وأجعل ذلك بشاشة منى اليه حتى اورث هذا بيني وبينه مقارنة فكان يقول للناس بيني وبين علي بن جعفر صداقة لاتنفك عراها ،

ومما ذكر ان مخارق المغنى في اول امره كان مملوكا لعاتكة بنت شهده • وهي اول من وضعت يده على العود وعلمته الضرب عليه كما علمته اصول الغناء فحذقها ثم باعته فانتقل منها الى ملك رجل آخر حتى صار الى الرشيد فبلغ عنده منزلة عالية ،

وحدث اسحاق الموصلى قال ،

ان عاتكة انتقلت من بغداد الى البصرة وبقيت فيها تطارح الشعراء وتنافس المغنين والمغنيات حتى ماتت ••

## خليدة المكية

امتلأت بطون الكتب التاريخية والأدبية بأخبار قيان العصر العباسي وماهن عليه من غناء مرح يعج بالانغام الموسيقية والشعر المستملح ، وفي ذلك الوقت ظهر ثلاث قيان وهن : خليدة المكية الموضوعة البحث • وعقيلة وربيحة امتلكهن رجل نخاس يدعى ابن شماس ، فعرفن (بالشماسيات) نسبة اليه وكان نصيبهن من الاخبار الغنائية قليلا جداً • ولئن كان رواة الاخبار لم يتوسعوا بالحديث عنهن فذلك مما يدل على انهن غير جديرات بالذكر وانهن غير معدودات من القيان اللواتي لهن مكانتهن في قصور الخلفاء والامراء ، نستثني منهن خليدة المكية فقد كانت ابرزهن واعلاهن قدرا لما هي عليه من حسن الصنعة في الغناء الذي أخذته عن المغنية جميلة مولاة الانصار ،

وكانت تنخرط في جواريها وتقوم في خدمتها طمعاً في الحصول على بعض اغانيها • ولقد اختارتها جميلة وضمتها الى موكب حجها ولها غناء في مجلسها هناك ومنه ،

| | |
|---|---|
| الا يا من يلوم على التصابى | افق شيئاً لتسمع من جوابي |
| بكرت تلومنى في الحب جهلاً | وما في الحب مثلى من معاب |
| اليس من السعادة غير شك | هوى متواصلين على اقتراب |

كريم نـال وداً في عفـــاف وســـتر من منعمـة كعـاب

وكانت خليدة سوداء اللون ذات عيون ساحرة وحواجب مقرونـــة وانف رقيق وقامة هيفاء وفم ارجوانى وسوادها لـم يحـل بينهـا وبـين الاعجاب بهـا ،

وقالوا ان اكثر من واحد من أهل المدينة افتتن بهـا ومنهم من يشير اليه الشاعر بقولـه ،

فتنت كاتـب الأمـير ربـاح يالقـــومى خليـدة المكيـه

ولم ندر من هو الكاتب ؟ اما الامير فهو رباح بن عثمان احـــد ولاة المدينة ولخليدة صنعة غنائية نادرة اعجبت كل من سمعها ،

وروى عن اسحاق الموصلى انه قال سمعت من الفضل بن الربيـع يقول : ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغنـاء خليدة المكيـــة وغنت مرة امام هشام بن عروة فاعجبه غناؤها وطرب له فقال لهـا : اكتبى في صدرك ( قل هو الله احد ) • وفي كتفك المعوذتين لئـلا تصيبك عـين •

وحدث عمر بن شبه قـال :

بلغنى ان محمدا بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ارسل الى خليدة المكية اباعون مولاه ليخطبها له فذهب اليها فاستأذن فاذنت لـــه وعليها ثياب رقاق لاتسترها فوثبت وقالت ظننتك بعض سفهائنا ولكنـى ألبس لك ثيابا تليق بك ففعلت وقالت قل حاجتك ؟

قال ارسلنى اليك مولاي وهو من تعلمين منزلته من رســـول الله صلى الله عليه وسلم ومن علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وهو يخطبـك له فقالت :

لقد نسبته فابلغت • فاسمع نسبي أنا بأبي انت ان ابي بيع على غـير عقد الاسلام ولا عهده وعاش عبدا ومات في رجله قيد وفي عنقـه سلسلة ، وولدتنى امى على غير رشدة وهى آبقه وها انا من تعلم وقالت : فان اراد صاحبك نكاحا مباحا • او زنا صراحا فهلم اليه فنحن لـه •

فقال ابا عون انه لايدخل الحرام ،

فقالت : ولا ينبغي ان يستحي من الحلال ، واما نكاح السر فلا والله مافعلته ولا كنت عارا على القيان به ،

قال فاتيت محمدا فاخبرته بذلك ،

فقال : ويلك اتزوجها معلنا وعندى بنت طلحة بن عبدالله يعنى عائشة بنت طلحة ( المشتهرة بحسنها وجمالها ) هذا لا يكون ابدا • ولكن ارجع اليها فقل لها تختلف الى اردد بها بصرى لعلى اسلو • فرجعت اليها وابلغتها الخبر فضحكت وقالت :

اما هذا فنعم ولسنا نمنعه من ذلك ،

وظلت خليدة بعد ان عتقها مولاها تعيش وحيدة فى دار خاصة بها تحترف مهنة الغناء وتكسب منها مايرفه عنها في حياتها المعاشية طليقة حرة يكتنفها مايكتنف حياة القيان اللواتي على شاكلتها من عدم الاباحية والعبث والمجون ••

## عبيدة الطنبورية

سميت بهذا الاسم واشتهرت به لانها اختصت بالضرب على الطنبور والطنبور آلة موسيقية قديمة غير العود • وقد عرف بالطنبور البغدادى لانه من صنع بغداد ، ومن الضاربين على هذه الآلة والذين اشتهروا بها غير عبيدة • ابو حشيشة والمسدود ومخارق • والزبيدي •

وقيل ان عبيدة كتبت على طنبورها هذا البيت ،

كل شيىء سوى الخيا نة في الحب يحتمل

وكانت عبيدة من المحسنات البارعات في صنعة الضرب عليه وقد شهد لهذا بذلك اسحاق الموصلي • وحسبها فخرا بشهادته • وكان ابو حشيشة استاذ الضرب على الطنبور يعظمها ويعترف لها بالرآسة والاستاذية وقد وصف عبيدة احد المعجبين بها قال :

هي احسن القيان وجها واطيبهن صوتا ولم تعرف في عصرها امرأة

اعطر منها ولا الطف ولا اعظم صنعة منها فى الطنبور وكانت لاتخلو من
عشق اما نسبها فهى على ما قيل بنت رجل يقال له صباح مولى ابى السمراء
الغساني • وكان له صديق يعرف بالزبيدي وهو ممن اشتهر بالضرب على
الطنبور • وكثيرا ماكان يزوره ويتناول الشراب معه ويغنى ويأنس واحيانا
ينام عنده وكانت تسمع غناء الزبيدي فوقع في نفسها واشتهته واخذت
تحذو حذوه وتتبع اثره • والمرء اذا احب شيئا عكف عليه وجعلت الطنبور
سميرها في عزلتها وانيسها فى وحدتها وحين تضعه في حضنها تحنو عليه حنو
الام على رضيعها ولما سمع الزبيدي صوتها وما هو عليه من رقة ورخامة
عكف على تعليمها بعد ان توسم بها خيرا ولم يزل يبذل غاية جهده في
تعليمها حتى مهرت به وذاع صيتها في بغداد وعلم الناس انها فاقت الاولين
فى هذه الصنعة وفي هذا الوقت الذى صارت فيه مطمح انظار الناس توفي
والدها وبوفاته تردت حالتها الاقتصادية وعاكستها الايام فخرجت تتجول
في الطرق حاملة طنبورها وتلبى طلب كل من يدعوها الى العزف والغناء
وتقنع بالشيء اليسير مما تكسبه حتى اصبحت هدف القيان اللواتي
استفزتها بغنائها المحكم وجمالها الرائع واول من عشقها وهام بها فتى
يقال له ابن الفرج وكان حسن الوجه كثير المال فركنت اليه وجعل لها دارا
اقامها فيها وقد استحالت اقامتها معه الى الزواج فتزوجها وحجبها عن اعين
الناس وحرم عليها الخروج بعد ان ولدت منه بنتا • ولكن الغريزة الكامنة
في نفسها دعتها ان لاتصبر على هذا السجن الذى يسمى زواجا فكانت
تحتال في بعض الاوقات بحجة الحمام وغيره فتجتمع بمن كانت تهواه وهو
شاب جميل الطلعة يدعى على بن احمد وقد ورث عن ابيه مالا عظيما •
وتعاكس الايام زوجها ابن الفرج فتسوء حالته بفقدان ثروته وتموت ابنتها
فيطلقها وبعد خسارتها لابنتها وطلاقها تنفرد بعلى بن احمد وتظل معه غافلة
عن ريب الدهر حتى فقد علي ثروته وفر هاربا الى حيث لا رجعة •ولم تمض
ايام حتى هويت غلاما من ال حمزة يقال له شرائح وهذا لم يكن ثريا كغيره
وانما كان شابا مليح الوجه يحسن الضرب على المعزفة وظلت معه تعيش هى
بطنبورها وهو بمعزفه فيغنيان الناس فى مجالسهم لقاء دراهم قليلة •ولكن

الغلام لم يستطع معها صبرا فكان مصيره مصير الذين من قبله فنفر منها وظلت وحيدة تصارع وحدتها حتى تعلقت بشاب يعرف بأبى كرب شديد القبح افطس الانف مشوه الخلقة وقيل لها اي شيء رأت من ابى كرب فتعلقت به؟ فقالت : قد تمتعت بكل جنس من الرجال فالسودان نفسي تبشعهم والبيض مللتهم وهذا بين الاسود والابيض وبيته فارغ وهو مطيع لى بكل ما اريد ،

وكان عندها غلام مساعد لها بالضرب على الطنبور يقال له على ويلقب ( بذيل عبيدة ) وهو عندها بمنزلة ( بغل الطحان ) يصلح للحمل والطحن والركوب •

ومن ظواهر حياة عبيدة الطنبورية الفنية انها حضرت مجلسا عند ابى العباس بن الرشيد وقد اجتمع الطنبوريون جميعهم عنده وفيهم المسدود فقالوا له غن • فقال لا والله لاتقدمت على عبيدة وهي الاستاذ فما غنى حتى اخذت عبيدة الطنبور فضربت عليه ضربا ماسمعه الطنبوريون من قبل واندفعت تغني :

| | |
|---|---|
| كن لي شفيعاً اليكا | ان خفت ذاك عليكا |
| واعفنى عن سؤالي | سواك ما في يديكا |
| يا من اعز واهوى | مالى اهون عليكا |

فطربوا طربا شديدا وامر لها ابو العباس بن الرشيد بجائزة ؛

ودعاها يوما فى داره محمد بن مزيد ودعى بعض اصدقائه للحضور للاستماع الى غنائها • وبينما هو ينتظرهم بالباب اذ مر اسحاق الموصلى فقال محمد بن مزيد بعد قليل تأتينا عبيدة الطنبورية وبعض الاصدقاء قال اسحاق فهلا عرضت علي المقام عندك ؟

قال • محمد له • ان علمت ان ذلك ماتنشط اليه لرغبت اليك فيه فان تفضلت بذلك كان اعظم لمنتك ، فقال اسحاق ، افعل فانى اشتهى ان اسمع عبيدة لكن لي عليك شريطه ، قال محمد هاتها ولا بد من اتباعها •قال اسحاق • انها ان عرفتني وسألتموني ان اغنى وهي جالسة لم يخف عليها امري وانقطعت فلم تصنع شيئا فدعوها على جبلتها • قال • افعل ما امرت

بـه وبعد قليل حضرت عبيـدة تحمل طنبورها وادير الشراب وابتدأت تضرب على الطنبور وتغنى •

| | |
|---|---|
| قريب غـير مقتـرب | ومؤتلف كمجتنـب |
| لـه ودى ولى منـه | دواعي الهـم والكـرب |
| اواصـله على سبب | ويهجرنـى بلا سبب |
| ويظلمنـى عـلى ثقـة | بأن اليـه منقلبـى |

فطرب اسحاق طربا شديدا بانت على اساريره علاماته وظلت عبيـدة تغنى وتعيد الغناء نفسه حتى بلغ عشر مرات • وقام اسحق ليصلـى فقال بعض الحاضرين لعبيدة اعرفت هذا الذى طرب لغنائك واخـذ يستعيـده ؟

قالت لا ! من هو ؟ فقيل لها هذا اسحاق الموصلى فبهتت فلما رجـع اسحاق واخذ مكانه اخذتها هيبة واختلاط ونقصت نقصا فى الضـرب والغناء • فاحس اسحاق ان عبيدة عرفته وانطلق من بينهم يجرى ويقول : نغصتهم على يومي ، لاخير في عشرتكم الليلة وانصرف مودعا •

وكان عمرو بن بانه وهو من المغنين المعروفين باقتناء القيان فاذا حضر ضيوفه عنده يدعو عبيدة تغنى لهم لقاء دينارين يدفع بهما اليها ودعاها يوما وعنده بعض الاصدقاء فغنت ،

| | |
|---|---|
| يا ذا الذي بعتابي ظل مفتخـرا | هل انت الا" مليك جار اذ قدرا |
| لولا الهوى لتجارينا على قـدر | وان افق منه يوماً ما فسوف ترى |

وغنت من شعر العباس بـن الاحنف :

| | |
|---|---|
| لم الق ذا شجن يبوح بحبـه | الا حسـبتك ذلك المحبوبـا |
| حذراً عليك وانني بك واثـق | ان لا ينـال سواى منك نصيبا |

وفي عبيدة يقول بعض الشعراء ،

| | |
|---|---|
| امست عبيدة في الأحسان واحدة | فالله جار لها من كـل محـذور |
| من احسن الناس وجهاً حين تبصرها | واحذق الناس اذ غنت بطنبـور |

وماتت عبيدة وقد مات فنها معها وهكذا شأن الفنانين •

# شـــــارية

كانت ليالي بغداد في العصر الذهبي ليالي عجابا ما اجتمع بهـا الغناء والشراب الا والشعر ثالثهما • وكـان الشعراء اذا استولى عليهم الطـرب يغنون ويرقصون • ومن ذلك ما حدث به محمد بن المؤمل قال :

كنا في ليلة مقمرة بحراقة تسير بنا وئيداً في نهر دجلة والقمر ناصـع البياض متلالىء الانوار وقد تسابق الناس الى الشواطىء ليتمتعوا بجمال نهر دجلة ومائه • وكان ابو العتاهية الشاعر معنا فسمعنا غناء بحراقه قريبة منا • وكان نسيم دجلة العليل ينقل الغناء الى آذاننا فيشنّفها فنطرب لـه فقال احدنا • ان صدق ظنى هذا غناء شارية جارية ابراهيم بن المهدى :

فقلت لأبى العتاهية ،اتحسن الرقص ؟ قال • نعم قلت قم بنا لنرقص قال • اخاف ان نغرق • قلت ان غرقنا نكون شهداء غناء شارية •

وشارية فتاة وديعة هادئة حلوة الحديث ظريفة الشكل من مولـدات البصرة كانت لامرأة من الهاشميات بصرية جاءت بها لتبيعها ببغداد فعرضت على اسحاق الموصلي فاعطى بها ثلثمائة دينار ثم استغلاها بذلك وانصرف عنها فجيء بها الى ابراهيم بن المهدى فعرضت عليه فساوم بها فقالت مولاتها قد دفع بها اسحاق الموصلي ثلثمائة دينار والامير اعـزه الله اولـى بهـا فاشتراها ابن المهدى وقد توسم فيها الذكاء والفصاحة والآداب الفاضلة ، وتعهد بتعليمها الغناء وحفظ الاشعار • فكانت اذا اخطأت في لحن بالزيادة والنقص فغاية ماعنده من عقوبتها انه يدعها واقفة على رجليها وتغنى فـلا تجلس حتى تجيد اللحن المطلوب منها وان لم تبلغ الذى يريده اخـذت القينة ( ريق ) العود منها وضربت هي به لتضبط اللحن • وظلت هكذا حتى اتقنـت كل ماعلمهـا !

فلما بلغت الرابعة عشرة اخذت انوثتها تنضج وجمالها يتزايـد فاصبحت فتنة لمن يراها ! فارسل ابراهيم الى اسحاق يدعوه ليراها ويسمع

غناءها فلما حضر وسمعها قال له هذه الجارية تباع فبكم تأخذها لنفسك ؟ قال . اسحاق آخذها بثلاثة الاف دينار وهى رخيصة بها قال ابراهيم اتعرفها ؟ قال لا قال ابراهيم هى الجارية التى عرضتها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار فلم تقبلها فبقى اسحاق يتعجّب من حالها وما صارت اليه وظل ابن المهدي يتمتع بغناء شارية ويعقد المجالس لها ومن كان يحضر بمجلسه ليسمع غناء شارية على بن هشام وعبد الوهاب بن على وغنت في مجلسه من شعره :

يا طول علة قلبي المعتاد     الف الكرام وصحبة الأمجاد

ما زلت آلف كل قرم ماجد     متقدم الاباء والاجداد

فاعجبا بها وحقد عبدالوهاب على ابراهيم لحيازته اياها فراح يغرى الخليفة المعتصم بشرائها ويبالغ في وصفها له وما زال به حتى طلبها المعتصم من ابراهيم واعطاه بها سبعين الف دينار فامتنع من بيعها فتأثر المعتصم كما تأثر عبد الوهاب وصار يتحين الفرص لانتزاعها منه باية صورة فاستغل خبث مولاتها الهاشمية التى اشتراها ابراهيم منها والتى ادعت انها امها فكانت كلما لم تنل من ابراهيم ماتشتهى هددت باسترداد ابنتها واخيرا ذهبت الى عبدالوهاب بن علي وقدمت اليه شكوى ليرفعها الى المعتصم تزعم فيها انها من قريش من بنى زهرة بن كلاب وتطلب اخذ ابنتها من ابراهيم اذ لايجوز ان تكون ابنتها امه . فلما علم ابراهيم بالمؤامرة التى دبرت له تصدق بشارية على ابنته ميمونة واشهد على ذلك صاحبه يوسف ابن ابراهيم المصري ثم اشهد ابنه هبةالله على مثل ذلك . وارسل الى دار القاضى ابن ابى دواد لاحضار شهود معدلين عنده فحضر اكثر من عشرين شاهدا . وامر القاضى باخراج شارية فخرجت . فقال لها اسفرى فجزعت من ذلك فاعلمها انه امرها لخير يريده لها ففعلت فقال تسمى . قالت انا شارية امتك فقال لهم تأملوا وجهها ففعلوا ثم تقدم ابراهيم بن المهدى فقال فاني اشهدكم انها حرة لوجه الله تعالى وانى قد تزوجتها واصدقتها عشرة الاف درهم . فقال القاضى ، ياشارية مولاة ابراهيم بن المهدى .

ارضيت ؟ قالت نعم يا سيدي قد رضيت والحمدلله على ما انعم به علي ثم اطعم الشهود وطيبهم وانصرفوا • وبعد قليل دخل عبد الوهاب بن علي منزل ابراهيم فسلم عليه وبلغه سلام المعتصم ثم قال له يقول لك امير المؤمنين من المفترض علي طاعتك وصيانتك عن كل ما يضرك • اذ انت عمى وصنو ابي وقد رفعت الى امرأة من قريش قضية ذكرت فيها انها من بنى زهرة وانها ام شارية واحتجت بانه لاتكون بنت امرأة قريشى أمة • فأن كانت المرأة صادقة في ان شارية بنتها وانها من بنى زهرة فمن المحال ان تكون شارية امة فالاجدر بك والاصلح اخراج شارية من دارك وسترها عند من تثق به من اهلك حتى تكشف ماقالت هذه المرأة فان ثبت ذلك امرت من جعلتها عنده باطلاقها • وكان فى ذلك الحظ لك في دينك ومرءوتك وان لم يصح ذلك اعيدت الجارية الى منزلك وقد زال عنك القول الذى لايليق بك ولا يحسن ،

فقال له ابراهيم فديتك يا ابا ابراهيم ، هب انشارية بنتامرأة من زهرة ابن كلاب اتنكر ان على بن العباس بن عبدالمطلب ان يكون بعلا لها ؟ فقال عبدالوهاب لا • فقال ابراهيم فابلغ امير المؤمنين اطال الله بقاءه السلام واخبره ان شارية حرة وانى قد تزوجتها بشهادة جماعة من الشهود العدول فلما سمعذلك انصرف وقد رجع الشهود بعد خروجهممن دار ابراهيموعادوا الى ابن ابى دواد فاعلموه أنهم حضروا عتق شارية وتزوج ابراهيم اياها • فركب الى المعتصم فحدثه بالحديث مثيرا تعجبه منه فقال المعتصم • ضل سعى عبدالوهاب ودخل عبدالوهاب على المعتصم فقال له ما وراءك ؟ اظن ان عمى لم يأخذ بما عرضته عليه ؟ فقال الامر كما ظن امير المؤمنين واقبح ثم اخبره بما جرى ،

ولما انصرف عبد الوهاب، من عند ابراهيم ابتاع شارية من بنته ميمونة بعشرة الاف درهم فحلّت له يعاشرها معاشرة الازواج بملك اليمينوقد ستر ذلك عنها فهي تعتقد انها زوجة شرعية وليست امة ولم تعرف هذا السر الا بعد وفاة ابراهيم بن المهدى • فقد طلبت مشاركة زوجته ام محمد بنت

خالد من الثمن فاظهرت خبرها وسألت ميمونة وهبة الله ابنا ابراهيم عن الخبر فاخبرا به المعتصم • فأمر المعتصم بأبتياعها من ميمونة فابتيعت بخمسة الاف وخمسمائة دينار • وقيل بثلثمائة الف درهم ،

فحولت الى داره فكانت من ملكه حتى توفي • ولم يكن المعتصم مغرما بها وانما كان معجبا بجمالها وطيب غنائها • ولم يعرف عن المعتصم عشقه للجواري ولم يشتهر بحب جارية خاصة • وجلس يوما للغناء فغنت جواريه جميعا وغنت شارية من لحن اسحاق الموصلي •

كل شيء منك في عيني حسن ونصيبي منك هم وحزن
لا تظني • انه غيرني قدم العهد ولا طول الزمن

وذكر عبيدالله بن عبدالله بن طاهر قال • امرني الخليفة المعتز [1] ذات يوم بالمقام عنده فأمر فمدت الستارة وخرج من يغني من ورائها وفيهن شارية ولم اكن سمعتها من قبل فاستحسنت ما سمعت منها فقال لي امير المؤمنين المعتز • كيف سمعت شارية ؟

قلت يا امير المؤمنين حظ العجب في هذا الغناء اكثر من حظ الطرب فاستحسن ذلك واخبرها به فاستحسنته ،

وقالت ريق جارية ابراهيم بن المهدي وكانت من المغنيات المعدودات كنت العب انا وشارية بالنرد بين يدي ابراهيم وهو متكيء على وسادة ينظر الينا فجرت بيني وبينها مشاجرة في اللعب فأغلظت لها بالكلام بعض الغلظة فاستوى جالسا فقال • اراك تستخفين بها فوالله ما اجد احدا يخلفك غيرها ،

ومما ذكر ان شارية كانت احسن القيان غناءا منذ توفي المعتصم الى اخر خلافة الواثق •

حدثت طباع جارية الواثق ان الواثق كان يسمى شارية ستي وكانت

---

(١) هو الزبير المعتز بن المتوكل تولى الخلافة سنة ٢٥٢هـ ٨٦٦م — سنة ٢٥٥ هـ ٨٦٩م

تعلم فريدة الغناء وتبذل في تعليمها مجهودا فنيا ، حتى وقع شيء بينهما بحضرة الواثق فحلفت شارية انها لاتنصحها ولا تنصح احدا بعدها فلم تكن تطرح غناءا بعد ذلك الا ونقصت من نغمه !

وكان اهل سامراء متحازبين فقوم مع شارية وقوم مع عريب ولا يدخل اصحاب هذه مع هوءلاء ولا اصحاب هذه في هوءلاء فكان ابو الصقر اسماعيل بن بلبل عريبيا فدعا على بن الحسين يوم جمعة ابا الصقر وكانت عنده عريب وجواريها فاتصل الخبر بشارية فبعثت بجواريها الى علي بن الحسين بعد يومين وامرت احداهن ولم نعلم من هي : مرجانة او مطرب او قمرية ان تغني لعلي بن الحسين .

لا تعودن بعدها فترى كيف اصنع

فلما سمع على الغناء ضحك وقال لست اعود .

وحدثت مُلح العطارة وكانت مليحة الغناء وانما سميت العطارة لكثرة استعمالها العطر المطيّب غنت شارية يوماً بين يدى المتوكل وانا واقفة مع الجواري :

بالله قولي لي لمن ذا الرشا المثقل الردف الهضيم الحشا
اظرف ما كان اذا ما صحا واملح الناس اذا ما انتشى
وقد بنا برج حمام له ارسل فيه طائرا مرعشا
يا ليتنى كنت حماماً له او باشقاً يفعل بى ما يشا
لو لبس القوهى من رقة اوجعه القوهى او خدشا

فطرب المتوكل وقال لشارية لمن هذا الغناء ؟ قالت لا ادري لمن هو ؟

ولقد اخذته من دار المأمون . فقلت له انا اعلم لمن هو ؟ فقال المتوكل لمن هو يا مُلح فقلت. اقوله لك سراً . قال انا في دار النساء وليس بحضرتي غير حرمى فقوليه . فقلت الشعر والغناء لخديجة بنت المأمون . فاطرق المتوكل طويلاً وقال لا يسمع هذا منك احد . هذه شارية وهذه قصتها المليئة بالعجائب !

فلقد عاشت ولم تعرف لها نزعة غرامية كما عرف عن غيرها من القيان اللواتى عاصرنها وماتت بعيدة عن كل ما يشين سمعتها الغنائية والادبية .

## فريـــدة

هما اثنتان محسنتان لهما صفة جيدة في الغناء عرفتا بهذا الاسم فاما احداهما وهي الكبرى فكانت مولدة نشأت بالحجاز ثم وقعت الى آل الربيع فتعلمت الغناء في دورهم وبعد ذلك صارت الى البرامكة فلما قتل جعفر بن يحي ونكب البرامكة هربت وطلبها الرشيد فلم يعثر عليها ثم صارت الى الأمين فلما قتل خرجت من قصره فتزوجها الهيثم بن مسلم فولدت له ابنه عبدالله ومات عنهـــا .

واما الأخرى فهي جارية عمرو بن بانة المغنى اهداها الـى الخليفـــة الواثق[1] بن المعتصم . وكانت من الموصوفات المحسنات حسنة الوجه انفردت بجمالها . حادة الفطنة والفهم كاملة من حيث التربية والأدب والغناء فصارت اثيرة عنده وحظيت بكل الحظوة لديه وقد طلب الى شارية صاحبة ابيه المعتصم ان تعلمهـــا .

ولحسن حظ فريدة ان الخليفة الواثق اغرم بها كما هي اغرمت بـه ، وذكرت ريق انها اجتمعت هي وخشف الواضحية فتذاكرتا احسن ما سمعتاه من المغنيات . فقالت ريّق شارية ومتيّم احسنهن غناء؟ . وقالـت خشف : عريب وفريدة واتفقتا على تساويهن وتقديم متيم في الصنعة وعريب في الغزارة والكثرة وشارية وفريدة في الطيب واحكام الغناء وكان بين الواثق واخـيه جعفر الذى لقب في خلافته بالمتوكل على الله . بغضاء وشحناء كما كان بـين موسى الهادى واخيه هارون الرشيد فكان جعفر يتربص موت الواثق ليحل مكانـــه .

---

(1) هو هارون الواثق بن المعتصم تولى الخلافة سنة ٢٢٧ هـ ٨٤٢م الـى سنة ٢٣٢ هـ ٨٤٧م .

ومن شغف الواثق بفريدة انه كان يعلمها الغناء . والواثق كما قيل عنه من اساطين المغنين وكان يغنى اذا انبسطت نفسه وانشرح صدره . وقد صنع في الغناء مائة لحن ما فيها لحن ساقط ولم يكن يحضر مجلسه اعلم منه بالغناء ولا كان في الخلفاء العباسيين اعرف منه بهذا الفن .

ومن اغاني فريدة التى حذقتها عنده ما غنته من شعر الأحوص :

من عاشقين تزايلا وتواعدا — بلقى اذا نجم الثريا حلقا
فرسا امامهما مخافة رقبة — رصد فمزق عنهما ما مزقا
باتا بانعم ليلة . والذها — حتى اذا برق الصباح تفرقا

ومن غنائها من شعر نصيب :

الا ان ليلة العامرية اصبحت — على النأى منى غير ذنب تنعم
ومازلت استصفى لك الودّ ابتغى — محاسنه حتى كأنى مجرم
خلا تصرمينى حين لابى مرجع — ورائي ولالي عنكم متقدم

ومن غنائها من شعر ابى العتاهية :

اخلاء بى شجو وليس بكم شجو — وكل امرىء مما بصاحبه خلو
اذاب الهوى لحمى وجسمى ومفصلى — ولم يبق الا الروح والجسد النضو
وما من محب نال ممن . يحبّه — هوى صادقا الاّ سيدخله زهو
بليت وكان المزح بدء بليتى — فاحببت جهلاً والبلايا لها بدو
وعلقت من يزهو على تبخترا — واني في كل الخصال له كفو

ومن غنائها في شعر جميل بن معمر :

الا ايها الركب النيام الا هبوا — نسائلكم هل يقتل الرجل الحب
الا ربّ ركب قد وقفت مطيهم — عليك ولولا انت لم تقف الركب

وللواثق مع فريدة مجالس غرامية اكثر من غنائية . ومنها ما حدث عنها محمد بن الحارث قال :

كانت نوبتى في خدمة الواثق يوم الجمعة من كل اسبوع . وكذلك كان لكل من ندمائه يوم لا يتعداه الى يوم آخر . وبينما انا في منزلي يوم الأربعاء اذا برسل الخليفة قد هجموا علي وقالوا اسرع الى الخليفة . فداخلنى خوف

شديد • وقلت لهم ليس هذا يومى ولعلكم اخطأتم • فقالـوا لا تطل الكلام فهيا وقد امرنا الا ندعك تستقر لحظة • فأزداد خوفى وفزعي وقلت في نفسى ايكون ساع قد سعى بى او بلية قد حدثت في رأى الخليفة علي ؟ هذا آخـر أيّامي ، فركبت وسرت حتى وصلت الى قصره • وادخلت من باب غير ما عهدته ولم اكن رأيته من قبل • وسلمت الى خدم لم ترهم عيناى وهؤلاء سلمـوني الى آخرين حتى انتهيت الى صحن كبير مفروش وقـد غطيت جدرانـه بالوشي المنسوج بالذهب ، ثم وصلت الى رواق ارضه وجدرانه ملبسة بمثل ذلك الوشي • واذا الخليفة الواثق في صدر الرواق جالس على سرير مرصع بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب والى جانبه جاريته فريدة وعليها مثل ثيابه وفي حجرها عود مطعم بالذهب • فلما رآنى قال اسرعت والله يا محمد الينا • فقبلت الارض بين يديه وقلت : يا امير المؤمنين خيراً ؟ فقال اما ترانـا لقد طلبت والله ثالثاً يؤنسنا فلم اراحق بذلك منك • فذهب خوفى واشـتد عزمى فشرب وشربت واندفعت فريدة تغنى :

اهابك اجلالاً وما بك قـدرة    على ولكن ملء عينى حبيبهـا
وما هجرتك النفس يا ليل انهـا    قلتك ولا ان قل منك نصيبها

فجاءت والله بالسحر الحلال وجعل الواثق يجاذبها وهي تغنى الغناء بعد الغناء واغنى انا في خلال غنائها فمر لنا وقت احسن ما مر لأحد ، فانا كذلك اذ رفع الواثق رجله وضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من اعـلى السرير الى الأرض وتكسر عودها ومرت تعدو وتصيح وبقيت انا كمنزوع الروح وخفت ان عيني التي جنت عليها اذ شاهدني وقد نظرت اليها ونظرت الي ومن طبيعة المحب اذا رأى حبيبه ينظر الى احد مهما يكن شأنه او جليس من جلسائه يتبادر الى ذهنه انه يغازله او يشير اليه بامر فاطرق الواثق الـى الارض متحيراً واطرقت مستوقعا ضرب العنق ثم رفع رأسه وقال لى : يـا محمد ارأيت اغرب ما تهيئا علينا قلت يا سيدى الساعة والله تخرج روحـى فعلى من اصابنا بالعين لعنة الله • فقال لا • ولكني تخيلت انتـي سأموت وان جعفراً اخي سيقعد فوق هذا السرير وتقعد فريدة بجانبه وتغنيه فلم اطق صبرا وخامرنى ما اخرجنى الى ما رأيت •

قال ابن الحارث فسرى عنى ما الم بى من الخوف والفزع وقلت بـــل يقتل الله جعفرا ويحى امير المؤمنين ثم قبلت الارض وقلت يا سيدى الله الله في فريدة ارحمها ومر بردها . فقال لبعض الخدم الوقوف من يجىء بهـا ؟ فلم يكن اسرع من ان خرجت وفي يدها عود وعليها غير الثياب التى كانـت عليها . فلما رآها الواثق جذبها اليه وعانقها فبكت وجعل هو يبكى واندفعت انا في البكاء ، فقالت فريدة ما ذنبي ؟ وبأي شييء استوجبت هذا ؟ فاعـاد الواثق عليها ما قاله لي وهو يبكى وهي تبكى فقالت سألتك بالله يا امـير المؤمنين الا ضربت عنقى الساعة وارحتنى وارحت نفسك من التفكير وقلبك من الهم بى وجعلت تبكى ويبكى معها ثم مسحا اعينهما من الدموع . فعانقها مرة اخرى ورفعها الى جانبه واومأ الى الخدم بشيء لا اعرفه فاحضرت اكياس من الفضة والذهب فنثرها بين يديها واخرج من درج جاء به خادم عقداً ثميناً ما رأيت انفس منه في حياتي ووضعه في عنقها ومنحني من العطايا ما لا تقدر فعاد مجلسنا كما كنا يعلوه البشر والهناء ويحيط به الحبور والانشراح .

وضرب الدهر ضربته . ومات الواثق واستخلف المتوكل فوالله اني لفي منزلى اذ هجم على رسل الخليفة المتوكل فما امهلونى حتى ركبت وسرت اليه فادخلت والله الى الحجرة بعينها واذا المتوكل في الموضع الذى كان يجلس فيه الواثق على السرير المعد له والى جانبه فريدة . فلما رآنى قال : ويحـك يا محمد اما ترى ما انا فيه من هذه ؟ واشار الى فريدة انا منذ غدوة اطالبهـا بأن تغنى فتأبى ذلك ؟ فقلت لها يا سبحان الله اتخالفين سيدك وسيدنا بحياته عليك غنى فاندفعت تغنـى :

| | |
|---|---|
| مقيم بالمجـازة مــن قنونـا | واهلك بالأجيفر فالثمـاد |
| فلا تبعد فكل فتى سـيأتى | عليه الموت يطرق او يغـادى |

وضربت بالعود الارض ورمت نفسها عن السرير ومرت تعدو وهي تصيح واسيداه ! فنظر إلي المتوكل وقال ويحك يا محمد ما هذا ؟ فقلت لا ادري يا سيدى . قال فما ترى ؟ قلت ارى ان انصرف انا وتحضر فريدة ومعها بعض الجواري فيلاطفنها فانها لابد انترضى. قال فانصرف فيحفظ الله فانصرفت

ولم ادر ما كانت القصة . والحقيقة ان فريدة كانت تعاشر المتوكل على كره منها رغم انه تزوجها . ولعل المتوكل لم يكن فيه من الرقة والملاحة التي تجلب الانظار وتدفع الجوارى الى حبه ومعاشرته .

## قلم الصالحية

لو كانت قلم من القيان اللواتى رضخن للحب واستفزهن الغرام لما كان مولاها صالح بن عبد الوهاب اخو احمد بن عبد الوهاب كاتب صالح ابن الرشيد يعتز بها ويرعاها ويبذل كل مجهوده في تثقيفها وتهذيبها ويعهد بتعليمها الى اساطين المغنين امثال ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وغيرهما حتى بلغت المقام الاسمى من فنها . وبذلك ذاع صيتها واشتهرت في الاوساط الغنائية فلقبت بقلم الصالحيّة نسبة الى مولاها صالح بن عبدالوهاب .وقد عرفت قلم بالجمال الفتان والمنطق الحسن وصفرة لونها الذهبي كما عرفت لها الحان كثيرة اخذها عنها المغنون وفي طليعتهم زرزور الكبير . ومن غنائها وهي عند مولاها صالح في شعر لعلى بن الجهم يهنيء به الواثق حينما افضت الخلافة اليه وهو :

قد فاز ذو الدنيا وذو الدين    بدولة الواثق هارون
وعم بالأحسان من فعله    فالناس في حفظ وفي لين
ما اكثر الداعى له بالبقا    واكثر التالى بآمين

ومما غنته بشعر على بن الجهم ايضا فى الخليفة الواثق :

وثقت بالملك الوا    ثق بالله النفوس
ملك يشقى به الما    ل ولا يشقى الجليس
اسد تضحك عن سدا    ته الحرب العبوس
أنس السيف به واستو    حش العلق النفيس
يا بنى العباس يأبى الله الا أن تسوسوا

فلما سمع المغنون هذا الغناء تلقته الالسن وذاع فى المجالس فسمع الواثق خبره الذى شاع في بغداد وسامراء وسأل عن صاحبه ؟

فقيل له قلم الصالحية ، قال ومن هذه قلم ؟ ومن هو مولاها ، وظل يفكر فى الغناء ونفسه تتوق الى رؤية صاحبته ،

وفي بعض الايام دخل عليه ندماؤه ومعهم بعض المغنين واندفع احدهم يغني من شعر بن كناسة ،

في انقباض وحشمة فاذا صادفت اهل الوفاء والكرم

ارسلت نفسى في سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

فطرب الواثق لحسن اللحن وتركيزه الفنى . وكيف لا والواثق صاحب صنعة في الغناء . وهو من الخلفاء العباسيين الذين تولعوا بالغناء وله فيه الحان كثيرة . وقد سأل لمن هذا الغناء ؟ قالوا يا امير المؤمنين هو لقلم الصالحية ، فلم يكن منه الا أن طلب ابن الزيات وزيره ومستشاره فلما حضر قال من هو صالح بن عبد الوهاب واين هو الان ؟ قال فى بغداد قال الواثق ابعث اليه ان يحضر ومعه قينته قلم . وامتثالا لامره احضرهما ودخلا على الواثق فلما مثلا بين يديه امرهما بالجلوس وامر قلم ان تغنى فغنت فلما سمع غناءها طرب وقال يا صالح بكم تبيعني هذه الجارية؟ قال صالح ابيعها بمائة الف دينار وولاية مصر !

فغضب الواثق واستشاط غيضا وامرهما بالخروج من عنده فخرجا .

خرجت قلم الصالحية من عند الواثق ونفسه عالقة بها وكلما حدثته نفسه تذكر وقاحة مولاها فى طلبه ولاية مصر فيحول ذكراها عنه . وبينما الواثق في مجلس من مجالسه وخيال قلم يتراءى له اخذ زرزور المغنى يغنى .

ابت دار الأحبة ان تبينا اجدك ما رأيت لها معينا

تقطع نفسه من حب ليلى نفوساً ما وثبن لها جزينا

فطرب الواثق وقال لمن هذا الغناء ؟ فقال يا امير المومنين لقلم الصالحية . فقال الواثق ياسبحان الله . فأمر ابن الزيات باحضارها هى ومولاها فلما حضرا بين يديه امرها ان تغنى ( ابت دار الاحبة ) وهو الغناء الذي غناه زرزور . فغنته حتى استوفت به كل شروطه ومعانيه فقال لها

الصنعة فيه لك ؟ قالت نعم يا امير المؤمنين • قال بارك الله عليك • وبعث الى صالح فاحضر فقال له • انى قد رغبت فى هذه الجارية فاستم فى ثمنها سوما يجوز ان تعطاه • فقال اما اذا وقعت الرغبة فيها من امير الموءمنين فما يجوز ان املك شيئا لك فيه رغبة فقد اهديتها الى امير المؤمنين فبارك الله له فيهـــا ،

فلما سمع الواثق منه هذا الكلام استبشر وابتهج وقال قد قبلـــت هديتك ، وامر ابن الزيات ان يدفع اليه خمسة الاف دينار ، ولكـــن ابـــن الزيات تماهل ولم يعطه شيئا لامر هو يعرفه ؟ وصبر مولى قلم على مـ بدر من ابن الزيات فلم يجد له منفذا لقبض الدراهم الا ان يخبر قلما فوجه من اعلمها بذلك • وظل الواثق يطرب لغناء قلم ، ومولاها صالح يحرق الارم ولم يجرأ على مطالبة ابن الزيات وما علم الواثق بما حصل له الى ان غنته يوما فطرب وضمها اليه وقال لها بارك الله فيك وفيمن رباك ، فقالت يا اميـــر المؤمنين وما نفع من رباني منى الا التعب والغرم علي والخروج منى صفراء فأخذ الواثق العجب وقال او لم آمر له بخمسة الاف دينار ! قالت بلي يا امير الموءمنين بأبي انت وامى ولكن ابن الزيات لم يدفع له شيئا • فدعى بخادم من خاصة خدمه وكتب الى ابن الزيات بحمل الخمسة الاف دينار الى مولى قلم وخمسة الاف اخرى معها ،

قال صالح فذهبت مع الخادم اليه بالكتاب فدفع الخمســـة الالاف الاولى وقال الخمسة الاف الاخرى انا ادفعها اليك بعد جمعة فاخـــذت الخمسة الاف الاولى وذهبت • ثم تناساني كانه لم يعرفني! وذهبت اطلبها منه فقال لى اكتب قبضا بها وخذها بعد جمعة • فكرهت ذلك وامتنعـــت وامتنع هو عن الدفع • وكنت اعلم انه يترددعلى منزل صديق لي للشرب والعبث والمجون وكان يتستر من ذلك خوفا من الخليفة الواثق • وبينمـــا هو عند صديقى ليلة من الليالى زرت صديقى فى تلك الليلة ولما علم وجودى اسقط في يده وفطن إلى حرج موقفه ، وقال : يا صالح غداً تقبض الخمسة آلاف دينار ، وفي الصباح الباكر قبضتها منـــه فاشتريت بها ضيعة وجعلتها مصدر معاشى واستغنيت عن كل عمل ،

وعلى ما يظهر من اخبار قلم انها لم تقع في نفس الواثق كما وقعت ، فريدة فقد كان مفتونا بغناء قلم وفنها بينما كانت فريدة حبيبة له لاينفك عن منادمتها ، وقد عاشت قلم بعد الواثق عيشة غير مرضية الى ان ماتت

## فضل اليمامية

انطلق الشعر في العصر العباسى من حدوده القديمة الضيقة الى نطاق واسع وارتدى حللا من التطور وحسن التعبير في كثير من ابوابه ومناحيه واصبح موسيقى الالفاظ متجدد المعاني ولم ينحصر بالشعراء المتجددين كابى نواس وابى العتاهية وبشار بن برد والعباس بن الاحنف وعلى بن الجهم وغيرهم بل تعداهم الى القيان والجواري كعنان جارية الناطفي ومحبوبة جارية الخليفة المتوكل ونبت جارية الخليفة المعتمد وفضل اليمامية التي تتكلم عنها الآن ،

كانت فضل اليمامية شاعرة أديبةفصيحة اللسان سريعة البديهة مطبوعة على قرض الشعر • ولم يكن في القيان اللواتي عاصرنها اشعر منها وكانت حسنة الوجه والجسم معتدلة القوام مهضومة الخصر ثقيلة الارداف وكانت امها من مولدات اليمامة فولدت ونشأت فيها عند رجل من عبد القيس لذلك غلب عليها اسم مسقط رأسها اليمامة ، وبعد ان ادبها وخرجها باعها الى رجل من النخاسين بالكرخ يقال له حسنوية • فاشتراها منه محمد بن الفرج واهداها الى الخليفة المتوكل [1] ولما دخلت عليه يوم اهديت له • قال لها : انت شاعرة ؟ قالت هكذا يزعم من باعنى واشتراني • فضحك وقال انشدينا من شعرك فأنشدت ،

| | |
|---|---|
| خلافة افضت الى جعفر | وهو ابن سبع بعد عشرينا |
| انا لنرجويا امام الهدى | ان تملك الناس ثمانينا |

(١) هو جعفر المتوكل بن المعتصم تولى الخلافة سنة ٢٣٢ هـ ٨٤٧م الى سنة ٢٤٧ هـ ٨٦١م .

لا قدس الله امرءً لـم يقــل　　　عنــد دعائــي لـك آمينــا

فاستحسن المتوكل الابيات وامر لها بخمسة آلاف درهم وامر عريب فغنتها وفضل مع علو قدرها عند المتوكل تجلس للرجل ويأتيها الشعراء ، ويطارحونها الشعر فالقى عليها يوما ابو دلف القاسم بن عيسى وقال لهـا اجيـزي :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم　　　اشهى المطي الي ما لم تركـب
كم بين حبة لؤلـؤ مثقوبــة　　　نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقـب

فقالت فضل مجيبة لـه :

ان المطية لا يلـذ ركوبهـا　　　ما لم تذلل بالزمـام وتركـب
والدر ليس بنافع اصـحابه　　　حتى يؤلف للنظـام بمثقب

وحدث احمد بن ابى طاهر قال القيت انا على فضل الشاعرة

علم الجمال تركتنـي　　　بهـواك اشهر مـن علـم

فقالت على البديهـة :

وابحتتـي يا سيدي　　　سقماً يجل عن السـقم
وتركتنى غرضـاً فد　　　يتك للعـواذل والتهـم
صـلة الحبيب حبيبـه　　　الله يعلمـه كـرم

وحدث على بن الجهم قال: كنت يوما عند فضل الشاعرة فلحظتها لحظة استرابـت بهـا فقالـت :

يا رب حسـن تعرضـه　　　يشـعر انـي غرضه

فقلـت ،

اي فتى لحظك ليس غرضه　　　واي عقد محكم لا ينقضه

فضحكت وقالت خذ في غير هذا الحديث ،

وكتبت فضل الى سعيد بن حميد ايام كان بينهما حب وتواصل :

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى　　　لاقصرت عن اشياء في الهزل والجد
ولكننى ابـدى • لهذا • مودتـى　　　وذاك لاخلو فيك بالبث والوجـد
مخافة ان يفرى بنا قول كاشـح　　　عدواً فيسـعى بالوصال الى الضد

وكتب لها سعيد يقول ،

ثنامين عن ليلى واسهره وحدى — وأنهى جفوني ان ابثك ما عندي

وان كنت لا تدرين ما قد فعلته — بنا فانظري ماذا على قاتل العمد

وحدث ابن الدقاق الضرير قال :

ذهبت انا وابو منصور الباخرزي الى منزل فضل فحجبنا عنها فكتبت الينا تعتذر :

ما كنت اخشى ان ترو الى زلة — ولكن امر الله ما عنه مذهب

اعوذ بحسن الصفح منكم وقبلنا — بصفح وعفو ما تعوذ مذنب

وكتبت فضل الى سعيد بن حميد تقول :

بثثت هواك في بدني وروحي — فالف فيهما طمعاً بيأس

فاجابها :

كفانا الله شر اليأس انى — لبغض اليأس أبغض كل يأس

ولما عشقت بنان عمر المغنى وعدلت عن سعيد بن حميد اسف عليها واظهر تجلدا ثم قال فيها :

قالوا تعز وقد بانوا فقلت لهم — بان العزاء على آثار من بانا

وكيف يملك سلواناً لحبهم — من لم يطق للهوى سراً وكتمانا

كانت عزائم صبري استعين بها — صارت علي بحمد الله اعوانا

لا خير في الحب لاتبدو شواكله — ولا ترى منه في العينين عنوانا

وزارت فضل سعيد فى آخر النهار وجلسا يشربان وبينما هما فى هناء وسرور استأذن غلامه لبنان المغنى فأذن له ودخل وهو يومئذ شاب فى مقتبل العمر حسن الوجه والغناء نظيف الثياب ، فذهب بفضل كل مذهب واقبلت عليه بوجه يطفح سرورا واخذت تحدثه بحديثها الشيق ونظرها الحاد . فغضب سعيد واستشاط غيضا فأحس بنان بما آل اليه حال سعيد فانصرف فاقبل سعيد على فضل يعذلها ويؤنبها فانصرفت وهو غير راض عنها وبعد ان ذهبت كتبت اليه ،

يا من اطلت تفرسي — في وجهه وتنفسي

افديك من متدلل | يزهى بقتل الأنفس
هبني اسأت وما اسأت | بلى اقر انا المسي
احلفتني الا اسارق | نظرة في مجلس
فنظرت نظرة مخطيء | اتبعتها بتفرّس
ونسيت انى قد حلفت | فما عقوبة من نسى

فجرها فقبل رأسها وقال لا عقوبة عليه بل نحمل هفواته وتتجافى عن اساءته ،

وبقي اثر بنان في قلبها وعلقت به ولم تزل حتى واصلته وقاطعت سعيدا فكتب اليها :

يا ايها الظالم مالى ولك | أهكذا تهجر من واصلك
لا تصرف الرحمة عن اهلها | قد يعطف المولى على من ملك
ظلمت نفساً فيك علقتها | فدار بالظلم علي الفلك
تبارك الله فما اعلم الل | ـه بما القى وما اغفلك

وغضب بنان على فضل مرة فى امر انكره عليها فاعتذرت اليه فلم يقبل معذرتها وانشدت لنفسها فى ذلك :

يا فضل صبراً انها ميتة | يجرعها الكاذب والصادق
ظن بنان انني خنته | روحي أذن من بدني طالق

وقال الخليفة المتوكل لعلى بن الجهم قل بيتا من الشعر واطلب من فضل ان تجيزه ،

فقال على اجيزي يافضل :

لاذ بها يشتكى اليها | فلم يجد عندها ملاذا

فاطرقت هنيهه وقالت :

ولم يزل ضارعاً اليها | تهطل اجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد عشقاً | فمات وجداً فكان ماذا

فطرب المتوكل وقال احسنت يا فضل وأمر لها بمائتي دينار •

وقال سعيد بن حميد يوما لفضل اجيزي :

من لمحب احب من صغره

فقالت غير متوقفة

صارا حدوثة على كبره

فقلت ،

من نظر شفه فارقه

فقالت

فكان مبدا هواه من نظره

ثم شغلت هنيهة فقالت ،

اولا الأماني لمات من كمد	مر الليالى يزيد في فكره
ليس له مسعد يساعده	بالليل في طوله وفي قصره

وقال ابراهيم بن المهدى قلت يوما لسعيد بن حميد اظنك يا ابا عثمان تكتب لفضل رقاعها ؟ فقال لى : ما احسن ظنك ليتها تسلم منى لآخذكلامها ورسائلها • ولو اخذ افاضل الكتاب وكبراؤهم واماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك ،

وذكر محمد بن داود الجراح في كتابه (الورقة) في اخبار الشعراء المحدثين فقال ،

فضل الشاعرة مولاة المتوكل اشعر امرأة كانت في هذا العصر ومن شعرها :

قد بدا يشبهك يا مو	لاى يحدو في الظلام
فانتبه نقضى لبانا	ت اعتناق والتثام
قبل ان تفضحنا عو	دة ارواح النيام

وحدث محمد بن السرى احد اصحاب سعيد بن حميد قال :

عرضت لى حاجة عند سعيد بن حميد فذهبت اليه • وبينما انا عنده جاءته رقعة فضل وفيها تقول ،

الصبر يقضى والغرام يزيد	والدار دانية وانت بعيد
اشكوك ام اشكو اليك فانه	لا يستطيع سواهما المجهود

وتحت البيتين تقول :

يا ابا عثمان انا فى حال التلف • ولم تعدنى ولا تسأل عن خبرى

قال محمد فاخذ سعيد بيدي ومضينا اليها فسأل عن خبرها فقالت هوذا اموت وتستريح مني ،

فقال لها لا يافضل وانشأ يقول :

| | |
|---|---|
| لامتّ قبلي بل احيا وانت معاً | ولا اعيش الى يوم تموتينا |
| لكن نعيش بما نهوى ونأمله | ويرغم الله فينا انف واشينا |
| حتى اذا قدر الرحمن ميتتنا | وحال من امرنا ما ليس يعدونا |
| متنا جميعا كغصنى بانة ذبلا | من بعد ما نظرا واستو سقا حينا |
| ثم السلام علينا في مضاجعنا | حتى نعود الى ميزان منشينا |

وظلت فضل تتصارع مع حبيبين استوليا عليها حب بنان المغنى وحب سعيد بن حميد ولم تدر ايهما الغالب • ولكنها كثيرا ماحاولت ان تدرك سر هذا الشغف فعلمت انه هو الجمال الذى وهبه الله لعباده ولولاه ماتعلقت بأمل ولاركنت الى رجاء •

## محبوبة

الشهرة التى نالتها بعض القيان فى العصر العباسى لاترجع الى غنائهن بقدر ماترجع الى حسنهن وجمالهن • فلكل قينة جمالها الظاهر عليها وهذا هو السبب الوحيد الذى تقوم عليه شهرتهن ، اذن فمن هى ذات الجمال الفتان ؟ ومن صاحبة المعانى الحلوة ؟ ومن هي ذات القوام المعتدل والبشرة البضة التي تفيض فتنة واغراءا وتكتنز في مقلتها وقدة الحب وجاذبية الانوثة • اليست هي محبوبة الخليفة المتوكل على حد قول الرواة ،

فقد اطنبوا في وصف جمالها كما انهم ذكروا قليلا من اخبارها الغنائية وان هذا القليل كان للتعريف عن حياتها الفردية • ولم ندر هل كانت خاملة ام كانت ناقصة التدريب الغنائي ؟ واكبر الظن انه لاهذا ولا ذاك بل انها لم

تشتهر بشيء من غنائها وهي عند مولاها الاول عبدالله بن طاهر ، ولعل هذا هو السبب الذي حجبها عن الناس واختفى امرها مما جعل كتاب الأغاني يهمل ذكر غنائها بين القيان ويذكر شاعريتها فقط !

والمشهور عن محبوبة انها مولدة من مولدات البصرة • وهي شاعرة مطبوعة لاتكاد فضل اليمامة تتقدمها وكانت اجمل من فضل واعف منها ملكها المتوكل وهي فتاة بكر اهداها اليه عبدالله بن طاهر اما غناؤها فليس بالفاخر كما نوه به صاحب كتاب الأغاني •

وكانت للمتوكل جارية تدعى قبيحة تسمية بالضد لانها جميلة بارعة في الحسن • ومن شغف المتوكل بها يتحدث عنها دائما • فقال لعلى بن الجهم الشاعر دخلت على قبيحة يوما فوجدتها قد كتبت اسمى على خدها بغالية فلاوالله ما رأيت شيئا احسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدفقل في هذا شيئا من الشعر • وكانت محبوبة تسمع الحديث من وراء الستار فما ان طلب ابن الجهم ورقة وقلما ليكتب ما أمر به المتوكل حتى نطقت محبوبة من وراء الستر مرتجلة هذا الشعر :

| | |
|---|---|
| وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا | بنفسى مخط المسك من حيث اثرا |
| لئن كتبت في الخد سطرا بكفها | فقد اودعت قلبى من الحب اسطرا |
| فيا من لمملوك لملك يمينه | مطيع له فيما اسر واظهرا |
| ويا من هواها في السريرة جعفر | سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا |

فلما سمع على بن الجهم هذا الشعر المرتجل اسقط في يده وتحير ، اما المتوكل فقد طرب واستأنس وبعث بالابيات الى عريب وامرها ان تغنى فيها هى وجواريها ،

وحدث على بن الجهم قال • كنت يوما عند المتوكل وهو يشرب ونحن بين يديه فدفع الى محبوبة تفاحة فقبلتها وانصرفت من حضرته الى الموضع الذى كانت تجلس فيه اذا شرب • ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة دفعتها الى المتوكل فقرأها وضحك ضحكا شديدا فرمى بها الينا فقرأنا واذا فيها :

| | |
|---|---|
| يا طيب تفاحة خلوت بها | تشعل نار الهوى في كبدي |

ابكى اليهـا اشـتكى دنفـي وما الاقى من شـدة الكمـد
لو ان تفاحة بكـت لبكـت من رحمتـى هذى التـى بيدى
ان كنت لا ترحمـين ما لقيـت نفسى من الجهد فارحمى جسدى

فوالله ما بقى احد منا الا واستظرفها • وامر المتوكل فغنى فى الشعر وشرب عليـه يومه ،

وقال علي ابن الجهم حظيت محبوبة عند المتوكل حظوة عظيمة فكان يجلسها خلف الستارة وراء ظهره اذا جلس للشرب فيدخل رأسه اليها يحدثها ويراها كل ساعة ، فغاضبها يوما فهجرها ومنع جواريه جميعا من كلامهـا ونازعته نفسه اليها واراد رضاءها ولكن عزة الخلافة حالت دونذلك ومنعته من الرضوخ اليها وكذلك هى فقد ابت الانصياع • لوثوقها من حبه لهـا ومنزلتها من نفسه !

وقال ابن الجهم فبكرت اليه يوما فقال لي : ياعلي انى رأيت البارحة محبوبة فى نومى كأنى قد صالحتها • فقلت اقر الله عينك يا امير المؤمنـين وانامك على خير وايقظك على سرور وارجـو ان يكون هذا الصـلح في اليقظة ، ولازال يحدثني واجيبه فاذا بوصيفة قد جاءته واسرت اليه شيئا • فقال لي : اتدرى ماسرت الي به الوصيفة ؟ قلت لا فدتك نفسى ، قال : حدثتني أنها اجتازت بمحبوبة الساعة وهي بحجرتها تغني ، افلا تعجب مـن هذا ؟ انى مغاضبها وهي متهاونة فقم بنا اليها حتى نسمع ماتغني، فقـام فتبعته حتى انتهى الى حجرتها فاذا هى تغنى وتقول :

ادور في القصر لا ارى احـداً اشـكو اليـه ولا يكلمنـى
حتى كأني اتيـت معصـيـة ليسـت لها توبـة تخلصـنى
فهل لنا شافع الـى ملـك قد زارنـى في الكرى فصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنـا عاد الى هجـره فصـار منـى

فتعجب المتوكل ودهش من حسن الاتفاق فخرجت اليه وقالت هكذا جئت الي في المنام فصالحتنى وهذا ما سمعته من شعرى وغنائي ، فضمهـا بين ذراعيـه واصطلحا ،

ودارت الدوائر وقتل المتوكل • وظلت محبوبة بعده لايهنأ لها شراب ولاتلتـــذ بطعام وتقول ،

لقد سلمت نفسك للموت ولا اكاد اصدق لانى رأيتك تتغلب علـى كل شيء وانه ليدهشنى كيف لاتتغلب على الموت !

ايها المسجى لقد سخرت من الحياة وشدائدها وعودتنى الابتسام •

اما اليوم فقد طواك الموت وارتشفت كأسه فكأنك اردت ان تلهـب قلبـى نـــار الفـراق ،

مولاي وسيدي ، لقد عودتني الابتسام فى الحياة ثم رغبت في خلود هذه الابتسامة الى الابد • فابتسمت للباكين حولك وانت في نومك الاخير،

وبعد قتل المتوكل امر وصيف التركى الذى له يد في قتل المتوكل • باحضار جواري المتوكل فاحضرن وعليهن الثياب الملونة والمذهبة والحلى وقد تزين وتعطرن الا محبوبة فأنها جاءت بثياب بيض وهي لباس الحزن عنـــد العباسيين ، وكانوا يلبسون البياض ايام الحزن وبعد انقضاء مدة الحــزن يعودون الى لبس السواد المتبع عندهم فأمر وصيف ان تغني الجواري فغنين وطرب لغنائهن وشرب فقال لمحبوبة غن فأخذت العود وهي تبكي وغنت :

اي عيش يطيـب لـى — لا ارى فيه جعفــرا
ملك قــد رأتــه عيــ — ـيني قتيلاً معفــرا
كل من كان ذا هيــا — م وحــزن فقـد بـرا
غير محبوبــة التــى — لو ترى الموت يشترى
لاشــترته بملكهــا — كل هــذا لتقبــرا
ان موت الكئيب اصــ — ـلح مــن ان يعمّــرا

فاشتد ذلك على وصيف وهم بقتلها لولا ان بغــا القائــد التــركي استوهبها منه فوهبها له فاعتقها وامر باخراجها من سامراء وان تختار حيث تختار من البلاد فخرجت الى بغداد وحلت بها ولم يسمع لها بعد ذلك خبر •

# منوسة

للامراء العباسيين مجالس ادب ولهو لاتقل روعة عن مجالس الخلفاء. وقد عرفت هذه المجالس بانتهاز اللذائذ واشباع الميول النفسية الى سماع القيان . وعلى كل ماكان فى هذه المجالس من لهو ومتع كان الشعر فيها مادة خصبة لايستغنى عنه وكان محمد بن عبدالله بن طاهر من اولئك الذين فتحت ابواب مجالسهم للوجهاء والموسرين والشعراء والادباء . وقد جلس يوما فى مجلسه ومعه صديقه ونديمه محمد بن طالوت . فقال له يوما يا ابن طالوت قد خطر ببالي رجل ليس علينا من منادمته ثقل . وقد خلا من ابرام المجاس وبرىء من ثقل المؤآنسة . خفيف الوطأة اذا ادنيته سريع الوثبة اذا امرته ، قال . ومن هو ؟ قال . مان الموسوس ، قال . ابن طالوت ما أسأت الاختيار . قال ، محمد هذا من جهة المنادمة . واما من جهة المؤآنسة فمن يكون ؟ قال : ابن طالوت وهل لنا غير منوّسة ومنوسة كما تعلم انها ممتازة بالحسن والجمال والظرف والدلال مع أدب كامل وشعر جيد رقيق ،

فقال محمد : نعم ما اشرت اليه . فلا يطيب عيشنا بدونها .

فبعث في إحضارها . فما لاحت على محمد حتى تهلل وقام واستقبلها باجمل التحيات والمجاملات الكلامية ، والتحيات تجدها دائما عند كل عربى. وقد تكون معظم تلك المجاملات تظاهرا دليلا على جمال الطبع ودماثة الاخلاق ،

وفي تلك الساعة حضر مان الموسوس بعد ان نضف من قذارته واصلح شعر رأسه ولحيته والبس افخر الثياب ولما دخل سلم فرد عليه السلام.وقال له ابن عبدالله، اما حان لك ان تزورنا مع شوقنا اليك . فقال مان: اعز الله الامير . الشوق شديد . والرد عتيد والحجاب صعب . والبواب فظ . ولو سهل لنا الاذن لسهلت علينا الزيارة ،

فقال له محمد لقد لطفت الاستئذان وامره بالجلوس • ثم نظر محمد الى منوسة وقال لها هذا مان وقد اخترتك من بين القيان لتكوني مؤنستنا اليوم فغنينا غناءا يوقظ النفس ويزيل الهم فاخذت العود وبدأت تغني ،

ولست بناس اذا غدوا وتحملوا دموعى على الخدين من شدة الوجد
وقولى اذا زالت بليل حمولهم بواكر تحدى لا يكن آخر العهد

فقال مان ايأذن لي امير المؤمنين باستحسان ماسمعت فقال نعم لك ذلك فقال مان احسنت يامنوسة فأن رأيت ان تزيدى على الشعر هذين البيتين وهما ،

وقمت اناجى الفكر والفكر حائر بمقلة موقوف على الصد والجهد
ولم يعدنى هذا الأمير بعدله على ظالم قد لج في الهجر والصد

فقال له محمد ومن اي شيء استعديت يا مان فاستحيا وقال لا من ظلم ايها الامير • ولكن الطرب حرك شوقا كامنا فظهر والشوق ايها الامير هو الينبوع العذب الذى اروى به عواطفى وهو نور حياتى ومصدر احلامى • هو دوحة ظليلة انام تحت فيئها اذا التهبت هاجرة الشقاء • هو قلبى الخافق بين جوانحى وروحى التى يضمها صدرى • هو من اعمانى حبه فما ابصرت سواه • واصم حديثه سمعى فما لبيت دعواه فقال محمد لك الله يامان ، ثم غنت منوسة ،

حجبوها عن الرياح لأنى قلت يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها من الرياح الكلاما

فطرب محمد • فقال مان ماعلى قائل هذين البيتين لو اضاف اليهما هذين البيتين ،

فتنفست ثم قلت لطيفى ويك ان زرت طيفها الماما
حيها بالسلام سرا • والا منعوها لشقوتي ان تناما

قال محمد احسنت ياماان ثم غنت منوسة

يا خليلى ساعة لا تريما وعلى ذى صبابة فاقيما
ما مررنا بقصر زينب الا فضح الدمع سرك المكتوما

قال مان لولا رهبة الامير لاضفت الى هذين البيتين بيتين قال محمد هات ماعنـدك يامان فقال ،

| | |
| --- | --- |
| ظبية كالهلال لو تلحظ الصخر | بطرف لغادرتـه هشـيما |
| واذا ما تبسـمت قلت يبـدو | من الثغـر لؤلؤا منظومـا |

فقال الامير احسنت يامان والله لقد سحرتنا منوسة بهـذا الغنـاء

فقال ابن طالوت يامان كيف منوسة عندك في حسنها وادبها وغنائهـا ؟
قال غاية ماينتهي اليها الوصف ثم يقف !

قال . قل ذلك شعرا . فقال ،

| | |
| --- | --- |
| وكيف صبر النفس عن غـادة | تظلمهـا ان قلـت طـاووسه |
| اذا جـرت شـبهتها بانـة | فى جنـة الفـردوس مغروسه |
| وغـير عـدل ان قرنـا بهـا | جوهـرة في التـاج محروسة |
| جلت عن الوصـف فما فكـرة | تلحقهـا بالنعـت محسوسـه |

فقالت له منوسة . قد وجب شكرك يامان . فساعدك دهرك . وعطف عليك بالفك ونلت سرورك . وفارقك محذورك ، وفطن مان الـى انهـا تستفزه بقولها وعطف عليك بالفك فرد عليها قائلا :

| | |
| --- | --- |
| ليس لي الـف فيعطفنـي | فارقـت نفسـي الاباطيل |

ثم قال استودعكم الله وانصرف بعد ان امر له الأمير بجائزة وكـان الامير محمد كثيرا ما يبعث اليه وينادمه .

## نبـت

نجمة متألقة في سماء الغناء العربى فى العصر العباسي . وشاعرة مجيدة اعتلت منبر الشعر في مجالس الادب والمنادمة واشتهرت بقرض الشعر سريعة الاجابه فيه ، كما عرفت بملاحة وجهها ونبرات صوتها وحسن منطقها حتـى اصبحت حديث الناس بالمجالس الخاصة والعامة ،

وتحدث عنها فى مجلس الخليفة المعتمد [١] بعض المغنين واطنب في وصفها وراح ينعتها بكل ما لذ وطاب ، حتى اشتاق الخليفة لسماع غنائها فأمر بأحضارها . فلما حضرت ومثلت بين يديه امرها بالجلوس وقال لها غن فغنت فطرب لغنائها ، وقال لابن حمدون الشاعر وكان حافزا في المجلس اختبرها لنرى مايبدو منها . فقال ابن حمدون اجيزي يانبت هذا المصراع فقال

وهبت نفسي للهوى

فقالت فجار لما ان ملك

فقال فصرت عبداً خاضعا

فقالت يسلك من غير سلك

فلما سمع المعتمد . قال لها احسنت وامر بشرائها فاشتريت من مولاها بثلاثين الف درهم ،

وقال . علي بن الجهم استدعاني الخليفة المعتمد في يوم صائف فلما مثلت بين يديه . اقبلت قينة كأنها البدر ليلة تمامه . فقال . الخليفة هذه الجارية نبت ماتقول فيها ياعلي ؟ فقلت . وانا انظر اليها يا امير المؤمنين ، (هذه الجنة التى كنتم بها توعدون ) فقالت . نبت ،

وما الوعد ياسؤلى وغاية منيتى ،

فان فؤادي من مقالك طائر

فقلت

اما وآله العرش ما قلت سيئا

وما كان الا انني لك شاكر

ثم اندفعت تغنى بصوت ما سمعت احسن منه :

اروح بهم في هواك مبرح اناجى به قلباً كثير التفكر

عليكم سلام لا زيادة بيننا فلا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فطرب المعتمد وشرب وشربت ولا زلنا في غبطة وسرور فانصرفت واذا

(١) هو احمد المعتضد بن الموفق تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ ٨٩٢م الى سنة ٢٨٩هـ ٩٠٢م.

بجائزة الخليفة تحمل الي وانا في داري .

وذكر ان ابراهيم بن المدبر الشاعر كان يهوى نبت وهي عند مولاها الاول وقد شبب بها في شعره حتى غدا حديث المجالس وشاع بين الطبقة الغنائية ومنه ،

نبت اذا سكتت كان السكوت لها زيناً وان نطقت كالدر ينتثر
وانما اقصدت قلبي بمقلتها ما كان سهم ولا قوس ولا وتر

ومنه :

يا نبت يا نبت قد هام الفؤاد بكم وانت والله أحلى الخلق إنسانا
ألا صليني فاني قد شغفت بكم ان شئت سراً وان احببت اعلانا

وحدث أحمد بن أبي طاهر قال : دخلت يوماً على نبت فقلت لها خطر ببالي مصراع من الشعر فأجيزي . فقالت قل فقلت :

يا نبت حسنك يعشو بهجة القمر قد كاد والله ان يبتزني بصري

فتوقفت أفكر فسبقتني وقالت :

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت ربى الرياض عليه في دجى السحر

فزادت فكرتي وبادرتني فقالت :

فهل لنا فيك حظ من مواصلة اولا فأني راض منك بالنظر

واجتمع علي بن يحي المنجم وابراهيم بن المدبر في منزل بعض الوجوه بسامراء في ليلة أنس وكانت تغنيهم نبت فأقبل عليها ابن المدبر بنظرة ومزحه وهي مقبلة على فتى هناك أمرد من أولاد الموالي يقال له المظفر وكانت تهواه وتتفانى في حبه .وكان جميل الصورة أحسن خلق الله حسناً وجمالا[٢].وكلما حاول ابن المدبر أن يغضبها ويحول بينهما فلم يفلح . وبعد أن انفرط عقد المجلس وافترقوا كتب ابن المنجم الى ابن المدير يقول له :

لقد فتنت نبت فتى الظرف والندا بمقلة ريم فاتر الطرف احور
وشدو يروق السامعين ويملأ القلوب سروراً مونقاً متخير
فاصبح في فخ الهوى متقنصاً عزيزاً على اخوانه ابن المدبر
فلم تدر ما يلقى بها ولو انها درت روحت من حره المتسعر
وذاك بها صب ونبت خلية ومشغولة عنه بوجه مظفر

ولو انصـفت نبت لما عدلت بـه　　لفازت وحازت حسن مرأى ومخبر

وظل ابن المدبّر يقول الشعر ويتغزل بها وهي لاهية عنه لا تلتفت الى شعره وما قاله فيها•ولو أنها اطلقت العنان لشعرها لما عسر عليها دحضه وهي شاعرة مجيـدة •

وظلت نبت تعاني حب المظفر الى أن صارت عند الخليفة المعتمد وهناك خمل ذكرها ولم يسمع عنها شيئاً •

## بـدعـة

للقيان اللواتي بلغ بهن الحظ الى أعلى درجة واسمى مقام في العهـد العباسي ذوق خاص في تزيين جواريهن بصورة محببة الى النفوس مقربة لمن يراهن • ومن تلكم القيان عريب فقد كانت تهيء جواريها تهيئـــة جذابة لزوارها وضيوفها وتجعل على رؤوسهن شعوراً مســدلة حتى أعجازهن وتلبسهن أفخر الثياب الموشاة • وتضع فوق رؤوسهن أكاليلاً مزينة بأنواع الحلي تمشياً على طريقة الجواري والقيان القديمات • وقد امتازت من بين جواريها الجارية بدعة • وبدعة قد أبدع الخالق في تكوينهـا وأحسن تصويرها فكانت تبهر من شاهدها وتفتن من يقع في هواها • وكانت فـي غاية الظرف والأدب شاعرة محكمة السبك سريعة الأجابة مغنية مطربة غذتها عريب من معين فنها • وعريب كما أسلفنا أنها زعيمة الغناء في العصر العباسي فهي التي تولت أمر بدعة وأدّبتها وثقفتها وعلمتها الغناء تعليماً فنيا متقنـا لا شائبـة فيـه •

وذكر ان اسحاق بن أيوب الغالبي شغف ببدعة فبذل لعريب مولاتها مائة ألف دينار على يد أبي الحسن علي بن يحي المنجم والواسطة في ذلك عشرين ألف دينار على أن تعتق ويتزوجها اسحاق زواجا شرعيا • فلما خاطب علي عريباً في ذلك ، قالت له : لا بأس سوف ادعوها وأعرض عليها هذا ، ودعت عُريب بدعة اليها وعرّفتها بما جاء اليه ابن المنجم ، وسألتها هل تحب الزواج على أن يكون ذلك زواجاً شرعياً • والزواج جنة الحياة يستظل الانسـان

بظلها الوارف • ويرتشف من مائها السلسل • ويتنعم برحيقها الحلو ، وينشق عبيرها الفياح • وازيدك علماً أن الزواج وقايه وحصن من حصون الله المانعة التي تقي الانسان وتبعده عن الشرور والاثام • وهو رباط من أربطة دين الاسلام ورسول الرفهية والاطمئنان ، فقالت بدعة أنا لست ممن ينكرون فضل الزواج • ولكن • وغصت بريقها وبكت ثم قالت هذا لا يجعلني أن أرتاح وعريب بعيدة عني فكيف أرغب في مفارقتك ومن يضمن الحياة وعيني لن تراك • معاذ الله أن يكون ذلك • فلم يكن من عُريب الا أن عانقتها ومسحت دموعها من على خديها•وردّت المال واعتقتها على أن تبقى معها مدى الحياة حرة طليقة •

وحدث ابن عرفة قال : لما قدم الخليفة المعتمد ومعه وصيف الخادم دخلت عليه بدعه في أول يوم جلس فيه وبعد أن هنأته بالنصر على عدوه والعودة الى مقر خلافته •

قال : يا بدعه أما ترين كيف اشتعل الشيب في لحيتي ورأسي ؟ فقالت : يا سيدي عمرك الله وأطال بقاءك لولد ولدك وقد شابوا فأنت في الشيب أحسن من القمر وفكرت قليلاً وقالت :

ما ضرك الشيب شيئاً — بل زدت فيه جمالا
قد هذبتك الليالي — وزدت فيها كمالا
فعش لنا في سرور — وانعم بعيشك بالا
تزيد في كل يوم — وليلة اقبالا
في نعمة وهناء — ودولة تتعالى

قال : فوصلها ذلك اليوم صلة سنية وحمل معها ثياباً فاخرة • وفي رواية أخرى : لما قدم الخليفة المعتمد من حرب وصيف وجاء به الى بغداد• دخلت عليه بدعة وقالت : يا سيدي شيّبتك هذه السفرة ، فقال : دون ما كنت فيه يشيب ، فلما انصرفت منه قالت هذا الشعر وغنته :

ان تكن شبت يا مليك البرايا — لأمور عاينتها وخطوب
فلقد زادك المشيب جمالاً — والمشيب البادى كمال الأديب
فابق اضعاف ما مضى لك في — عز وحسن عيش رطيب

وحدّث ابن عرفة أيضا قال : انه دخل الى بدعه وعينها رمدة وهي تأكل باذنجانا بورانياً نسبة الى بوران زوجة الخليفة المأمون . فقال لها أتأكلين هذا وعينك موجعة ؟

فقالت : اذا أحب الانسان من يؤذيه يتركه ؟

وذكر ثابت بن سنان بن قره في تاريخه ان بدعه توفت في خلافة المعتضد.

## خداع

لم يعرف عن خداع كما عرف عن بعض قيان بغداد في العصر العباسي من الخلاعة والتبذل والأسراف في اللهو واللذائذ لهذا اختارها بعض أولاد الخليفة المهدي فاشتراها واحتفظ بها وجعلها نديمة له يطارحها الأشعار ويقضي معها الليالي بالأحاديث الطيبة والفكاهات المستملحة .

وحدّث علي بن أمية قال :

كان عمى محمد بن أمية الشاعر يهوى جارية من جواري النخّاسين ببغداد يقال لها خداع وكان يتردد عليها ويكثر بشعره التغزل بمحاسنها وغنائها . وقد أهديت له يوماً تفاحة مطيبة منقوشة نقشا بديعا فكتب اليها:

| | |
|---|---|
| خداع اهديت لنا خدعة | تفاحة طيبة النشر |
| مازلت ارجوك واخشى الهوى | معتصماً بالله والصبر |
| حتى اتتنى منك في ساعة | زحزحت الأحزان عن صدرى |
| حشوتها مسكاً ونقشتها | ونقش كفيك من السحر |
| سقيا لها تفاحة اهديت | لو لم تكن من خدع الدهر |

وبكّر محمد بن أمية الى منزل خداع ليقدم لها هدية نفيسة على هديتها له فاذا هي قد بيعت لبعض أولاد الخليفة المهدي . وحملت الى منزله في شارع الميدان فوجم طويلا حتى اذا خلا له الطريق اندفع باكياً بحرقة وقال:

| | |
|---|---|
| تخطى الي الدهر من بين من ارى | وسوء مقادير لهن شؤون |
| فشتت شملى دون كل اخى الهوى | واقصدني بل كلهم سيبين |

ومهما تكن من ضحكة بعد فقدها وانـي وان أظهرتهـا لحزيـن
سلام على ايامنـا قبل هـذه اذا الداردار والسرور فنـون

ومضت على ذلك مدة وقد حجبت عنه وانقطعت أخبارهـا فتمسك بالصبر ، والصبر بلسم شاف ينزل على القلوب المحزونة فيذهب عنها الحزن • وعلى النفوس الملتاعة فيمحو لوعتها ويزيل أساها ، واشتاق اليهـا يوما واجتاز بطريق دارها وهي تنظر من وراء شباك مطل على الطريق فسلم عليها فأومأت بالسلام اليه فدخلت فقال :

تطالعني عـلى دجل خـداع من الشبك التي عملت حديـدا
مطالعتـي ففـي بالله حتـى ازود مقلتـي نظـراً جديـدا
فقالـت أن سـها الواشون عنا رجونا ان نعـود وان تعـودا

ولما انقطعت بينهما المراسلة قال :

خطرات الهـوى بذكر خـداع هجن شوقي لا دارسات الطلول
فاذا جاءهـا الرسول رآهـا ليت عيني مكان عين الرسول
قد اتاك الرسول ينعت ما بـي فاسمعي منـه ما يقول وقـولي

وحدّث حذيفة بن محمد قال :

كنت أنا وابن قنبر عند محمد بن أمية يعقب بيع القينة خداع وقد كان يحبها حباً أشغله عن كل عمل فلحقه منه عليها وله كالجنون فجعلت أنا وابن قنبر نلومه على ما يظهر منه فأقبل علينا وقال :

ولو كنت جربت الهوى يا بن قنبر كوصفك اياه لالهاك عن عذلـي
انا واخي الأدنى وانت لها الفـدا وان لم تكونا من مودتها مثلـي
أأن حجبت عنـي اجود لغـيرها بودي وهل يغرى المحب سوى البخل
اسر بأن قالوا تضـن بودهـا عليك ومن ذا سر بالبخل من قبلي

قال : فضحك ابن قنبر وقال : اذا كان الأمر هكذا فكن أنت الفـداء لها وان ساعدك أخوك فلا بأس • أما أنا فلست مساعدك على هذا ••

وحدّث عبدالله بن جعفر قال ، كنت أسير أنا ومحمد بن أمية في شارع الميدان فاستقبلتنا خداع وهي راكبة فكلمها محمد فأجابته بجواب أخفتـه

فلم يفهمه . فالتفت الي وقد تغير لونه فقال :

هـذا الذي لم تزل نفسي تخونني ... منها فاين التي كانت تمنيني
خاطرت إذ أقبلت نحوي وقلت لها ... تفديك نفسي فداء غير ممنون
فخاطبتني بما اخفته وانصرفت ... نفسي لظنين مخشيّ ومأمون

وقال فيها :

بناحية الميدان درب لو انني ... اسميه لم ارشد وان كان مفسدي
اخاف على سكانه قول حاسد ... يشير اليهم بالجفون وباليد
وصائف ابكار وعين نواطق ... بألسنة تشفي جوى الهائم الصدي
يقاربن اهل الود بالقول والهوى ... وما النجم من معروفهن بابعد
يزدن اخا الدنيا مجوناً وفتنة ... ويشفقن قلب الناسك المتعبد

وقال فيها وقد غنته متيّم الهشامية :

عجباً عجبت لمذنب متغضب ... لولا قبيح فعاله لم اعجب
اخداع طال على الفراش تقلبي ... واليك طول تشوقي وتطربي
لهفي عليك وما يرد تلهفي ... قصرت يدي وعز وجه المطلب

وقال فيها وقد غنّاه مخارق :

احبك حباً لو يفيض يسيره ... على الخلق مات الخلق من شدة الحب
واعلم اني بعد ذاك مقصر ... لأنك في اعلى المراتب من قلبي

وبقيت خداع مع مولاها في هناء لا تشوبه شائبة ، وابن أمية يحرق الأرم . ويعاني أشد العذاب من حبها .

## شــاجي

قينة من قيان العصر الذهبي . عرفت بالجمال الجذاب والصوت الساحر في عينيها ماء لامع ينم على الذكاء المفرط وسرعة الخاطر . وعلى شدة عاطفة الحب البريء .

كانت معتدلة القامة . ممتلئة الجسم . كحيلة العينين تبدو على محياها

قوة الارادة حلوة الحديث ترسل غناءها استرسالاً محكماً دون مشقة أو عسر . فتثير الأعجاب وتستفز النفوس وقد زادها العلم رونقا وجمالا . امتلكها عبيدالله بن عبدالله بن طاهر . وعبيدالله له محل مرموق في الأدب والتصرف في فنونه . ورواية الشعر وقوله . مع العلم باللغة وأيام الناس وعلوم الاوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة مما يجل عن الوصف ، وله صنعة في الغناء متقنة عجيبة . تدل على توصله الى ما يعجز عنه الاوائل في جمع الأنغام كلها في صوت واحد تتبعه هو ! وكان الخليفة المعتضد [1] اذا اراد أن ينظم بعض الاشعار وأراد صنع الالحان لها وبحضرته أكابر الملحنين والمغنين مثل القاسم بن زرزور وأحمد المكي وأحمد بن أبي العلاء فيعدل الى عبيدالله فيصنع فيها أحسن الألحان ويترفع عن اظهار نفسه بذلك وينسبها الى جاريته شاجى ، وشاجى كما أسلفنا انها من المحسنات المبرزات المقدمات . وذلك بتخريجه اياها وتأديبه لها . وكان معجبا بها ومولها بغنائها وكثيرا ما كان الخليفة المعتضد يطلبها منه ليسمع غناءها فكان يتظاهر بالقبول ولا يفي بذلك .

ومن ألحانه التي نسبها الى جاريته شاجي بيتين لابن هرمه وهي :

وانك اذ اطمعتنى منك بالرضا … وأيأستنى من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من ضرعها كف حالب … ودافقة من بعد ذلك ما حلب

وقد غنى هذا امام المعتضد فطرب وسأل لمن الغناء ؟

قالوا لعبيدالله ولكنه ينسبه لجاريته شاجى !

وازدادت رغبة المعتضد في رواية شاجي وسماعها ومن نوادر صنعة عبيدالله وجيد شعره قوله :

فأنفق اذا يسرت غير مقتر … وانفق على ما خيّلت حين تعسر
فلا الجود يفني المال والمال مقبل … ولا البخل يبقى المال والجد مدبر

واتفق ان المعتضد أصطبح يوما فغنى له غناءاً من صنعة شاجي فطرب له

---

(١) هو احمد المعتضد بن الموفق ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ ٨٦٢م الى سنة ٢٨٩هـ ٩٠٢م .

وكتب الى مولاها وطلب اليه ارسال شاجي للزيارة فقط فلم يكن من مولاها الا" الأمتثال لأمر الخليفة فأرسلها اليه •

وحدثت احدى القيان ممن حضرن مجلس المعتضد ، قالت دخلت علينا شاجي وكل واحدة منا ترفل في الثياب الفاخرة والحلي الثمينة وهي في أثواب وضيعة فاحتقرناها فلما غنت أسقط في أيدينا واحتقرنا أنفسنا ولم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجبل الأشم وصرنا كلا شيء ، وقد طرب الخليفة لغنائها وأمر لها بجائزة فأخذتها وانصرفت ، ولما دخلت على مولاها سألها عن خبرها وما رأت مما استظرفت وسمعت واستغربت في قصر الخليفة ؟ فقالت : ما استحسنت هناك شيئاً الا" عوداً من عود محفورا فاني استضرفته • فما قولك فيمن تدخل قصر الخليفة المعتضد فلا تمد عينها الا" على عود تستظرفه وتستحسنه دون سواه ؟

وبمرور الأيام وتصرفات الزمان اختلت حال عبيدالله وساءت وقد أعسر وانتابه مرض أقعده عن العمل ، وأصبحت شاجي مورد رزق لمعيشته• وهي محافظة على حشمتها ووقارها وكانت تحضر في بعض المجالس وتغني لمن فيها لقاء أجور زهيدة فرحة بها فتأتي الى مولاها قانعة • والقناعة هي مسالمة القدر والأستسلام لمشيئة الله تعالى في حكمه بتوزيع الارزاق على المخلوقات وأن يرضى الانسان بما تهبه الحياة فلا يطلب المزيد ، فالقنوع ليس حاسداً يتألم عندما يرى النعم التي يسبغها الله على عباده • فنعم الله لا تنفد ولا تفنى • القنوع سعيد بنفسه ،راضٍ بعيشه غير متذمر ولامتمرد، ولما سمع الخليفة المعتضد بما آل اليه أمر عبيدالله من عسر الحال أرسل اليه ما يقضي به حاجاته وظل يتفقده ببعض الصلات • وأحيانا يرسل الأشعار الى شاجي فتصنع لها ألحانا وتغنيها له فينعم عليها بالجوائز •ولكن شاجي لم يرق لها التردد الى مجلس الخليفة وهي على غير حال القيان اللواتي ألفن مجلسه • فقبعت في دارها وجعلت الصبر رائدها والصبر بلسم شاف ينزل على القلوب المحزونة فيذهب عنها الحزن ويمحو عن النفس الملتاعة اوعتها واساها •

الصبر بدر منير يشرق في سماء الحياة فتنجاب عند اشـراقه دياجـي اليـأس وظلمـات الخذلان •

وهكذا ظلت شاجي تعانى ألم الفاقة وشظف العيش جالسة قرب مولاها تنظر اليه خاشعة وهو لم يبد حراكاً وتخاطبه هاشة باشة بوجه يفيض بشراً وثغر لا تفارقه الابتسامة • ولسان ينطق بعبـارات الامـل وأجمل الفاظ التسلية والتعلل ، ولم تنفك من مشاركته فيما يقاسيه من الآلام • وتضيـق على نفسها لأجل راحته وتنشر في المنزل جوا يسوده الحب والاطمئنان حتى ساءت حالتها وداهمها المرض المميت فنشبت أظفاره فيها فلم يمهلها أكثر من أيام قلائل حتى ماتت • وفي موتها نكبة فادحة حلت بمولاها وهو يصـارع المرض الذي لا يشفق عليه ولا يرحمه • فرثاها بكثير من الشـعـر المحزن وجاهر بالغناء مصحوباً بالمراثي ومن رثائه لها قوله :

| | |
|---|---|
| يميناً يقيناً لو بليت بفقدهـا | ولي بعض عرق للحياة او النكس |
| لاوشكت قتل النفسى قبل فراقها | ولكنها ماتت وقـد ذهبت نفس |

ودام على هذه الحالة المؤلمة في حزن وبكاء وغناء في رثاء حتى لحق بها •



صورة رمزية لاحدى قيـان العصر العباسـي الاخير

# مــاردة

قينة من قيان الخليفة هارون الرشيد • كان يهواها ويفضلها على سائر جواريه فذهب يوما الى الرقة وهي معه ولما عاد الى بغداد خلفها في قصـره على أمل ان يعود اليها • وبقيت أياماً هناك تعاني ألم الفراق • وبعد أيـام أشتاقها الرشيد فكتب اليها :

سلام على النازح المقتـرب ‏ ‏ تحيـة صـب بـه مكتئب
غزال مرابعـه • بالبليـج ‏ ‏ الى دير ذكيّ فقصر الخشب
ايا من اعان على نفســـه ‏ ‏ بتحليفـه طائعاً من احــب
ساستر والستر من شـيمتي ‏ ‏ هوى من احب بمن لا يحب

فلما ورد كتاب الرشيد اليها أمرت ابا حفص الشطرنجي فأجاب الرشيد عنهـا بهـذه الابيـات :

اتاني كتابك يـا سـيدي ‏ ‏ وفيه العجائب كل العجـب
اتزعم انك لي عاشـــق ‏ ‏ وانك بـي مسـتهام وصب
فلو كان هذا كذا لـم تكن ‏ ‏ لتتركنـى نهزة للكـرب
وانت ببغـداد ترعى بهـــا ‏ ‏ بنات اللذائذ مع من تحب
فيا من جفاني ولم اجفـــه ‏ ‏ ويا من عنانـي بما في الكتب
كتابـك قد زادني صبـوة ‏ ‏ فأسـعر قلبي بحـر اللهب

فلما قرأ الرشيد كتابها أرسل اليها وأمر أن يغنّى بشعره ، وأخذ يسمعه بـين الآونـة والاخـرى ويطرب له •

# ســـعدة

روى اسماعيل بن عمار قال : كنت اختلف الى منزل النخاس ابـن رامين ببغداد وكنت أسمع غناء جاريته سعدة وكانت ظريفة فاتنة وشـاعرة مجيدة وكنت معجباً بها وقد علمت ذلك مني فكتبت اليها يوماً :

يا سعدة القينة البيضاء انت لنا ... أنس لانك في دار ابن رامين
انت الطبيب لداء قد تلبس بي ... من الجوى فانفثي في فيّ وارقيني
فان تجودي بوصل منك ينعشني ... وان بخلت به عني ( فحييني )

فكتبت اليّ تقول :
حاشاك أن ألوم عليك ولكن أسير اليك والهيك وأغنيك فحققت كلامها وأوفت بوعدها فجاءت الي فغنتني والهتني كما قالت .
ولا زالت توافيني حتى فرّق الدهر بيننا .

## مؤنسة

هي احدى قيان الخليفة المأمون عتب عليها وخرج الى الشماسيةمتنزهاً وخلفها في بغداد عند أحمد بن يوسف الكاتب . فرجت منه أن يذكرها اذا صار في متنزهه فيرسل في حملها اليه فلم يفعل فسألته أن يقول شعراً عن لسانها وترفعه الى المأمون فقال :

يا سيداً بعده اغرى بي الحزنا ... لا ذقت بعدك لا نوماً ولا وسنا
لا زلت بعدك مطوياً على حرق ... انسى المقام وانسى الأهل والوطنا
ولا التذذت بكأس في منادمة ... مذقيل لي ابن عبدالله قد ظعنا
ولا ارى حسناً تبدو محاسنه ... الا تذكرت شوقاً وجهك الحسنا

وبعث به الى اسحاق الموصلي ، وصنع به لحناً فغنّاه واستحسنه المأمون فقال ، لمن هذا الشعر ؟ فقال أحمد بن يوسف يا سيدي مؤنسه ترضاك وتشكو البعد منك . فاعطف عليها يا أمير المؤمنين فركب المأمون من ساعته فترضاها وعقد مجلساً فغنّت مؤنسة به الشعر .

وذكر أن مؤنسة أهدت الى متيّم الهشامية في يوم احتجمت فيه مخنقة في وسطها لؤلؤة ثمينة . وعن يمين اللؤلؤة ويسارها أربع يواقيت . وأربع زمردات وما بينهما من شذور الذهب .وقد طيبت المخنقة بغالية من المسك.

## غصة

حدّث ابراهيم بن أبي دلف العجلي قال :

كان ابراهيم بن المهدي في حراقة له بالجانب الغربي ببغداد وابي واسحاق الموصلي في حراقة بالجانب الشرقى فدعاهما ابن المهدي فعبرا اليه وأنا معهما • فلما دنونا من حراقته نهض ونهضت معه جارية قد كملت صفاتها • وظهرت معانيها يقال لها غصّة • وكان في يديه كأسان وفي يد الجارية كأس واحدة فناول ابي واسحاق كلاً منهما كأساً وأخذ هو الكأس التي في يد الجارية ، ثم أخذوا العيدان والجارية معهم وضربوا جميعا فكادت الحراقة تهتز طربا وسروراً وغنّت الجارية غناءا ما سمعت مثله من قينة • فتعجب اسحاق لبراعتها في الغناء • وحسن ضربها بالعود فقال أبي أحسنت يا غصة وأجدت بارك الله فيمن علّمك وكرر ذلك مرارا • فقال ابن المهدي إن كانت قد أحسنت وأجادت فخذها اليك فما أخرجتها الا اليك ، فاخذها ابى ومضينا الى منزلنا وصارت أعجوبة بين قيان ابي وجواريه !

## نهار

كان مخارق المغنّي يهوى جارية لأم جعفر ( الزبيدة ) يقال لها نهار ويستر ذلك عن أم جعفر حتى بلغها ذلك فأقصته ومنعته وتجافاها إجلالا لأم جعفر وطمعاً في السلو عنها وعدم ذكرها في مجالس الغناء •

فماذا يعمل وقد ضاق ذرعه ؟ فبينما هو ذات ليلة • وقد انصرف من مجلس المأمون • وأم جعفر جالسة في قصرها على دجلة إذ حاذى قصرها فرأى الشمع يزهر فيه ، فلما صار بمسمع ومرأى منها اندفع يغني بصوته الشجي :

ان يمنعوني ممري قرب دارهم فسوف انظر من بعد الى الدار
سيما الهوى شهرت حتى عرفت به اني محب وما في الحب من عار
ما ضر جيرانكم والله يصلحهم لولا شقائي واقبالي وادبار
لا يقدرون على منعي وقد جهدوا اذا مررت بتسليمي باضماري

فقالت أم جعفر يا مخارق بالله ردده . فصاحوا بملاحه قدّم فقدم وأمره الخدم بالصعود الى القصر فصعد وأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب وأمرت باحضار الجواري فحضرن وبينهن الجارية نهار فغنّين وغنّى مخارق :

اغيب عنك بود لا يغيره نأى المحل ولا صرف من الزمن
قد يحسن الله في عيني ما صنعت حتى ارى حسناً ماليس بالحسن

فلما سمعت نهار اندفعت تغني :

تعتل بالشغل عنا لا تلم بنا والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ففطنت أم جعفر انها تخاطبه بما في نفسها وضحكت وقالت : ما سمعنا بأملح مما صنعتما ووهبتها له فقبلها شاكراً .

## خلوب

حدّثت الجارية ريّق قالت : كنت يوما بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان فدخلت خلوب جارية عُليّة بنت المهدي ومعها كأسان مملوءتان وخادم يحمل عوداً فغنتهما وهي قائمة والكأسان في يديها :

حياكما الله خليليا ان ميتاً كنت وان حيّاً
ان قلتما خيراً فخير لكم او قلتما غياً فلا غيا

فشربا ثم رفعت لهما رقعة فاذا فيها ، صنعت اختكما هذا اللحن واليوم القيته على الجواري واصطبحت فبعثت لكما به . وبعثت من شرابي اليكما وأحذق الجواري لتغنّيكما به هنّاكما الله وسرّكما وطاب عيشكما وعيشي بكما والسلام .

## نـيران

حدث عمرو بن بانه فقال : ركبت يوماً الى دار صالح بن الرشيد فاجتزت بدار محمد بن جعفر بن موسى الهادي . وكان معاقراً للصبوح فألفيت ذلك خالياً منه . فسألته عن السبب في تعطيله إيّاه ؟ فقال نيران علي غضبى !! ونيران جارية لبعض النخاسين ببغداد عرفت بحسنها الفتان وظرف اللسان . وحلت بقلب كل عاشق بها ولهان . ومنهم محمد بن جعفر . فقد افرط في حبها حتى اشتهر به ، فقلت له فما تحب الآن؟قال :تجعل طريقك على منزل مولاها فأنه سيعرضها عليك فاذا فعل ذلك تدفع رقعتى هذه اليها ودفع إلي الرقعة وقد كتب فيها :

| | |
|---|---|
| ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ | في حفظه عجب وفي تضييعك |
| ان سمته ان تذهبي بفؤاده | فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك |

فقالت نعم احمل هذه الرسالة وكرامه علي ما فيها ، فاخذتها وجعلت طريقي على منزل النخاس . فقابلني ورحب بي تبعاً لما عرف به ارباب هذه المصلحة.فلما عرضت علي الجارية نيران دفعت اليها الرقعة فاخذتها ورجعت الى الموضع الذي اقبلت منه فجلست بجلسة خفيفة فجاءت ومعها رقعة مكشوفة كتبت فيها .

| | |
|---|---|
| فلا زلت تعصيني وتغرى بي الردى | وتهجرني حتى مرضت من الهجر |
| وتقطع اسبابي وتنسى مودتي | فكيف ترى يامالكي في الهوى صبرى |
| فاصبحت لا ادرى اياساً تصبرى | على الهجر ام حد البصيرة لا ادري |

فلما اخذت الرقعة منها واوصلتها اليه . وصرت الى منزلي وصنعت من بيتي ابن جعفر لحناً وذهبت به الى الأمير صالح بن الرشيد فعرفته الخبر وغنيته الغناء فركب وركبت معه الى منزل النخاس مولى نيران فما برح حتى اشتراها بثلاثة آلاف دينار وحملت الى دار ابن جعفر فوهبها له واقمنا يومنا عنده في انس وطرب ونيران تغنى ابيات محمد وابياتها .

# ممنعة

حدث يزيد حوراء قال : كنت اجلس بالمدينة المنورة على ابواب قريش . وكانت تمر جارية كأنها ظبية افلتت من الصياد . وكانت تختلف الى سلامة الزرقاء تتعلم منها الغناء . وكنت اترقبها كل يوم واتمتع بحسنها وجمالها . وفي ذات يوم اقبلت ونظرت الي فدنوت منها والقيت السلام فردته علي باحسن منه وقلت لها . افهمي قولي وردى جوابي . وكوني عند حسن ظني . فقالت هات ما عندك ولا تكتم شيئاً . فقلت . بالله ما اسمك ؟ فقالت ممنعة فتشاءمت من اسمها وقلت بل باذلة انشاءالله . فضحكت . فقلت اسمعي فقالت كلي آذان صاغية اليك . فقلت :

| | |
|---|---|
| ليهنك مني انني لك مفشياً | هواك الى غيرى وان مت من كربى |
| ولا مانحاً خلقاً سواى مودتي | ولا قائلاً ما عشت فيحبكم حسبى |

فنظرت الي طويلاً وقالت . انشدك الله عن فرط محبة ام اهتياج غلمة ؟ فقلت لا والله انه عن فرط واهتياج شوق . فقالت :

| | |
|---|---|
| فوالله رب الناس ما خنتك الهوى | ولا زلت مخصوص المحبة في قلبى |
| وثق بي فاني قد وثقت ولا تكن | على غير ما اظهرت لي يا اخا الحب |

فلما سمعت ما قالت اخذنى العجب ووقعت في حالة غريبة واضطربت لها جميع مفاصلي ثم فارقتني ، وظلت تلقاني في الطريق الذي تسلكه فتحدثنى فافرح بحديثها ، وفجأة انقطعت عنى ولم ارها بعد .

فسألت عنها فقيل لي ان مولاها باعها لبعض اولاد الخلفاء وذهب بها الى بغداد . فلم يكن منى الا ان تبعتها . ولما وصلت بغداد عرفت مكانها فكانت تراسلني وتلاطفني في رسائلها . ولم نزل على ما نحن عليه الى ان ذهب بها مولاها الى البصرة وانقطعت عنى ولم ادر ماذا فعل الدهر بها .

## ربـــاب

حدث يزيد بن محمد المهلبي قال : دخلت عـلى الخليفة الواثـــق • والقينة رباب في حجره جالسة يلقى عليها لحن بيتى محمد بن جعفر (ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ) وهي تغنيه وهو يردده عليها ووجهه يطفـح طرباً وسروراً ووجهها يشرق بهجة ونورا • وما زال يردد عليـها اللحن حـتى حفظته • فقال لي الواثق كيف رأيت رباب ؟ قلت يا امير المؤمنين تبارك الله احسن الخالقين جمال بديع • وصوت رفيع • والله ما رأيت وسمعت مثلهـا منذ ان خلقنى الله تعالى ». فلك الهناء بها ولها الحظ والسعادة بك •

## مكتومـــة

حدث أبو سهل قال : كان أبو النظير مـن المغنين المحسـنين ولكنـه سيىء الخلق وقد حضر في مجلس غناء لصديق له • وكانت القينة مكتومـة من قيان بغداد الشهيرات حاضرة فيه • فغنى ابو النظير فاعجبت مكتومة به وودت لو انها تحصل عليه • فقالت • لـه يا ابا النظير بعنى هـذا الغنـاء • فابتسم ضاحكاً وقال • لها تطيب نفسى به محاباً ولكن ابيعك ايـاه برأس ماله ؟ فقالت : وما رأس ماله الذي تعنيه ، فقال لها لا اقوله الا" بيني وبينك واخذها جانباً وقال لها كلام تأبى كرامة الرجال منه • قال • فغطت وجهها حياءاً وخجلا" • وقالت عليك وعلى هذا الغناء الدمار • ولا بورك لك فيه وانصرفت من المجلس •

## صـــلفة

حدث جحظه قال : كانت القينة صلفة من ابدع القيان فتنة وروعـة • واحسنهن غناءاً وانشادا • وكانت في اول امرها جارية للمغنى زرياب اعتنى بتدريبها حتى اخرجها آية من آيات الفن الغنائي وبعد ان اكملها ذهب الى الاندلس •

وغنت صلفة يوماً في مجلس الخليفة المقتدر[1] غناء من صنعة ابراهيم الموصـلي .

تغير مني كل حسن وجـدة    وعاد على ثغرى فاصبح اثـر ما

فوالله ما سمعت قبل ذلك ولا بعد احداً غنى مثل هذا الغناء وكـان المقتدر قد ابتاعها من زرياب قبل ان يغادر بغداد ، وحظيت صلفة عنـد المقتدر حظوة حتى اصبحت اعز جواريه اليه ولا ينفك من الاستماع اليها .

## سـعاد

حضر حماد عجرد ومطيع بن اياس وهما شاعران كان لهما القدح المعلى في عصرهما ، في مجلس انس فيه قينة يقال لها سعاد وكان مولاها رجلاً ظريفاً يحب الشعراء ويستلذ بشعرهم فقال ابن اياس واشار الى سعاد :

قبليني سعاد بالـلـه قبلـه    واسألينى لها فديتك نحـله

فورب السماء لو قلت صل    لوجهي جعلته الدهر قبلـه

وقال حماد عجرد :

ان يكن صاحباً سـواك وفيا    لا ملولاً ليا كما انت ملـه

لا يباع التقبيـل ولا يشـ    ـرى ولا تجعلى التعشق علـه

فقال مطيع يا حماد لقد تعديت ولم تأمرك بهذا ، فقالت سعاد وكانت مؤدبة كاملة . اجل ما اردنا هذا كله . فقال حماد :

انا والله اشتهى منـك    بخل والبخل في ذاك خلـه

فاجيبي وانعمي وخذي البذ    ل وطفى بقبلة منك غلـه

فرضي مطيع وخجلت سعاد، وقالت : اكفياني شركما اليوم،وخذا فيما جئتما لـه .

## سـرة

كان الخليفة المعتمد يهوى القينة سرة جارية المغنية شارية وكانـت

---

(١) هو ابن المعتضد تولى الخلافـة سنة ٢٩٥ هـ ٩٠٨م الى سنـة ٣٢٠هـ ٩٣٢م

اكمل الجوارى خفة وملاحة وادباً وقد عجز عن شرائها فسأل ام المعتـز ان تشتريها له فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار وحملت الى قصر المعتمد هدية له منها . وظلت عنده لا يستطيع فراقها من شدة حبه لها . وبعد وفاته اعتقت وتزوجت ابن البقال المغنى . وكانت تعشقه قبل ان يشتريها المعتمد فقال فيها عبدالله بن المعتز وكان يهواها :

اقول وقد ضاقت باحزانها نفسـى    الا رب تطليق قريب من العـرس
لئن صرت للبقـال يا سر زوجـة    فلاعجب قد يربض الكلب في الشمس

فلما سمعت ذلك غادرت سامراء وحلت ببغداد . وعاشت مع ابن البقال غير مكترثة بما قاله ابن المعتز :

## صـريـم

حدث ابي بشر بن عثمان بن المغيرة قال : سـمعت جلبة مـن انـاس مقبلين من قصر الخليفة فاسرعت اليهم . واذا امرأة قد فرعتهم طولاً وفاقتهم حسنا وجمالا . واذا اشعب بكفيه دف وهو يغنى ويرقص ويرقصون معـه ويقـــول :

الا حبى التـي خرجـت    قبيل الصبح واختـمـرت
يقال بعينهـا رمـد    ولا والله مـا رمـدت

وكان اذا تماهل احد منهم عن الرقص رجع اليه وحثه على ذلك فسألت عن المرأة ؟ فقالوا هذى صريم المغنية استخلفها المغنى صريم واعترف بهـا قبل موته . واسماها بأسمه وهي بنته التي تلقت عنه الغناء . وكان يضرب بها المثل فيقال : احسن من غناء الصريمة .

## بـربـر

كان عند محمد بن سلمان جماعة مـن اصدقائه في ليلة اعـدت للأنس وكانت تغنيهم قينة من قيان بغداد المعدات للطرب والمنادمة يقال لها بربر فنظر اليها احدهم وهو سلمة بن عياش وكان مولها بها من قبل فقال :

الى الله اشكو ما الاقى من القلى لاهلى وما لاقيت من حب بربر
على حين ودعت الصبابة والصبى وفارقت اخدانى وشمرت مئزرى
نأى جعفر عنا وكان لمثلها وانت لنا في النائبات كجعفر

فقال : محمد بن سلمان خذها فهي لك فاستحيا وارتدع وقال لااريدها .
فالح عليه في اخذها . فقال اعتق ما املك ان اخذتها فقال له احد الحاضرين
ياسخين خذها فهي خير من كل ما تملك فقال واشار الى القينة بربر .

تعالى نقضي الليل والليل جامع ونقضى لذات الهوى بتحذر

ولم يكن منه الا ان اخذها وانصرف .

## سلسل

قينة من قيان البصرة مليحة الصوت ظريفة الشكل عرفت بقرض الشعر وحسن المنادمة . وكانت لبعض المغنين في البصرة اتخذها مساعدة له عندما يدعى للمجالس لاحياء الحفلات بها،وفي ليلة من الليالي جاء ابان بن عبدالحميد الشاعر الى صديق له وعنده القينة سلسل . وصادف حضر عنده في تلك الليلة محمد بن قطين الهلالى وعثمان بن الحكم بن صخر الثقفى فقال ابان بمعرض المنادمة .

فتنت سلسل قلب ابن قطين ثم ثنت بابن صخر فافتن
فاتيت اليوم كي . انقذهم فاذا نحن جميعاً في قرن

فقالت سلسل مجيبة له :

لا تخافوا انتم في مأمن فانا طوع لكم طول الزمن

فاستحسنوا قولها وقضوا ليلتهم في هناء لم يسبق له مثيل وهي تغنيهم مرة وتطارح ابان الشعر مرة اخرى . وانفرط عقد الاجتماع بعد ان منحوا الجوائز الى سلسل .

## سامر

كان ابراهيم بن العباس من وجهاء سامراء يهوى قينة يقال لها سامر .

وكان مجلسه لا يخلو منها . فدعيت ليلة عرس عند بعض اهلها فغابت عنه اياما ثم جاءته ومعها جاريتان احداها يقال لها يُمن والاخرى يُسر وقالت له قد اهديت لك جاريتين عوض مغيبى عنك فنظر الى الجاريتين وقال :

اقبلن يحففن مثل الشمس طالعة     قد حسّن الله اولاها واخراها
ما كنت فيهن الا كنت واسطة     وكن دونك يمناها ويسراها

وانشد ابن العباس في سامر وقد غضب عليها يوما :

وعلمتنى كيف الهوى وجهلته     وعلمكم صبرى على ظلمكم ظلمى
واعلم مالى عندكم . فيردنى     هواى الى جهل فاقصر عن علمي

فلم يكن من سامر الا ان اقبلت اليه وصالحته .

## بنـــان

حدث ميمون بن هارون فقال : كنت عند الحسن بن وهب وكانت القينة بنان عنده فقال لها غنينا يا بنان فاندفعت تغنى فطربنا وغنى الحسن :

اتأذنون لصب في زيارتكم     فعندكم شهوات النفس والبصر
ويضمر السوء ان طال الزمان به     عف الضمير ولكن فاسق النظر

فضحكت بنان وقالت :

فاي خير به ان كان فيه كذا     وهل يقاس الذي يجتاز بالحجر

فخجل الحسن من بادرتها عليه.وعجبت انا من حدّة جوابها وفطنتها !
وجاء عبدالله بن العباس بن الفضل الى الحسن بن وهب يوما فوجد عنده بنان وهي نائمة سكرى وهو يبكى عندها . وقد كساها الشراب فتنة واغراءا . فقلت له مالك تبكى وهي بين يديك ؟.

فقال : كنت نائما فجاءتنى فانبهتني وقالت : اجلس حتى نشرب فجلست وأخذت تشرب وتغني.ولم تزل تشرب وتغني وانا اطرب اليها حتى غلب عليها الشراب فنامت فتذكرت قول العباس بن الأحنف :

بكى الذين اذاقوني مودتهم     حتى اذا ايقظوني للهوى رقدوا

فانا ابكي وانشد هذا البيت .

# درة

حدث ميمون بن هارون قال : كان بكر بن النطاح يهـوى جارية مـن جواري القيان لبعض الهاشميين يقال لها درة وقد كلف بها كلفاً شديداً وراح يتغزل بها في شعره وشاع عنه ذلك • وكان يجتمع بها في منزل رجل مـن الجند من اصحاب ابي دلف يقال له الفرز • فسعى به الى مولاها واعلمه ان بكرا قد افسدها واتفق معها على ان تهرب معه • فمنعه من لقائهـا وحجبها عنـه فقال بكر فيهـا :

| | |
|---|---|
| العين تبدو الحب والبغضـا | وتظـهر الأبـرام والنقضـا |
| درة ما انصـفتني في الهـوى | ولا رحمـت الجسـد المنضى |
| مـرت بنـا في قرطق أخضـر | يعشـق منهـا بعضها البعضـا |
| غضبى ولا والله يا اهلهـا | لا اشرب البـارد او ترضـى |
| كيف اطاعتكم بهجـرى وقـد | جعلـت خدّي لها ارضـا |

وقـال فيهـا :

| | |
|---|---|
| هل يبتلى احـد بمثل بليتـى | ام ليس لي في العالمين ضريـب |
| قد كنت اسمع في الهوى فاظنه | شـيئاً يلـذ لأهلـه ويطيـب |
| حتى ابتليت بحلوه وبمَـره | وانا المعنـى الهائم المكـروب |
| كل الوجوه تشابهت وبهرتهـا | حسناً فوجهك في الوجوه غريب |
| والشمس يغرب في الحجاب ضياؤها | عنا ويشرق وجهك المحجـوب |

وظل هكذا يقول فيها الشعر وهي لا تعلم عنه شيئاً حتى مات مولاهـا والتقت ببكر بعد غياب طويـل •

# مليحـــة

ان ابا الفياض سوار كان يهوى قينة بالبصرة يقال لها مليحة وهي اسم على مسمى • فدعيت ذات يوم الى مجلس لم يكن حاضره سوار وقد حضره

ابو علي البصير • فتخمشها بعض من حضر مشيراً بذلك الى سوار ، فلم تعبأ به وعرف ابو علي ذلك فكتب الى ابي الفياض يخبره بما جرى فقال :

لك عندى بشارة فاستمعها ... واجبني عنها ابا الفياض
كنت في مجلس مليحة فيه ... وهي سقم الصحاح برء المراض
وقديماً عهدتني لست في حقك ... والذنب عنك ذا اغماض
فتفعلتها تفعل خصم ... وتأملتها تأمل قاضي
ورمتها العيون من كل افق ... وتشاكوا بالوحي والايماض
من كهول وسادة سمحاء ... باللهى باخلين بالأعراض
وصفات القيان او لها الغدر ... عليه من وصلهن التراضي
فتشوفت ذاك منها واعددت ... نكيري وسورتي وامتعاضي
فحمت جانب المزاح وعمتهم ... جميعاً بالصد والأعراض
فكفاني وفاؤها لك حتى ... اذن الليل جمعهم بارفضاض

فاجابه ابو الفياض :

ذكرتني بشراك داءاً قديماً ... من سقام علي لا شك قاضي
ان تكن احسنت مليحة وصلى ... وعاصت رياضة الرواض
واقامت على الوفاء ولم ترع ... لوحي منهم ولا ايماض
فعلى صحة الوفاء تعاقدنا ... وصون النفوس والاعراض
وعلينا من العفاف ثياب ... فهي ابهى من حاليات الرياض
ليت حظي منها سوى النظر الختل ... واني به لجذلان راضي
لحظات يقعن في ساحة القلب ... وقوع السهام في الأغراض
وابتسام كالبرق بل هي اخفى ... بين سترى تحرز وانقباض
لا اخاف انتقامها آخر الدهر ... بغدر ولا تخاف انتقاضي
فابق لي الست تحمد الود ... وقاك الردى أبا الفياض

## برهان

اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهي كالقمر المنير وقال لها ما

اسمك ؟ قالت برهان قال : لمن هذا الماء قالت لستى قبيحة قال صبيه في حلقي فشربه على آخره ثم قال للبحترى قل في هذا شعراً فقال البحتري :

ما شربة من رحيق كأسها ذهب جاءت بها الحور من جنات رضوان
يوما باطيب من ماء بلا عطش شربته عبثا من كف برهان

فقال له المتوكل احسنت وامر له بجائزة .

## حسناء

كانت لرجل من البرامكة جارية شاعرة ظريفة يقال لها حسناء يدخل اليها الشعراء ويسألونها عن المعاني فتأتي بكل مستحسن من الجواب فدخل عليها سعيد بن وهب يوماً وجلس اليها فحادثها طويلاً ثم قال لها بعد ذلك :

حاجيتك يا حسناء في جنس من الشعر
وفيما طوله شبر وقد يوفي على الشبر
له في رأسه شق تطوف بالندى يجرى
اذا ما جف لم يجر لدى بر ولا بحر
وان بل اتى بالعجب العاجب والسحر
اجيبى لم ارد فحشاً ورب الشفع والوتر
ولكن صغت ابياتاً لها حظ من الزجر

فغضب مولاها وتغير لونه وقال اتفحش على جاريتي وتخاطبها بالفحش. فقال له خفض عليك فما ذهبت الى ما ظننت وانما اردت بذلك ( القلم ) فسرى عنه وضحك سعيد وقال هل اعلم منك بما سمعت .

## الفصل الثالث

# افول شمس القيان

بعد ان دالت دولة العباسيين وانمحت من بغداد واصبحت كأنها لم تكن وانطفأت شعلة سعادتها بعد كان العالم الاسلامي ينظر اليها باعتبارها نبراس المدينة والحضارة والعمران ومهد الفنون الجميلة .

وفي اوائل سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة دخلت جيوش التتار في بغداد وعمل هؤلاء الغزاة السيف في اهلها وعمدوا الى التخريب والتدمير والحرق والسلب والسبي . فالساحات والدروب والبيوت ملأى من جثث القتلى . والنيران مشتعلة في القصور والدور . واتلفوا خزانات الكتب بعد ان اخذوا ما فيها من نفائس الكتب في شتى العلوم وما تبقى منها جعلوا نهر دجلة مستقراً لها .

وذكر المؤرخون مبالغات في كثرة الكتب التي القيت في دجلة انها لونت ماء دجلة من ذوبان المداد الأسود الذي كتبت به تلك المؤلفات القيمة وقيل انها صارت جسراً عبر عليه اولئك الغزاة العتاة . وبهذا العمل المنكر اصبحت بغداد خراباً بعد عزها وحضارتها الاجتماعية ومجدها العلمي وكان مما خلفوه اولئك الغزاة من آثار التخريب والتدمير افول شمس القيان المشرقة . واضمحلال هيمنتها على الحياة كما كان مألوفا من قبل . لذلك يعسر علينا التبسط في البحث والسرد مما اضطرنا على طي هذه الحقبة وطرحها على عاتق المؤرخين .

# السلطان عبد الحميد

# وعودة القيان الى بغداد

بعد ان توطد الحكم للعثمانيين في بغداد واصبح مركز الخلافة الأسلامية في استانبول . وانتقلت ابهة بغداد وزخارفها وقيانها وجواريها اليها استانبول هي القسطنطينية مدينة قسطنطين الكبير . وكانت قبله بيزنطه فسماها بأسمه وجعلها سنة ٣٠ للميلاد كرسي المملكة الرومانية الشرقية أو مملكة الروم في اصطلاح العرب . وقد خص الله استانبول بموقع طبيعي لا مثيل له على سطح الكرة الأرضية . لانها موصلة بين قارتين ووسط بين بحرين تمنعها المضايق اي الثغور .

وفي استانبول قصر ( يلدز ) مأوى قيان السلطان عبدالحميد الذيحكم ٣٣ سنة المنعوت بسلطان البرين وخاقان البحرين .

ويلدز وان سموه بالقصر او السراى فانه ليس قصراً واحداً كما يتبادر الى الذهن . وانما هي عدة قصور قد لا يرى في احداها فخامة ما يراه المرء في قصر ( طولمه بقچه ) او الجمال الذي يراه في قصر (چراغان) . واهم القصور الداخلية في يلدز قصر ( جهان‌نما ) وهو صغير لكنه في غاية الأتقان يشرف على البسفور اشرافاً رحبا ، وقصر ( چيت ) سمى بذلك لانه مبطن بالانسجة . بابه خارج باب الحديقة الداخلية لكنه يعد منها لأنه من جملة ابنيتها . وقد يدخل له من باب سرى فيه .

وقصر ( مالطة ) وقصر ( مراسيم ) وقصر ( المابين ) الصغير او مسكن السلطان عبدالحميد ، وهناك جامع لتلك القصور يطلق عليه الجامع الحميدي وللسلطان عبدالحميد في هذه القصور نحو ثلثمائة قينة منهن اثنتا عشرة قينة خاصة له . والقينة تسمى بعرفهم ( قادين ) منهن اربعة هن زوجات شرعيات ولكل من هؤلاء القوادين قصر خاص فيه دائرة تظم الباشكاتبة اي رئيسة الكاتبات والخازنة والمهردارة وعدد من الجواري والخدم . ولا تخرج ( القادين ) من القصر لأى سبب من الأسباب وللقيان قواعد خاصة في تربيتهن

وتدريبهن واكثرهن من الشراكسة وفيهن الروميات • وغيرهن من الاجناس العثمانية كالمصريات والشاميات والبغداديات وغيرهن • والغالب فيهن يجلبن صغاراً على سبيل الهدايا • فاذا دخلن قصر يلدز • ينسين كل ما هو في الخارج حتى اهلهن واصدقائهن • ويتولى تربيتهن نساء تعرف الواحدة منهن في اصطلاحهن ( بباش قلفة ) وترجع كلهن الى ( والدة سلطانة ) سيدة دار الحرم • وهذا اللقب لقب منصب لا اقب نسب • وتبقى الفتاة في المدة الاولى سنتين تتدرب فيها على ما يسر السلطان من حسن الهندام والأحاديث الشيقة باللغة التركية حتى في مشيتها ووقوفها وجلوسها • ويعلمونها بعض الاشعار الغزلية ويدربونها على الغناء اذا كانت الفتاة ذات صوت رائق فتصبح قينة يشار اليها • واذا تم لها ذلك وظهرت فيها المواهب التي تؤهلها لرضى السلطان سموها ( كوزدة ) فاذا تجاوزت هذه الرتبة سمّوها (اقبال) واذا ظهر عليها علامات الحبل من السلطان صارت ( قادين ) فيفرد لها قصر خاص • ولكنها لا تعد زوجة شرعية للسلطان الا بموت احدى الزوجات الاربع فتحل محلها وذلك باختيار السلطان وبهذا تبقى جميع القيان على اختلاف طبقاتهن ونحلهن يتوقعن لفتة السلطان لتحظى بهذه الرتبة السامية ، وهؤلاء القيان وكل ما في قصورهن تحت رعاية ( والدة سلطانة ) المارة الذكر واذا هي توفيت صارت احدى الخوازن او كبيرتهن في مكانها وتسمى بأسمها وتلقب بلقبها •

واما دار الحريم في يلدز فهو بمثابة ملهى للسلطان لا يأتيه الا اذا اراد ان يلهو فتتجه الانظار اليه•فيأتي والقيان يرفلن في الملابس الفاخرة بلا حجاب ولا نقاب • وفيهن من يعجز اللسان عن وصفهن • وماذا يوصف وهن مختارات من جميع الاقطار العربية والفارسية والتركية • وقد خصصن لرضى سلطان آل عثمان !

وحينما يقع نظره عليهن يطاطئن هيبة واحتراما له فيشير اليهن ان تبقى كل واحدة على حالتها الطبيعية • ومنهن من كانت تتلهى باكل النقل كالفستق واللوز وغيرهما • وقد أرخين شعورهن على غير كلفة • وبعضهن اختص بحمل ما تلهو به لقتل الوقت فاحداهن وكلت بتربية ببغاء جميل اللون يتقن

التقليد جيداً واخرى تداعب قطة جميلة من قطط انقره وهـو ضرب مـن السنانير جميل الشعر رائع اللون • واخرى تحمل بلبلاً صغيراً عودتـه آن تطلقه فيطير ثم تناديه فيأتي يرفرف بجناحيه فرحاً بهـا •

ويأمر السلطان ان يغنين ويرقصن • فتبرز من بينهن قينة ترتدي ملابس خاصة بالرقص • خصها الله تعالى بالجمال الفتان والقوام المعتدل • بيضاء اللون مكتنزة اللحم • في يديها اساور مرصعة بالماس • وفي زنديها دمالـج مزينة باللؤلؤ والمرجان تحمل دفاً ومعها قينة لا تقل روعة منها تحمل عـودا واخرى تحمل الكمان وقد جلسن على بساط مزركش ، وبدأ العزف فأخذت القينة الأولى ترقص رقصا فنيا عجيبا اعجب السلطان • وبذلت كل واحـدة جهدها في اتقان ما عهد اليها من ضروب الموسيقى والسلطان جالس ينظـر اليهن • وقبل ان يغادر السلطان يقف الجميع وينادون بصوت واحـد ( پادشاهم چوق يشا ) ثلاث مرات ثم ينصرف السلطان الى محله • هكـذا كان السلطان عبدالحميد ! وان العقل ليذهل مما يرى في يلدز من اغراق في اللذائذ بما فيها من ترف يفوق الحد وبذل لا يدخل في حدود المعقول ممـا ادى الى تدهور الدولة وانحلالها •

## فوضى الغناء

ظلت بغداد ترزح تحت حكم العثماني عدة قرون وقد اثقل كاهلها جور الاستعباد ، فلا عدل ولا مساواة ، ولا امن ولا استقرار ولا انس ولا طرب ولا جوار ولا قيان • ولم يبق بها سوى ذكريات مؤلمة واعمال مزعجة •

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... سمير ولم يسمر بمكة سامر

استبدلت ليال افراح القيان بليالي رقص المرد والغلمان[1] وتشبهوا بهن وارتدوا اردیتهن بوضع تشمئز منه النفوس وتمجه الاذواق فضلاً عـن الحوادث التي لا يحمد عقباها ، ومنها الحادثة المؤلمة التي وقعت في الملهى

---

(١) راجع كتابي بغـداد ( القديمـة ) ص ١٢٤

الكائن في الميدان في منتصف شهر شعبان سنة ١٣٢٥ للهجرة وفحواها ان رجلاً يهوديا يدعى سليم من مدينة حلب قد خدع غلاما مسيحيا اسمه نعيم قد انعم الله عليه الحسن والجمال يفتن كل من رآه ، واتى به الى بغداد التي حرمت من مشاهدة القيان في معارض الرقص والغناء فراح ذلك الغلام يرقص في الملهى وفي كل ليلة يتهافت الناس على الملهى للتمتع بذلك الجمال الباهر فاحبه بعض اهل بغداد وهام هياماً مفرطاً وقد اراد به المنكر فابت نفس الغلام الزكية ان تذعن لما اراد ذلك الرجل، وقد كان يغريه بالمال ويسترضيه بالكلام المعسول فلم يفلح . وقد ضاق ذرعا فجاءه ليلاً وهو سكران والملهى يضم المآت من الناس واطلق عليه عيارا ناريا فسقط ذلك الغلام المخدوع على الارض مخضباً بدمائه فحمل الى مستشفى الغرباء وهناك ظل ملقى على فراش الألم الممض يعانى البؤس الذي احاط به وبين عشية وضحاها قضى نحبه . وقد استفزت هذه الحادثة المؤلمة شعور الشاعر معروف الرصافي فارخ عام وفاته بقصيدة عنوانها ( اليتيم المخدوع ) وهي :

قضى والليل معتكر بهيم ... ولا اهل لديه ولا حميم
قضى في غير موطنه قتيلاً ... تمج دم الحياة به الكلوم
قضى من غير باكية وباك ... ومن يبكى اذا قتل اليتيم
قضى غض الشبيبة وهو عف ... مطهرة مآزره كريم
سقاه من الردى كأسا دهاقا ... عفاف النفس والعرض السليم
تجرعها على طرب ولكن ... بكف اليتم ليس له نديم
على حين الربابة في نواح ... يساجلها بها العود الرخيم
بحيث رقائق الالحان كانت ... بها الأجفان طافية تعوم
كأن ترنم الأوتار نعى ... وصوت السامعين بها وجوم
فجاء الموت ملتفعا بخزى ... وملء اهابه سفه ولوم
واطلق من مسدسه رصاصاً ... به في الرمى تخترق الجسوم
فخر الى الجبين به ( نعيم ) ... كما انقضت من الشهب الرجوم
فبات مودعا بعد إرتآب ... حياة لا تناط بها الرسوم
لئن لم تبك من اسف عليه ... سفاهتنا فقد بكت الحلوم

ولو درت النجوم به مصاباً — بكته على ترفعها النجوم
عسى الشهباء تثأره فتبدى — الى الزوراء ما يبدى الخصيم
فلم يقتله « ابراهيم » فيما — ارى بل ان قاتله سليم
أليس سليم الملعون اغوى — نعيماً فهو شيطان رجيم
واخرجه من الشهباء غراً — يتيما ماله أبداً زعيم
وجاء به الى بغداد حتى — تخرمه به قتل اليم
سأبكيه ولم اعبأ ، بلاح — وأندبه وان سخط العموم
ولما ان ثوى ناديت ارخ — ثوى قتلا بلا مهل نعيم

وتولت الشهور والاعوام وبغداد تعاني شدة السيطرة على النفوس واخذت الصحف ( الجرائد ) تنتقد على هذا الوضع المزرى وتشن الغارة بعد الغارة على رجال الحكم فلم يكن من سامع او مجيب مما دعى الشاعر معروف الرصافي ان يندد هذه الأعمال بقوله :

ارى بغداد تسبح في الملاهى — وتعبث في الأوامر والنواهى
رمت حملانها الارياف حتى — تناطحت الكباش مع الشياه
فيا بغداد ان الأمر جد — فخلى بعض هزلك في الملاهى
جميع الناس قد نفضت كراها — وابدت للعلى نظر انتباه
وفيك معاهد الدستور تشقى — بغفلة ، غافل او سهو ساهي

ولتأزم الوضع في بغداد وجدت قصيدة طويلة كتبت في خط جلى منتشرة في شوارع بغداد وذلك في اوائل سنة ١٣٢٧ هـ اواخر حكم السلطان عبدالحميد ، يوم كان الاستبداد على اشده فاحدثت ضجة عظيمة في نوادي بغداد ولم يعرف ناظمها وهي :

اين الخلافة والامامه — قامت على الدين القيامه
درست رسوم الشرع لا — اثر يلوح ولا علامه
اين المدارس والعلو — م واين ارباب الكرامه
اين الرجال المقتدى — بفعالهم أهل الشهامه
ذهبوا بعز دائم — نالوا به اعلى الفخامه

يا ايها الملك الذي ... ابدى من الدين اثلامه
يا لاهياً في قصره ... بالله قصرك من اقامه
يا شارباً خمر الغرور ... وما له رأس السلامه
يا واهب الملك العظيم ... متى تحل بك الندامه
يا مثرياً في ماله ... احللت من طمع حرامه
يا معجباً • برجاله ... والأمر قد حلوا نظامه
يا جارياً في موكب ... والذل كم يجرى امامه
يا فانياً في شيخه ... والشيخ من اهل الكرامه
يا من تزايد ظلمه ... قل لي متى تدع الظلامه
مل العراقي العراق ... كذاك والشامي شآمه
وغشى الحجاز شقاوة ... وكذاك اطراف اليمامه
قل لي متى يمن تسود ... بلادها ومتى تهامه
والى م جيشك اينما ... وليته ابدى انهزامه
هذا يباعد سيفه ... خوفاً وذا يلقى حزامه
جيش عثا فيه العدا ... من حيث سقت له حمامه
اجزيرة العرب اذكرى ... عصراً به قد كنت شامه
ايام كان بك الرشيد ... وكان فيك أبو دلامه
زمن به الدين القو ... يم بنوك قد رفعوا مقامه
من كل شهم لابس ... يوم الوغى درعاً ولامه
اسد اذا البحر المحيط ... يعوقه يهوى اقتحامه
ما بال ربعك قد غدا ... بعد العمارة كالقمامه
عبست ديارك بعدما ... كانت تلوح بها الوسامه
اضحت بلادك اكلة ... ازعيم ابناء الئامه
مالى ارى الاسلام من ... سفه لقد سمعوا كلامه
وارى بحبات القلوب ... من الورى امضى سهامه
هل نهضة تنفى الأذى ... يوماً وتنقشع الغمامه
قوموا لنصرة دينكم ... ان كنتم ترجو دوامه

يا ملة ناحت على اشرافها بالذل هامه
يا امة اضحت تؤم خلاف نهج الأستقامه
اجهلتم نص الامام وقد تعديتم مرامه
والله اكمل دينه وبأحمد انهى ختامه
بالله يا ريح انقلي خيراً لساكن ارض رامه
الدين بعد شفائه قد عاد مشتكياً سقامه
قد كان محترم الجنا ب واهله تركوا احترامه
والملك بعد قوامه من جهلهم تركوا قوامه
قد احدثوا البدع التي ظهرت لنا منها الوخامه
فمن الغريم وخصمه ظلماً لقد اخذوا الغرامه
هذي المحاكم اسست للعدل حاولت انعدامه
وبحكمها ركن الهدى تالله شاهدنا انهدامه
يا من يلوم سفاهة هلا كففت عن الملامه
اين السياسة والعدا له اين من ترجو ذمامه
اين الذين بيأسهم منعوا من الدين انطمامه
ذهبوا وعاث بملكهم من لا تليق له الزعامه
ضعف القوى ببطشه ومن الذي تخشى انتقامه
ملكت اعاديه البلاد وقوضوا منها خيامه

ودامت الفوضى في بغداد وخاصة فيالملاهى ضاربة اطنابها حتى اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨م وطلعت شمس الحرية وانطلقت الحريات العامة وفتح باب الهجرة للقيان وغدت بغداد تمرح في عهد جديد معيدة ايامها الماضية ايام العصر العباسي وفيما يلي اسماء القيان اللواتي حللن فى بغداد اولا واخيرا نثبتها حسب حروف المعجم •

# اسماء القيان الاجنبيات

ترددت اصداء عن بغداد إلى خارج العراق ، أن الشعب العراقي أخذ يهوى سماع مختلف اصوات القيان العربيات والأجنبيات ومشاهدتهن ،وبعد أن عرفن ذلك أخذن يتوافدن على بغداد فالبصرة فالموصل ويتعاقدن مع أرباب الملاهي العقد القصير والطويل ومنهن من بقين سنين متواصلة يمارسن الرقص والغناء فيها ، واكثر ما كان مقبولاً عند العراقيين : المصريات وفي مقدمتهن ( طيره ) فالشاميات والحلبيات واظرفهن ( فريدة ستيتيه ) حتى هزج شعراء العامية ببغداد باسميهما في بسته غنائية ، رباطها ( طيره او فريده بالبلم ) واليك اسماء من وفدن في هذه الحقبة مرتبة على حروف المعجم .

١ـ آتتي نيقولا ٢ـ احسان المصرية ٣ـ افتيليا ٤ـ السكندر انقاش ٥ـ ألن الرومية ٦ـ الن الكبيرة ٧ـ ألن الصغيرة ٨ـ اولكه حداد ٩ـ آمال حسين ١٠ـ آميليا ١١ـ أميرة جمال ١٢ـ أنصاف منير ١٣ـ المدام التركية ١٤ـ بلانش ١٥ـ بياعزالدين ١٦ـ بدرية حمدي ١٧ـ بدرية سعدة ١٨ـ بدرية سوّاس ١٩ـ بديعة عطش ٢٠ـ بديعة الذهبية ٢١ـ بديعة منصور ٢٢ـ بديعة لاطي ٢٣ـ بلورا السقا ٢٤ـ بهية الانطاكية ٢٥ـ بهية بحري ٢٦ـ بهية سميكة ٢٧ـ بهية شحود ٢٨ـ بهية طحان ٢٩ـ بهية كشكش ٣٠ـ بهية فيليب ٣١ـ بهية المصرية ٣٢ـ تحية كريوكة ٣٣ـ ثريا الجمل ٣٤ـ ثريا بنت الحارة ٣٥ـ ثريا حلمي ٣٦ـ ثريا كامل ٣٧ـ ثريا المصرية ٣٨ـ جميلة چاكوج ٣٩ـ جميلة خاتونة ٤٠ـ جميلة روشة ٤١ـ جميلة شحاده ٤٢ـ جميلة هوهه ٤٣ـ حسني دنكور ٤٤ـ حسني الشامية ٤٥ـ حسيبة مكنو ٤٦ـ حكمت كامل ٤٧ـ خانم لاطي ٤٨ـ خيرية السقا ٤٩ـ راوية ٥٠ رجاء توفيق ٥١ رجاء عبده ٥٢ـ رحلو جراده ٥٣ـ رحلو بنت الحارة ٥٤ـ رحلو حبيم ٥٥ـ رحلو العراطه ٥٦ـ رشيده عزت ٥٧ـ روزه سواس ٥٨ـ روزه الرومية ٥٩ـ روبيكه سميكة ٦٠ـ زريفة رشدي ٦١ـ زكية جورج ٦٢ـ زكية زلط ٦٣ـ زكية السدية ٦٤ زكية علي كيفك ٦٥ـ زكية بحري ٦٦ـ زكية المغربية ٦٧ـ زوزو المصرية ٦٨ـ زهية برو ٦٩ـ

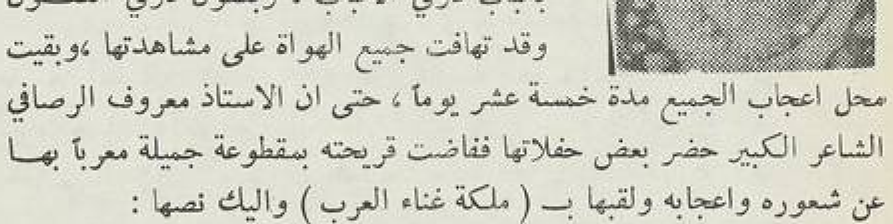
سارينة ٧٠ـ سامية مطيع ٧١ـ سعاد محمد ٧٢ـ سلطانة ملك ٧٣ـ سمحة العوادة ٧٤ـ سلوى الجزائرية ٧٥ـ سليمة حلمي ٧٦ـ سليمة يوسف ٧٧ـ سميرة توفيق ٧٨ـ سميرة عبده ٧٩ـ سهام رفقي ٨٠ـ شفيقة آزرق ٨١ـ شفيقة حلبي ٨٢ـ شفيقة سلامة ٨٣ شفيقة لاطي ٨٤ـ شكران التركية ٨٥ـ شهرزاد ٨٦ـ صالحة المصرية ٨٧ـ صبرية الحلبية ٨٨ صبيحة الديرية ٨٩ـ طيرة بنت ابي شحطة ٩٠ـ طيرة بنت الخانم ٩١ـ طيرة الحلبية ٩٢ـ طيرة الكردية ٩٣ـ طيرة المصرية الكبيرة ٩٤ـ طيرة المصرية الصغيرة ٩٥ـ عزيزة أمين ٩٦ـ عزيزة حلمي ٩٧ـ عطيات المصرية ٩٨ـ عفيفة فرج ٩٩ـ عفيفة محمد ١٠٠ـ عفيفة حواس ١٠١ـ علية باشا ١٠٢ علية جورج ١٠٣ـ عيشة ابراهيم ١٠٤ـ فاطمة شبكي ١٠٥ـ فايدة كامل ١٠٦ـ فائزة أحمد ١٠٧ـ فتاة دمشق ( فبروينا ) ١٠٨ـ فتحية محمود ١٠٩ـ فريدة استيتية ١١٠ـ فريدة العراطة ١١١ـ فكتوريا محو ١١٢ـ فكتوريا ازاييل ١١٣ـ فيروز أرمني ١١٤ـ فيروز اللبنانية ١١٥ـ كوكب ابراهيم ١١٦ـ كلمونة مورة ١١٧ـ كميلة توفيق ١١٨ـ كميلة سمعان ١١٩ـ لطيفة حبيب ١٢٠ـ لورا طرابلسي ١٢١ـ لولو سليم ١٢٢ـ ليلى خبـز ١٢٣ـ ليلى حلمي ١٢٤ـ ليلى سموئيل ١٢٥ـ لويز نوبارق ١٢٦ـ ليندة الحلبية ١٢٧ـ ماري بنت الحارة ١٢٨ـ ماري جبران ١٢٩ـ ماري الرومية ١٣٠ـ ماري شهاب ١٣١ـ ماريكة دمتري ١٣٢ـ مديحة ناطق ١٣٣ـ ملك ١٣٤ـ ملكة المصرية ١٣٥ـ ميزة محمد ١٣٦ـ نجاح الحلبية ١٣٧ـ نجاح سلام ١٣٨ـ نادرة الطرابلسية ١٣٩ـ نادرة المصرية ١٤٠ـ نحلية شحادة ١٤١ـ نحلية فوزي ١٤٢ نحلية نعجاي ١٤٣ـ نحلية مليجي ١٤٤ـ نرجس شوقي ١٤٥ـ نزهت يونس ١٤٦ـ نعيمة اسكندرانية ١٤٧ـ نعيمة جوجو ١٤٨ نعيمة كمال ١٤٩ـ نورهان ١٥٠ـ نورية مطيع ١٥١ـ نهاوند ١٥٢ـ هاجر حمدي ١٥٣ـ هيبت عزيز ١٥٤ـ هيام يونس ١٥٥ـ وجدان النادي .

وبهذه الفوضى القيانية ازداد الوضع وخامة في بغداد ولم يرفع كابوس اغواء القيان عن السذج من أبناء بغداد ، وقد فرغت الجيوب وتفسخت الاخلاق من جراء الرقص الخليع ألذي ما تعود البغدادي مشاهدة نساء

عاريات يصلن ويجلن في المسرح منهمكات في الاهتزاز والترجرج ، وقد فاته ان هذا الفن الجديد ابتدعته حرية حزب الاتحاد والترقي العثماني .

وعلى ضوء هذه القيان شاهدت وسمعت كثيراً من اغانيهن . ومنها اغنية ( شمس الشموسة ) للشيخ سيد درويش[1] .

وقد غنتها المغنية ( طيرة ) في مجلس الشيخ خزعل امير المحمّرة يومذاك والمرحوم الشيخ خزعل امير المحمرة كان اديباً كاملاً وعربياً كريما محبا للشعراء وكثيراً ما كان يخلع عليهم الخلع الثمينة ويمدهم بالاموال الطائلة . وناهيك عن مجالسه الادبية والغنائية فقد ضاهت مجالس الخلفاء العباسيين في ألعصر الذهبي .



وفي مستهل عام ١٩١٩م جاءت من القاهرة الى بغداد مع جوق موسيقي منظّم المطربة الشهيرة ( منيرة المهدية ) فاقامت عدة حفلات في سينما ( سنترال ) الذي سمي اخيراً بالرافدين بعد ان احترق ، وقد فاجأت أهالي بغداد بصوتها الرخيم الجهوري وغنائها الرقيق فأخذت بالباب ذوي الالباب ، وبعقول ذوي العقول وقد تهافت جميع الهواة على مشاهدتها ،وبقيت محل اعجاب الجميع مدة خمسة عشر يوماً ، حتى ان الاستاذ معروف الرصافي الشاعر الكبير حضر بعض حفلاتها ففاضت قريحته بمقطوعة جميلة معرباً بها عن شعوره واعجابه ولقبها بـ ( ملكة غناء العرب ) واليك نصها :

| | |
|---|---|
| هلمّ الى ذوق طعم الأدب | هلم الى نيل اقصى الارب |
| هلمّ الى ذالغناء الذي | منيرة منه اتت بالعجب |
| اليست منيرة في عصرنا | مليكة فن غناء العرب |
| فلا غروان ملكت في الغنا | ء وان احرزت فيهاعلى الرتب |
| فقد ادركته على رسلها | ونالت أقاصيه من كثب |

(١) مجموعة فجر الاندلس ج ٦ ص ١٢

وايدها الله مـن صـوتها باكبر عـون واقوى سـبب

ارى فيها صيغ من حكمـة وأنجسه ان اقل من ذهـب

تلـوح فتبتز بـدر الدجى وتشـدو فيعتز فـن الأدب

بلحن اذا امتـد هـز القلو ب وخدّر آذاننـا والعصب

ترفرف ارواحنـا تحتـه كما رفرف الطير لمـا انقلب

وتخفق احشـاؤنا دونـه كما اخفقت في الرياح العذب

تكاد اذا هي غنت نطـير اليها بأجنحـة من طـرب

وان هي قامـت لانشـادنا جثونا لهـا وثنينا الركـب

فلو سـمع القـوم الحانهـا لشـقوا عمائمهم والجبب

ارى الهم يتعب قلب الفتـى وعنه الاغـانى تزيل التعـب

فبادر اليها ولا تكتـرث لما جاء في ذمهـا في الكتـب

■★■



كوكب الشرق

السيدة

ام كلثوم

اخذت صورتها

في بغداد

ـ المصور جعفر الحسيني ـ

ولم ينس الشاعر معروف الرصافي مطربة الشرق ام كلثوم يوم جاءت إلى بغداد وذلك في منتصف شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٢م مع تختها الموسيقى المؤلف من ثمانية اعضاء من أبرز الموسيقيين يرأسهم الاستاذ محمد القصبجي الضارب على ( العود ) وابراهيم العريان على ( القانون ) وكريم حلمي على ( الكمان ) ويوسف متولى على ( الفيونسيل ) وجرجيس سعد على ( الناي ) وابراهيم عفيفي على ( الدف والنقرزان ) وصالح محمد مساعد وعبدالعزيز عبدالوهاب مساعد .

وقد قابلها وابدى لها اعمق تحياته ورحب بها ترحيباً يليق بها ، ثم قدم لها درة من درره الوهاجة وكانت بعنوان :

# ام كلثوم

ام كلثوم في فنون الأغاني — امة وحدها بهذا الزمان

هي في الشرق وحدها ربة الفن — فما ان للفن رب ثاني

ذاع من صوتها لها اليوم صيت — عم كل الامصار والبلدان

ما تغنت الا وقد سحرتنا — بأفتنان لها واى افتتان

في الاغانى تمثل الحب تمثيلاً — صريحاً بصوتها الفتان

يتجلى بلحنها مشهد الحب — ولون الوصال والهجران

فتريك المحب عند افتراق — وتريك الحبيب عند اقتران

كل هذا في صوتها يتجلى — من خلال الانغام والالحان

صفحات من الغرام تراها — ظاهرات في صوتها للعيان

تنشد الشعر في الغناء فتأتي — بلحون مطابقات المعانى

فاذا انشدت من الوصل ابدت — فيه لحن السرور والجذلان

واذا انشدت عن الهجر جاءت — بلحون تدعو الى الأحزان

كم سقتنا كأس السرور بلحن — وبلحن كأساً من الاشجان

تفهم الروح منطق الحب مما — تتغنى به بلا ترجمان

فكأن الانغام في الصوت منها — ناطقات لنا بغير لسان

قد سمعنا غناءها فعرفنا — كيف فعل الغناء في الانسان

حسن صوت يزينه حسن لحن — فيه للسامعين حسن بيان

نبرات في صوتها مشجيات — تترك السامعين في هيجان

تسترق القلوب منا بصوت — نعبد الحسن منه بالآذان

كل لحن اذا سمعناه منها — دب فينا دبيب بنت الحان

في وقار الحليم تجعلنا طوراً — وطوراً في خفة النشوان

تتفاني في الاستماع اليها — ونرى لذة لنا في التفاني

وترانا نهتز حين تغنى — فكانا في حالة الطيران

وكأن الارواح اذ تتعالى — طرباً جردت من الأبدان

هي في مرتقى الاغاريد تعلو — حين تشدو ونحن في خطران

يشعر المرء حين يصغى اليهـــا بغرام مـــن صـــوتها روحانـــي
بنت فن غنت لنـــا فســـقتنا من فنون الغنـــاء بنت دنـــان
هكذا فلتكن يد الفن عليـــا هكذا فلتكن عـــلى الفنـــان

• • •

وقد حياها العلامة الجليل الشيخ جواد الشبيبي على اثر الاحتفال الذي اقيم لها ببغداد للمرة الاولى تحت عنوان ــ قمرية الدوح ــ وفيها الوان وصور من سياسة ذلك العصر ، قوله:

قمرية الدوح يا ذات الترانيـــم مع النسور على ورد الردى حومي
سيري مع الجحفل الجرار خافقة وسابقي فوقـه سرب القشـاعيم
وناوحي الأمّة الثكلى فقد رزأت بلادهـــا بالمطاعـين المطاعيـم
وذكريهـا عهـود البيض ماضية فان عهد المواضي غـير مذمـوم
خلت بلادك من قوم فرائســـهم ملء البسيطة من فرس ومـن روم

• • •

قمرية الدوح ما في الدوح من ثمر إلاّ تعاليل محـــزون لمهـــموم
طيري إلى الأفق الاعلى فليس على وجه الثرى وكر طير غير محطـوم
وباعدي الأرض ان الجور ارهقهـا ووحدي الصف في هذي الاقـاليم
ما في العواصم من ضيق ومن نوب أضعافه في الفيافي والديامـيـــم
فناشدي العرب كم دانت لهم دول وكم جبوها بتحبير المراســـيم
وأبني أسر التيجان قـد نزلـــوا عن العروش باذعـان المراســيم
مخدّمين بأمثال الدمى صـــوراً وارحمنا للسلاطين المخاديـــم
اهل الاكاليل لا تأسوا فما عقدت إلاّ إلى أجل في اللوح مرقـــوم
في ذمة المجد مطرودون عن ســدد كانـت مواقف تمجيد وتعظيـــم
كم عاهل يستميح الدهر رحمتـه أماته الدهر حياً غير مرحـــوم
رام الأمان ( أمـان الله ) ملتحقـاً بالباحثين عـلى جذّ الجراثيـــم
وانّ شعب ( وحيدالدين ) انكـره وشعب ( غليوم ) لم يرفق بغليوم
أصاب ( أحمـد ) رب التاج سالبه منه بسهم من الآجـال مســموم
مشى الزمان بأهليـه كمضـطرب في المتن مندفع في الصدر ملكوم

فأبصر الخلف قدّاماً لدهشته
وصار يخلط تأخيراً بتقديـــم

هذي الحوادث جلت ان تكافح في
سيف بمطرفه الأقـــدار مثلـوم

لولا المقادير سالت دون ( دجلتنا )
على الردى انفس الصيد المقاديـم

سلي ( الفرات ) ففي أريافه عـرب
بيض الظبا والمساعي الغر والخيـم

الراصدون على الأعداء مهربهم
والمالكون عليهم مورد الهيـم

والسائلات بغدر من دموعهـم
نفوســهم لقرارات اللهاميـم

كم من ( عكاظ ) أقامته سيوفهم
وموسم برذاذ الهام موســوم

سوق من الحمد قامت في معارضه
رماحهم وهي لم تعرض لتقديـم

أبوا يسومونها إلاّ بمركزهـــا
من مصرع القرن مطعون الغلاصيم

لو صادموا هضبة الفولاذ لانفلقت
أركانها بالمناجيد المصـــاديم

• • •

تمرية الدوح أضحت أرضه يبساً
ومزهر الغصــن اضحى غير مرهوم

قد كان يمتص ضرع الغيث مندفقا
فعــاد يعطب في برحـاء مفطـوم

تبصرى الارض هل قامت مناكبهـا
على أســاس قديـم غير مهـدوم

جاء الجديد فقلنــا ســوف يخلفه
حلاً بحلٍّ وتحريمـاً بتحريــم

فأسفر العصر عصر النور عن زمن
بالعسف متقدٍ بالظلـم مضـروم

سكان ( جلّق ) ذات المرج جادكم
بعارض من فتوق السحب مسجوم

ومبهت الزهر زهر الفضل في حلب
لازلت تنفح في شيح وقيصــوم

ويا حواضر لبنـــان تجاور في
بحر بمثل هموم الشعب مفعـوم

ويا نزولاً على الخـرطوم زاحمكم
في مورد النيـل عذباً ألف خرطوم

مدّت من الغرب وامتصت موارده
فليــت لاكرعــت إلاّ بيحمـــوم

ظمأً لها ماكفاهــا البحـر ملتطماً
كأن امواجه موقـورة الكـــوم

حتى أتت لمجاري الشرق دامعــة
عيونــه بين سلســال وتسنيــم

ألقت مبادئها درســاً يعرفنــا
سوء المبـادىء منهـا والخواتيـم

تظاهر الشرق بالحسنـى مداجيـة
وحقدها كـامــن ملء الحيازيـم

وتوضـح الشك بالأبهـام تعمية
واحيرتا بين مشكوك وموهـــوم

كيف السبيل إلى التطبيق قد برأت
هذي المصاديق من تلك المفاهيـم

يامصر قولي لوفد العز قد لبسوا … تلك العواري من لـوم ومن لوم
ليس الصعيد صعيدي يافراعنتـي … أما اختلفتم ولا الفيّوم فيومـي
كونوا من الذهب المسبوك سلسلة … ابريزها غير مفصـوم وموصـوم
نواصع الحجج اللآتي اذا اطـردت … داست جناجن موضوح ومكلـوم
نام الخليون حيث الليل يرفع في … سقف بأعمـدة الظلماء مدعـوم
وانتـم لاحشاياكـم ممهـدة … ولا جفـونكم مالت لتهويـم
لو فاض بحر الدجى وامتد زاخره … فلتم لأفكاركم في قعـره : عومي
آراؤكم مـن حديد الحق ضربتها … تأتي على كل مكذوب ومزعـوم
صرختـم ولهيب العزم يلفحكـم … كالفحل يهدر مـن تحت المياسيم
قام الموحّد منهـا وهـو مرتعـد … واهتز من حولها أهل الأقـانيم

■ ■ ■

قمرية الدوح قومي فانظرى أممـاً … مخنوقـة الصوت في أوطانها قومي
مافي العراق اذا استقريت بقعتـه … إذن تصيخ لأبكار الاناغيـم
يد علينا لذات الطوق نشكـرها … بذكريـات احتفالات وتكريـم
إن عاد للعرب الأمحاض ملكهـم … وحصنوا الأرض بالبيض المخاذيم
حـقاً تناديك والتلقيب أوسـمة … يانغمـة الـورق بل يابغمة الريم
إن ترجعيهم الى أدوار ملكهـم … فأنت أنت اصدحـى لا أم كلثوم
اجيزك اللؤلؤ المنسوق من كلمـي … واحسن الدرّ منثوري ومنظومـي
تغرديـن وذي الاقطار مابـرحت … تبكي لتذكـار توزيـع وتقسيـم
كم هيأ الظافر المنهـوم دعوتـه … منهـا لكل عميق الشدق مقـروم
تذوقوها ولـم تبـرد لها مـزع … وباغتوهـا بتحصيـص وتسهيـم
واضيعة المـال والاحلام من نفـر … تقاطروا بين مجهـول ومعلـوم
كأنهـم ودواعـي اللهو تجذبهـم … ركـب يخف بمزموم ومخطـوم
خالوا مزامير داود لهـم خبـأت … أنغامها بيـن اشداق وحلقـوم
فصيروا قاعـة الألحـان جنتهـم … فأينهـا وهـي في لغـوٍ وتأثيـم
فاين الثلاثين حـي لاعصـام لـه … واين الثمانـين ميت غير معصـوم
سيان الهاجس المحزون فـي وطني … ترنيمة الـورق اوتنعابه البـوم

هذي البلاد فمعدوم بلا جدة    إن طفت فيها وموجود كمعدوم
وسافل يتعالى فوق موقفه    وظالم يتردى جلد مظلوم
قالوا الغناء غذاء الروح ان حييت    وارشدونا لروح غير مألوم
متى يكون علاح للضنى بضنىً    وشارب السم هل يشفى بمسموم

. . .

وللشاعر الكبير المرحوم جميل صدقي الزهاوي من قصيدة بهذه المناسبة :

الفنّ روض أنيق غير مسؤوم    وانت بلبله يا ام كلثوم
لأنت اقدر من غنى بقافية    لحناً يرجعه من بعد ترنيم
اني أخاف افتتاناً فيه مفتضحي    فإنما أنا شيخ غير معصوم
سلي بي القوم قبل اللوم باحثة    وبعد ذلك يالوامتي لومي
لاتفزع الكاعب الحسناء من كلمي    فان نصل سهامي غير مسموم

. . .

يا امّ كلثوم غني فالهوى نغم    تلذه الشيب والشبان كلهم
من أجل صوت رخيم منك يسمعه    ياام كلثوم جاء الجمع يزدحم
قد هزّه صوتك الموّار يطربه    فهاج كالبحر ذي الأمواج يلتطم

. . .

يا ام كلثوم إنّا امة رزحت    تحت المصائب اجيالاً فسلّينا
حملت ما يعجز الفتيان محمله    وما ابن عشرين صنو لابن سبعينا
إني دخلت جحيمي قبل آخرتي    وذقت في العيش زقوماً وغسلينا
يا أم كلثوم حيينا مغرّدة    حيّ الملائك منّا والشياطينا
بلى جننا بلحن قد شدوت به    وقبل ذلك ماكنّا مجانينا

. . .

والشاعر الكبير الشيخ محمد باقر الشبيبي في هذه المناسبة وهي من موشحاته الجميله قوله :

فهيّا أيها الغادة    وغنّي لي على العاده

. . .

تطلعت الى الجو    وقلبي دائم الخفق

فأبصرتـك فـى الدرب ... وشاهدتـك فى الافق
بمـن سـوّاك كالطير ... فهـل أنـت من الخلـق
أمـن عائلـة البلبـل ... أم مـن مجمـع الـورق

. . .

اذا غنيت فـي الحـب ... فغنـي باسـم مـن أهوى
وان لـحّ بـك الشـوق ... فبثيـه مـع النجـوى
فمـا شكـواك لليـل ... أيصغـى الليـل للشكوى
لأنـت سلـوة النفـس ... وما أحلـى مـن السلـوى

. . .

علـى الشاطـىء صـداح ... هنيئـاً لـك يا دجلـه
سأرعـى النجم للصبـح ... واحيـي الليـل فـى الحفله
فأهـلاً ظبيـة النيـل ... ومرحـى جـارة الرملـه
وبوركـت علـى السير ... وهنئت علـى الرحلـه

. . .

إذا أمـرّك الـعـدل ... فقـد توجـك الطهـر
وان كـان لـك الكـوخ ... فقد عـاد لـك القـصر
وان قلت بـك الشعـر ... فمـن الهامـك الشعـر
لـك الأمـر علـى القلب ... وعينيـك لـك الأمـر

. . .

تمنّـاك ببغـداد ... جمـاعـات ، جمـاعات
وحيـاك علـى الجسر ... زرافـات ، زرافـات
ففتيـان أعفـاء ... وفتيـات عفيفـات
فمـن قلبـي أشـواق ... ومـن روحـي تحيـات

. . .

سـلام أمّ كلثـوم ... سـلام أنـت مصباحى
لقـد هيجت أحزانـى ... كمـا هيجت أفراحي
فيـا اغرودة الـروح ... تعـالى لست بالصاحي
أمـن يسكـر بالحب ... كمـن يسكـر بالـراح

. . .

هنيئاً لك بغداد فهذي امّ كلثوم
من الغيد الأعاريب أتتنا لامن الروم
لقد أحيت لياليك بتغريد وترنيم
فعذراً فرحة النفس إذا قصر تكريمي

. . .

أعيدي السجع والصدح وغنّينا إلى الفجر
فهذي الانجم الزهر مطلات مع البدر
فغنّي أروع الشعر وصوغيه من النحر
فمن نحرك للثغر ومن ثغرك للنحر

. . .

عجبنا امّ كلثوم من الحادثة الكبرى
لماذا قسم الوفد ومن ذا بيّت الأمرا
ألا من يجمع الشمل ألا من يطرد الشرّا
خذي حذرك يامصر وردّي الكيد والمكرا

. . .

رأيت الخصم جذلان بما جد من الحلف
أحقاً فصل الوفد (نجيباً) وهو في الصفّ
فهذا الحادث البكر أرانا موضع الضعف
الى الوحدة يامصر الى الاشفاق والعطف

. . .

أطلى بنت فرعون على المسرح والملعب
ورفقاً ربّة الصون بأحشائي أن تنهب
فأنت الكاعب الرود فما الظبى وما الربرب
خذي روحى الى مصر فمصر وطني الاقرب

. . .

سلى قلبي عن الحب فقد ذاب من الوجد
فكم لاب على الروض وكم حام على الورد
سليني شاحب اللون فمن سهد الى سهد
خذي قلبى للوفد فإني فى الهوى وفدي

وللشاعر المعروف ابراهيم أدهم الزهاوي بهذه المناسبة قوله :

أمّ كلثـوم دولـة تتباهـى … أرضها في وجودهـا وسماها
حكمت في القلوب أعلى الحكوما … ت تناهي دون القلوب مداها
عرشـها ثابت العُلى لم يزلـه … ما يزيل العروش من علياها
وعليها تاج مـن العز والأجـ … ـلال يزهو بنـوره فوداها
وادارت من فنّهـا صـولجاناً … عنده ألقت الفنون عصـاها
هـي انسـانة ولكن في فيـ … ـها مـلاكاً تجنّب الأفـواها
أو ما تسـمع الاغاريـد تأتيـ … ـك كما ألقت السماء نداها
خشعت عندهـا الجوارح إلاّ … آهـة أمسكت باخرى يداها
كتماثيل بابـل أظهر الفـن … هواها وانطق السـحر فاها
كلّما غردّت بحفـل ارتنـا … صوراً تخلب العقـول رؤاهـا
تتجلى لنـا بهـا يقظـات … لزمت عندها الهمـوم كراهـا
لو تخلّت عنّا الهموم حلمنـا … والمآقي مفتوحـة عيناهـا
بأمـور لـم تبتدئها ولكـن … قبلها كان عندنـا ذكراهـا
نحن من ارفع العوالـم ماتنـ … ـفك تهوى قلوبنـا للقاهـا
قد جنينـا جنايـة حبسـتنا … في جسـوم تحدّ نا بخطاهـا
حبـذا سـاعة تمرّ بنـا مفـ … ـترّة عـن حرّيـة شـفتاها

■★■

يا هزار النيـل التـي تتـمنى … نغمات الهـزار رجع صـداها
أنت ضاعفت ألسن الطير حسناً … وتفننت في اختـراع لغاهـا
فاذا ما غنيـت خيّلت للأسـ … ـماع ورقـاء كبرت نغمتاهـا
واعادت علـى سـليمان مـا قا … لته ليلاً لنفسـها في ضحاها
فظلام الدجـى عتيـد ولكـن … عـاد أدراجه بنور غناهـا
والمعانـي تنسـاب إثر المعاني … في نفوس تيقظت من أسـاها
والقوافي تختـال تيهـاً وعجباً … أنها صادفت هوى في نهاهـا
ضاعفت حسـنها بما قلدتهـا … من حلي تصـوغها شـفتاها
شفتا أعـذب الخـلائق لحنـاً … هكذا حدثـت لنـا اذناهـا

جمعت في غنائهـــا حســنات لم تجد عند غيرها احـداها
نبرات كأنهـــا نســـمات هب في منخر الفريق شـــذاها
ترقص الجو رقصـة الأم ثكلى عاد من منزل البلى ولداهـــا
فأوانا تلقى عليـه سـباتا مذقتـه الاحـلام في حلواهـا
وأوانا تلقـي عليـه حماسـا يتحدّى الأيـام في بلواهـــا
وهي تعلو اذا انخفضت انتباها وهي تهوى اذا علـوت انتباها
أبداً ترغـم النفوس على الأذ عان تصـغي لها بكل قواهـا
مثلها يأمر النفوس وينهـــا ها ويحيي فيها موات هواهـا
وكفاها مهذباً في البرايـــا حسن أقبالهـا عـلى نجواهـا
وبعيـد ما بين سامع انغـــام لطاف ٍ وفاهم مغزاهــــا

■★■

امّ كلثوم غـرّة القمـر الطا لع في افق فنّها بعـلاهـــا
مـا تغني وانمـــا تتبنـــى أنفساً قوّض الزمـان بناهـــا
فهي تغـذي بدرهـــا بالدر ِ قد غـزا الخافقين حتى كفاهـا
ذاك معنى الانسان في الكون لكن جهلت اكثر الورى معناهـــا
فترى في الفنون لهواً ولعبـــاً وهي عنـوان مرتقى دنياهـا
وهي فيها غرائـز فاذا مـــا لم تبلّج قضى الحجى برداهـا
وبذيء من الكـلام سـخيف دار ما بيننا فأندى الجباهـــا
قد تحاشت أمثاله فتحاشـــت قتل اذواقنـا وصانت طلاهـا
ليس حسن اختيارها للقـوافي دون حسن اختيارها لغناهـــا
صعرت اللغات خـداً فلم تخـ ـتر لساناً منها عـلى فصحاها
مضر أكرم الشـعوب بيانـاً ما عنتنا هوجـاء إلاّ قضاهـــا
هو ترب للسحر شبّ وظل الـ ـسحر طفلاً بثوبـه يتباهـــى
سل به محفل الزمان الذي آلـ ـزم آيات نطقـه الأفـواها
يوم كنا نجتاب ثـوب حيـاة تتمنى عـلى النفوس مناهـا
امّ كلثوم شعلة مـن علاهـــا لم تخلف لنا العصور سـواها
صانها الله للفنـــون وابقـا ها ولا ذاقت النفوس نواهـــا

وللشاعر كمال نصرت بهذه المناسبة قولـــه :

أصوتك العـذب ام مزمـار داود — أشجى الفؤاد وأبكى كـل معمود
يا أمّ كلثوم رفقاً إن صـوتك ذا — في القلب يفعل فعل النار بالعـود
رفقاً بنا لا تزيدينا جوىً وهوىً — يا امّ كلثـوم رفقا بالمعاميـد
ورحمة بالذي يقضي لياليـه — ما بين وجـد وتعذيب وتسـهيد
ففي أغانيك معنى الحب يظهـره — صوت رخيم لدى خفض وتصعيد
فمن جفاء به يشقى المحب ومـن — هجر يطول ومن سـقم وتنـكيد
وكيف لا يدع الارواح هائمـة — صوت يؤثر في صم الجلامـيد
يا امّ كلثوم إنـي بلبـل غـرد — مثل البلابـل أشدو فوق املـود
أعيش في الروضة الغناء متنقـلاً — بين الغصون وموسيقاي تغريـدي
أطير من فنن لدن إلى فنـن — وان سكرت فخمري مـاء عنقود
والروض يضحك لي والورد يبسم لي — وللطبيعة تسبيحي وتحميـدي
لـي الهناء فصـفوي لا يكـدّره — هم ولست على عيشي بمحسـود
إن كنت في الناس ادعى مثلهم بشراً — فانما أنا طـير في الأغاريـد

اما نادرة فقد جاءت من القاهرة الى بغداد عام ١٩٣٤م وهي تحمل معها لقب ( اميرة الطرب ) ومعها جـوق موسيقي ضخم وحلت باوتيل الهـلال بناء على اتفاقيتها مع صاحب الملهـى المرحوم عبدالجبار سبع ، وقد عنـي بها أشد الاعتناء حيث أقام لها عـدة حفلات كانت غاية في الاناقة والفـن ومنتهى الذوق ، وقد ادهش النـاس بصوتها العذب ، وأغانيها الشـجية ، وقد توافد العراقيون على مشاهدتها والاهتمام بها ، ولم اسمع ان شـاعراً تأثر بها عدا الاستاذ خضر الطائي فقد هزته بفنها فنظم هذه المقطوعة واليك نصـــها :

أخذ الفن عبقريّ الأغاني … من جمال الطبيعة الفتان

إن تكن هذه الطبيعة خرسا … ء فقد انطقت لسان البيان

طاف منها على الشعور خيال … لقي الشعر فيه شتى المعانى

وهداه إلى الجمال فألقى … نغماً من روائع الالحان

هبة من مواهب الله جاءت … لغذاء العقول والوجدان

تتبارى بها عواطف شتى … كالمذاكي العتاق في الميدان

وألذ الغناء ما بعثته … خفة الروح في لسان الغواني

هذه هذه ( حمامة مصر ) … هتفت بالغناء في بغدان

اطربتنا بصوتها العذب حتى … شغفتنا بما له من معان

سمعته القلوب واستعذبته … قبل ان يستقر في الآذان

غادة النيل زودينا بلحن … حرك العندليب في الافنان

واسحري هذه العقول بصوت … هو للعاشقين كل الاماني

رنحي قدّك الرشيق دلالا … وانظرينا بطرفك الفتان

ليت شعري بأي سحريك همنا … ابهذا الجمال ام بالاغاني

أنت في هذه الاغاني هزار … وبسحر الجمال مالك ثان

## خطط الملاهي في بغداد

ليس المقصود بكلمة الملاهى هي الالعاب المسلية ( كالطاولى والدومينو والشطرنج ) وغيرها ، وانما هى صالات الغناء والرقص التى يكثر اقبال الناس عليها في بغداد ، وبغداد حديثة العهد بها .

وقبل اعلان الدستور العثماني وبزوغ شمس الحرية ماكانت مسارح للملاهي تشيد خاصة بها ، بل كانت تشيد فى المقاهى مثل (مقهى سبع ) فى الميدان وقد شيد المسرح بها فوق سطح المقهى صيفا ، وبهذا المكان قتل الفتى الراقص المسمى (نعيم) وذلك عام ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م وقد أحدث قتل هذا الفتى ضجة عظيمة فى بغداد حتى ان الشاعر المرحوم معروف الرصافي رثاه بقصيدة غرّاء مؤرخا فيها تأريخ وفاته بعنوان ( اليتيم المخدوع ) ورثاه أهل بغداد بقصائد شعبية .

وفي عام ١٩١٣ م ارتأت بلدية بغداد أن تشيد مسرحا للرقص والغناء ترفيها لسكان بغداد ، فاقامته في الموضع الذى يقع فى موضع محطة كركوك أي غربي بغداد ، وقد باشرت العمل بـه وشاركت فيـه المغنيتان ( بديعـة لاطـي ) واختها ( خانم لاطي ) واستمر العمل بضعة أشهر حتى اعلنـت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م فانقرض هذا الملهى •

وفي بدء احتلال بغداد انشيء ملهى باسم (ماجستيك) واخيرا سمي (الهلال) في الميدان واشتغلت فيه الراقصة الشهيرة التركية (ألـن) وغيرها، واذكر منهن (ماريكه دمتري) والاشتغال فيه يكون عصر كل يوم في ساحة الملهـى الواقع فى الميـدان •

وانشيء ملهى آخر بنفس الزمن فى نصف سوق الشورجة برآسـة المغنية ( روزه نومه ) والراقصة يقال لها ( هيلة ) •

وبعد اعلان الدستور العثمانى اندفق سيل المغنيات والراقصات كمـا نوهنا آنفـا ( في قيـان بغـداد ) وقليـل منهن المصريـات ، ومعظمهن من الشام وحلب وبيروت ، ولا شك ان بعض اهالي بغداد يذكر عهدهـن اجمل ذكـرى •

وفي السنة نفسها والناس فى تلهف وشوق الى تلكم القيان ، وضـع القهواتى (سبع) الواح خشبية فوق الحوض الذى يتوسط الحديقة الكائنـة فى الميدان ، والتى هي جزء من مقهاه ، وجعله شبه مسرح ، اشتغلت عليـه الراقصه (رحلو جراده) واخذت تخرج عليه عصر كل يوم والناس مقبلون عليها اقبالا شديدا •

وفي ذلك الوقت شيد القهواتي (حسن صفو) فى مقهاه ( قهوة الشط) الكائنة فى محلة المصبغة (صوب الرصافة) مسرحا وجعل المغنية والراقصـه (طيره المصرية) تشتغل فيه •

وفي عام ١٩١٦ أسس ملهى في(مقهى الشط) بجانب الكرخ بالقرب من السفارة الايرانية الشهيرة ببيت الايلجى ، وقد مارست الغناء فيها المطربه (روزه نومه) وشاركنها بعض المغنيات واتسع عام ١٩١٧م حيث انضمت لها اختهـا ( لياو نومه ) •

ولما كثرت رغبة أصحاب المقاهي في الملاهي شيد صاحب (مقهى طويق) المقابل لمقهى الشط في الرصافة مسرحا في مقهاه واشتغلت فيه الراقصة الشهيرة (الن التركية) ومعها الراقصة (ماريكه دمتري) والـدة المطربـة (عفيفـة اسكنـــدر) •

ولما راجت سوق هذه الملاهي وكثر الاقبال عليها وجاء عام ١٩١٧م حيث احتلت بغداد من قبل الانكليز انطلقت قيان بغداد من مكمنها بعد أن عرفن ماتدر هذه الملاهي على المغنيات والراقصات من الربح الوفير فتعاقدن مـع أصحاب الملاهي وظهرن فيها باعجاب ملأ نفوسهن بهجة ، وقلوبهن أمـلا ، فتزاحمن وازداد عددهن وقدمن الى الجمهور مايحبه من أغانيه العراقية التي ما فتيء يسمعها من افواه الناس • والعراقي يطرب لجمال الصوت ويفضـله على جمال الحركة ، حتى انه يأتي من أقصى شمال العراق وجنوبه ليسمـع هذه الاصوات الشجية ، ويتمتع نظره بذلك الجمال الفتان •

وأشهر المغنيات آنذاك في بغداد : صديقة الملايه ، وجليلة ام سـامي ، وبدرية أنور ، وقد لعبت كل واحدة منهن دوراً لا ينسى •

وبعد ان خمدت الثورة العراقية عام ١٩٢١ وجـاءت الحكومة الملكية انتشرت الملاهي وانحصرت في محلة (الميدان) وظهرت مغنيات وراقصات كل واحدة اخذت مكانها في ملهى • واليك اسماءها آنذاك :

١ ــ ملهى الهلال : برآسة المطربة سليمة مراد
٢ ــ ملهى الجواهري : برآسة المغنية خزنة ابراهيم
٣ ــ ملهى المنير : برآسة منيرة عبد الرحمن الهوزوز
٤ ــ ملهى نزهة البدور : برآسة سلطانة يوسف ، وقد سمي بـاسم الراقصـة (بدريه سواس)
٥ ــ ملهى الاوبرا العراقية : برآسة المغنية زكية جورج •
٦ ــ ملهى الفارابي : برآسة المطربة صبرية حسـين •

وظلت هذه الملاهي تشتغل في الميدان الى عام ١٩٤٠ م ، ولما رأت امانة العاصمة ان الميدان المنتشرة فيه هذه الملاهي لا يتناسب وحر الصـيف في بغداد ، أمرت بنقلها الى خارج باب المعظم لترفيه الرواد فيها فانتقلت الـى

الباب الشرقي وزادت عليها بعض الملاهي وهي :

١ ـ ملهى ابو نواس : يقع في الباب الشرقي مدخل شارع الكفاح ، اسسته شركة باشراف صالح الكويتي ، ثم انتقل إلى شارع ابي نواس •

٢ ـ ملهى شهرزاد : يقع في الباب الشرقي ، مقابل حديقة الامة أسسه جرجيس وعبدالله ما شاءالله •

٣ ـ ملهى اردونا ، يقع بالقرب من كازينو شط العرب في شـارع الرشيـد ، ويطل على نهر دجلة •

٤ ـ ملهى ليالي الصفا : يقع على رأس جسر الصالحية المطل على نهر دجله في صوب الكرخ ، أسسه عبد الجبار سبع •

وهذه الملاهي تعرف بالملاهي الشعبية والشرقية •

## تعبئة الغناء في الاسطوانات

ان تعبئة الأغاني في الاسطوانات تجري بطريقة فنية لا بأس من اجمالها وذلك بعد ان يقع الاختيار على الاغنية ويشرع الملحن بتلحينها ويفرغ من تلقين المغنية وأفراد تختها حركات الغناء التي وضعها للقطعة التي يراد ملء الاسطوانة بها يؤتى بالمغنية وحاشيتها في وقت معين الى غرفة التعبئة ( الاستديو ) وهي غرفة متوسطة السعة مغطاة جدرانها الداخلية باستار من القماش السميك حتى لا يجد الصوت منفذاً من خارجها • وبهذه الغرفة ( مكرفون ) يجلس المغني والمغنية امامه بينما توزع جلسات العازفين على قدر صوت نغم آلتهم الموسيقية واهميتها واهمية الاغنية التي تغنى •

فالرقاق صاحب ( الدف ) وصاحب الطبلة ( الدنبك ) يجلسان في آخر الغرفة • وعازف الكمان هو الآخر بعيداً عن فوهة ( المكرفون ) وعازفا العود والقانون قريبان من المغني والمغنية • والى جوار هذه الغرفة غرفة اخرى توصل بينها وبين غرفة ( المكرفون ) اسلاك كهربائية • وفي هذه الغرفة يقف مهندس الصوت امام حاك مصنوع بطريقة فنية معينة وقد ركبت عليه اسطوانة من الشمع وعلى هذه الاسطوانة تدور ابرة حساسة فتنعش

الأصوات على الاسـطوانة !

ويجب ان تبدأ التعبئة ( بالبروفة ) التجربة العامة، ثم تجرب الاسطوانة الشخصية المملوءة على مسمع من المهندس والمدير الفني والمغني وتختـه لتلافي الاخطاء • ثم يجلس المغني أو المغنية وجماعة التخت في اماكنهم ومعهم مساعد مهندس الصوت • وأمام الجانبين مصابيح كهربائيـة احدهما ينـار بالضوء الابيض والاخر بالاحمر فاذا اراد مهندس الصوت ان يبدأ العمـل أدار زرا كهربائيا من غرفته فينار المصباح الأبيض في الغرفة الاخرى ثم يطفأ فيشير مساعده الى الموسيقيين بيديه طالباً اليهم الاستعداد ثـم ينار المصباح ألاحمر فيشير اليهم بالبـدء •

وملء الاسطوانة العادية يستغرق سبعة دقائق نصفها للوجه الاول مـن الاسطوانة والنصف الآخر للوجه الثاني • واذا مضت ثلاث دقائق أوقـد المصباح الابيض كانذار بالانتهاء • ثم يطفأ ويوقد مرة اخرى فيفهم من ذلك ان ابرة التسجيل قد اوقفت وانتهى العمل• وعلى أثر هذا العمل الفنى كانت لشركة ملء الاسطوانات ضجة عظيمة في بغداد وكانت يومذاك محط انظـار المغنين والموسيقيين يربحون منها المال القليل لقاء جهدهم ولا يدرون ان هذه الشركات كانت تربح اعظم ربح • وان اعلا اجر ناله لقاء تعبئة الاسطوانات هو مطرب العراق الكبير الاستاذ محمد القبانجي من شركة بيضافون فكان ذلك حافزاً لغيره الى المطالبة بالاجور الكبيرة •

اما غناء الاسطوانات التي تهافت على شرائها يومذاك فهي :

١ ــ **سودنوني هل نصـاره**

٢ ــ **ابنيه بنت البيت كصت شعرها**

٣ ــ **يا حلو يابو السـدارة**

٤ ــ **ابوذية نغم لامى مطلعها ( عون اللى گضه عمره بلا داى ) •**

هذه الاسطوانات التي راجت رواجا عظيما في جميع انحـاء العـراق والبلاد العربية وربحت الشركة منها ربحا كثيرا والسبب في ذلك هو حسـن صوت المطرب الكبير الاستاذ القبانجي الساحر الذي يستميل كـل قلـب ينبض •

# القيان في الدور الاخير

## سليمة مراد



بعد ان فرغت من بحث قيان الدور العباسي • والدور العثماني • وقد حباني الله تعالى من فضله وامتنانه قوة وجلداً رغم شيخوختي والمرض المزمن الذي لازمني استطعت ان اجمع ما تفرق في بطون الكتب التاريخية والادبية من احاديث وسير بصورة واضحة وقد تمكنت من اسماء القيان اللواتي حللن في بغداد بالعهد العثماني المحفوظة عندي من ذلك العهد •

واتماماً لهذا المصنف التاريخي رأيت من الأفضل ان اذكر من قيان الدور الاخير أشهرهن غناءً وأرفعهن مقاما وان اذكر لكل قينة منهن نبذة من تاريخ حياتها الفنية • وهؤلاء القيان نجوم الغناء البغدادي ان صح هذا التعبير واولهن المطربة سليمة مراد ، وقد اشتهرت بلقب ( سليمة باشا ) وظلت محافظة عليه لا تعرف الا به ، الى ان صدرت الحكومة العراقية بياناً بالغاء الرتب العثمانية فصارت تدعى سليمة مراد ، سليمة مغنية قديرة اخذت من الفن حظاً وافراً وصيتاً بعيداً فكانت فيه البلبلة الصداحة • والمطربة المؤنسة•

سليمة • فلتة من فلتات الفن امتازت عن سواها بقوة الحافظة والشعور الحي تفكر قبل ان تغني • وتغنى فتجيد ! وتضع المعاني في موضع الأنغام فتخرجها من اعماق قلبها مصحوبة بانات تستفز بها قلب السامع فيقبل اليها بكل جوارحه طائعاً ، فلا عجب اذا ما نبغت • ولا غرابة اذا ما انفردت في الغناء البغدادي فانها منه واليه •

سليمة • اصل من اصول الغناء دون اعتماد على معلم فهي فيه المعلمة

البارعة والاستاذة القديرة . وألغناء من ذاته موهبة واختراع واتتاج ألالحان جزء من الذوق والأحساس .

كانت سليمة . مولهة بالغناء من صغرها . ونشأت مغنية واحست بالميل الشديد الى الغناء الذي اصبح ديدنها ، وليس امامها من العوائق ما يحول بينها وبين تحقيق ميولها . فغنت وانشدت فكان لغنائها المحكم اثره في نفوس سامعيه . وكان بعضهم يتعشقه ولا يطيق الصبر بدونه .

سليمة . مغنية لا يشك في افضليتها في الغناء . ولا يوجد احد ان ينكر نبوغها فيه ، وكل موسيقي سواءاً كان مصرياً او سورياً يشهد بذلك .

في شخصية سليمة لباقة المحدثة البارعة ذات الخبرة بطباع الرجال . القديرة على اذلالهم لما فيها من الانوثة الكاملة . والجمال الفتان اللذان هما امضى سلاح لديها .

عرفت سليمة في الاناقة في الملبس والتجديد فيه كل يوم لهذا سافرت الى باريس لتطلع على ما تحويه معارض الأزياء وتنتخب ما يروق لها ، وفي يوم الثلاثاء ٣ تموز سنة ١٩٣٤م سافرت وقد ودعتها مجلة الفنون بعددها ١٧ والتي يصدرها مؤلف هذا الكتاب بمقال تحت عنوان ( بين الارض والسماء ) وهو :

لئن مسكت القلم اليوم فما اريد لأسطر خبراً سبقتني اليه ابنة الجو الى بلاد ( السين ) ولكن اسطره ككاتب يدون كتاباته ليحفظها له التاريخ وتتناقلها الأجيال القادمة . ولئن هتفت بذكر ( سليمة باشا ) فانما اهتف لاول مطربة عراقية تحلق في سماء الرافدين مشرفة على باسق الاشجار واعالي النخيل مطلة على زرقة دجلة ميممة وجهها مسقط رأس ( نابليون ) بلاد الحرية والأحرار ومهبط الفنون والفنانين .

لم تسفر شمس يوم الثلاثاء الماضي المؤرخ ٣ تموز سنة ١٩٣٢م عن وجه الصباح بعد ان صافحت فجر اليوم السابق مصافحة الوداع الا وحلت شمس الارض ضيفاً على شمس السماء في كبدالقبة الزرقاء حيث امتطت متن سفينة الهواء ورقاء الحي وعند لبية الزوراء ( السيدة سليمة باشا ) فكان اجتماع الشمسين بين الارض والسماء . خف بها الجناحان وتوسطا بها الاثير



سليمة مراد عند عودتها من باريس في زيها الجديد

الجو وكان السحاب يفسح لهما مجال المرور بين احشائه فتشق عبابه وهي تغنى انشودة العلاء يحدو بها امل رؤية بلاد الفن والجمال ( باريس ) فكانت اخف قلباً من محرك الطيارة وارق عاطفة من النسيم العليل الذي كان يداعب خصلتي شعر صدغيها وهما يلسعان خدها حتى تورم واحمر ، غيبها الجو عن اعين المشيعين الذين بكروا في الذهاب الى المطار لتوديع الورقاء الشجية التي كثيراً ما الهبت العاطفة بنار النغم الشجي وحركت اوتار القلوب بأغانيها العذاب . اغاني الحب والوجدان . اغاني الرقة وأغاني الهزار .

عاد المشيعون وحديثهم الدعاء الحار ( للسيدة سليمة ) بلبلة الروض بوصولها ( باريس ) قريرة العين جذلة الفؤاد متمنين لها السلامة والعودة وهي في اكمل صحة لتعيد على اسماع ابناء وطنها النغم الحي وموسيقى الجنان ، فالفنون تشاطر المشيعين بالتمنيات الحارة مبتغية عودة العندليب ليصدح على ايك الوطن ويسمع أبناءه حلاوة الالحان • وناهيك عما كانت تملكه سليمة من هيبة واحترام من محبيها وكانت اذا جلست جلوساً عاماً للغناء • فكأن الطير على رؤوس جلسائها •

سليمة اعجوبة الادباء ووحى الشعراء تغنى فتسمع منها صوتا شجيا تناجي به عشاق الطرب والعشاق تناجيها • فهي مطربة الغني والفقير • والعامل والفلاح فلا عجب اذا ما قلت فيها :

بين روض المنى وزهر الأماني — هتفت تبعث الشجى في الجنان
هي مثل الورقاء في ايكة الفن — تجيد التغريد في كل آن
ذات صوت ارق من نسمات الصبح — واشهى من خمر بنت الدنان
( معبّدي ) نادته اقدم فلبى — امرها طائعاً كطوع البنان
وانبرت من يراعة الفن تشدو — بغناء حوى جميع المعاني
نغمات من اثرها نغمات — اظهرتها كمائن الأشجان
تتباهى بصوتها حين يبدو — مستفيضاً بأبدع الألحان
جل من اودع المحاسن فيها — وحباها مزية الأتقان

ولشاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري في هذه المغنية عام ١٩٣٣م قصيدة مدهشة منها قوله :

العبي فالهوى لعب — وابعثي هزّة الطرب
مثلي دورك الجميـ — ـل كما يقتضي الأدب
احسني نقلة وان — تعبت هذه الركب
فعلى وقع خطوها — يتنزّى حشاً وجب
روحي هذه النفو — س فقد ملّها التعب
اجذبيها إلى الرضى — ادفعيها عن الغضب
كل هذا الهياج من — أجل مرآك والصخب

| | |
|---|---|
| ضارب العود ما درى | أيَّ اوتاره ضرب |
| اعذريه فانه | بشر مثلنا اضطرب |
| واقبلي القلب إنّه | لك من اضلعي وثب |
| نسب بيننا الهوى | فاحفظي حرمة النسب |
| أنت سلمى أجل من | أف عبد لألف رب |
| تتجلّى الهموم إذ | تتجلين والكرب |

واليك أشهر اغانيها بالشعر الفصيح هي :

١ ـ موشح لابن زهر الأندلسي مطلعه :

| | |
|---|---|
| ايها الساقي اليك المشتكى | قد دعوناك وان لم تسمع |

٢ ـ مقطوعة للبهاء زهير ، مطلعها :

| | |
|---|---|
| يعاهدني لا خانني ثم ينكث | وأحلف لا كلمته ثم احنث |

٣ ـ مقطوعة لابي نواس ، مطلعها :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب

٤ ـ مقطوعة للمؤلف (العلاف) مطلعها :

| | |
|---|---|
| لا استطيع العيش بعدك | يا من عليّ أطلت صدّك |

وأمّا اغانيها في الشعر الشعبي فهي :

١ ـ ذوب اوتفطر ٢ ـ مكدر اكولن آه ٣ ـ كلبك صخر جلمود ٤ ـ يا ويلي ركد حيلي ٥ ـ وين المروّة ٦ ـ منك يلسمر ٧ ـ هيّانه هيّانه ٨ ـ ويلي اشمصيبه ٩ ـ يحبابي يحبابي ١٠ ـ يا روحي ظلي نوحي ١١ ـ هوه البلاني ١٢ ـ اسكت يوليدي اسكت ١٣ ـ بيه الأمر صار اوجره ١٤ ـ من همي نحل جسمي ١٥ ـ حكم العشك ١٦ ـ يا نبعة الريحان ١٧ ـ خدري الچاي ١٨ ـ يا ساعة اشوف اهواى ١٩ ـ دار الهوى ٢٠ ـ الصورك ونشاك ٢١ ـ يحباب هل ليله عرس ٢٢ ـ أنا يا ناس ٢٣ ـ آه اه من الولف ٢٤ ـ يا دمعتي بين الجفون ٢٥ ـ تدري ابخبرنه ٢٦ ـ على شواطي دجلة مر ٢٧ ـ يا محرم العينين ٢٨ ـ يوم اعتنيني ٢٩ ـ يا لوعتي من شوك حبّي ٣٠ ـ يا ناس ليله بالعمر ٣١ ـ لبچي وفت بالروح ٣٢ ـ هل ليلة ونسه اوكيف ٣٣ ـ لاموني عذّالي ٣٤ ـ مليان كل كلبي حچي .

وتجد هذه الاغانى جميعها فى كتابي ( الاغانى والمغنيات )، في ملاهي بغداد من عام ١٩١٠ ـ ١٩٦٠م •

## منيرة الهوزوز



زهرة يانعة في حقل الفن • وقينة من قيان مدينة الخلفاء العباسيين ابدع الخالق صنعتها ووهبها صوتاً ملائكياً يفتن القلوب ويستهوى النفوس •

منيرة • مغنية قديرة ، ودرة وضاءة كونتها يد القدرة فاوجدتها على ضفاف الرافدين • فهي بنحر الفن عقده اللامع وجوهرته الثمينة • امنيرة مغنية مطربة بعيدة عن التقاليد لا تنزع نفسها للاطراء بذكرها والثناء عليها ولا تغتصب الشهرة اغتصاباً وتلصقها بها الصاقا رضيت بماوهبها الله من عذوبة الصوت ورقة العاطفة بفنها • فهي منيرة بكل معانيها وبكل مواهبها •

عاصرت منيرة سليمة مراد وان كانت سليمة السابقة لها في الغناء فانهما من نوع واحد فيه وانهما حملتا لواء الفن في زمن لم يكن لغيرهما من القيان صوت مسموع • وانهما ملأتا العراق غناءاً شعبياً اطرب نفوس هواته فسعوا اليه بكل تلهف وشوق •

منيرة • اول من غنت الاغنية الشعبية ( الهوزوز ) وكثيراً ما كانت تغنيها حتى شاعت والحقت باسمها فصار الناس يدعونها ( بمنيرة الهوزوز ) بدلاً من منيرة عبدالرحمن •

منيرة • مغنية طروبة ، وراقصة لعوبة في وقت واحد ورقصها العجيب كان فرحة للقلوب ومتعة للانظار ، وقد اعجب برقصها وغنائها الشاعر الأستاذ معروف الرصافي فقال فيها :

هل سمعتم منيرة مذ افاضت ... بديع الغناء في كل فن
قد اقرت برقصها كل عين ... واسترقت بصوتها كل اذن
رقصها يرقص القلوب على ان ... غناها عن المزامير يغني
هي ان اقبلت بثينة عطف ... اقبلت بالمهفهف المطمئن
وهي ان ادبرت بهزة ردف ... ادبرت بالمرجرج المرجحن
خلق الله صوتها العذب كيما ... يعرف الناس كيف حسن التغنّي
بنت فن غنت لنا فسقتنا ... من افانين لحنها بنت دن
سحرتنى مذا قبلت تثنى ... فكانى مذا قبلت لست منى

وأخيراً بعد ما يقارب النصف قرن لقيتها لقاءاً غير منتظر ، لقيتها وهي تتعثر باذيالها هاربة من الزمن العاتي بعد ان كانت ترفل في ثياب عزها وسعادتها • وتتبختر وتتيه عجباً بمشيتها ، لقيتها وقد نفذ صبرها واكل مقراض الدهر خيوط رجائها،لقيتها وألم الفاقة قد انشب اظفاره فيها ونسيت انها كانت تعبث بالذهب الوهاج ،وقد بدأت الاشتغال بالغناء عام ١٩٢٨م في ملهى الهلال ، واستمرت الى عام ١٩٤٠م •

لقيتها وقد ذهب نعيم السعادة عنها واصطلت بنيران الشقاء فلا خليل تبثه شكواها ، ولا انيس ينفس بلواها • تحن الى ماضيها حنين المحب الى لقاء حبيبه • وتشتاق اليه وتتلهف كتلهف الظمآن الى زلال الماء • وظلت قابعة بين جدران غرفة ضيقة تنبعث منها كلمة حزينة هي صدى يجيش به قلبها المعذب فسلام والف سلام على ماضي الفن ، وتحية والف تحية على صاحبة ذلك الفن منيرة عبدالرحمن •

واليك أشهر اغانيها بالشعر الفصيح وهي :

١ ـ مقطوعة للشاعر أبى نواس ، مطلعها :

نضت عنها القميص لصب ماء ... فورد خدها فرط الحياء

٢ـ مقطوعة لشاعر مجهول ، مطلعها :

يا مليح اللمى وحلو التثنّي ... وجميلاً جماله قد فتني

وأما اغانيها في الشعر الشعبي فهي :

١ـ يعيني الهوزوز ٢ـ طول الدهر يهواي ٣ـ كلما اسلّي الروح

٤ـ وين الوفه ٥ـ يكليبي سل او ذوب ٦ـ شيبت ونحلت ٧ـ من علة البحشاي ٨ـ كالولي ولفك راح ٩ـ ما ظل بعد للروح ١٠ـ مكدر اهدي الروح ١١ـ صاير عدوي اهواي ١٢ـ تجفي اوتصل لهواي ١٣ـ كتله اشعملت اوياك ١٤ـ عذبت حالي ١٥ـ مدري اودع الروح ١٦ـ يا ناس ما عندي صبر ١٧ـ خلاني ولفي اوراح ١٨ـ اشظلك بعد ويَّاي ١٩ـ يا نجمة بالليل ٢٠ـ كلي يا بعد روحي ٢١ـ يا حمام الدوح ٢٢ـ أجباب الاودهم ٢٣ـ ليش اتجور •

وتجد هذه الاغاني بنصوصها في كتابي ( الاغاني والمغنيات ) في ملاهي بغداد •

## سلطانة يوسف



سبيكة من ذهب الفن كلما وضعها الصقال على المحك زاد جوهرها توهجا ولمعاناً ••

سلطانة قينة استكملت فيها كل مواهب القيان حلاوة ورقة هذا ما كانت تفاخر به سلطانة • ولو انصف الناس لقالوا انها سلطانة الطرب •

كانت سلطانة تحسن الغناء منذ صغرها ولما نشأت لا تستطيع ان تجاهر بين اهلها وذويها • وكانت تجد متنفساً في غنائها عندما تغني سراً، وما زال هذا الحال يساورها فلم تستطع صبراً على التكتم فظهرت به على ملأ من الناس •

كانت سلطانة سمراء اللون ولونها لم يحل بينها وبين الأعجاب بها وكانت تكتنفها حياة غرامية غامضة تدفعها الى التغني بشوق وهيام • في سلطانة شيء واحد يلفت الأنظار اليها ويوقظ الرغبات فيها ؟ هو صوتها الذي دفعها

الى أن تحترف الغناء في حياة جديرة بالاطمئنان ولكن لم تظفر بشهرة واسعة وتهافت القلوب عليها كغيرها من القيان ! والسبب في ذلك هو عدم رغبتها في التبذل والخلاعة والغريب انها لم تكن لها اغاني خاصة بها الا ما قل وندر . وقد عشقت اغاني سليمة مراد واخذت تغنيها وتحكمها . ويكفيها فخراً انها مقلدة محسنة . وحسبها انها مستودع الاغاني الطيبة فضلاً عن غنائها لبعض المقامات العراقية الخفيفة .

وظلت سلطانة بحنجرتها القوية تنقل ما تسمع وتجيد ما تختاره من الاغانى بأمانة واخلاص جعلها ان تكون موضع الاعجاب والتقدير هكذا كانت سلطانة تلتقط خيرة الاغانى كالغواص الذي يلتقط اللؤلؤ اينما وجد . وبدأت الغناء تذيعه عام ١٩٢٧م بملهى سي اخيراً ( نزهة البدور ) بالقرب من سوق الهرج وانتهت بذهابها الى الموصل حيث استمرت تعمل بالملاهي هناك الى عام ١٩٥٧م .

واليك عناوين اغانيها في الشعر الشعبي وهي :

١ــ كل البله والمصايب ياخلك مني ٢ــ يل منحدر وياك خذني ٣ــ گلبي بات بالحسرات ٤ــ اتلوب الروح ٥ــ متكلي بعد چم دوب ٦ــ لحط ايدي إعله خدي ٧ــ يا طيور البل سمه ٨ــ يا ناس لتلومون ٩ــ زايد عويلي ١٠ــ عمدن لجي للدار ــ نواف ــ ١١ــ يللي شفتني ابچي اوعفتني ١٢ــ حسبالي تظل وياي المتالي ١٣ــ زايد عويلي ١٤ــ اشلون أصبر الروح ١٥ــ مني رده ما ظن بده ١٦ــ اتلوب الروح مناتنوح ١٧ــ خليني ابعذابي ١٨ــ كل بلايه من هوايه ١٩ــ يكفي الهجر يهواي ٢٠ــ عندي كلب حبه صعب ٢١ــ ايش ليش ٢٢ــ كلي وين رايح .

وقد اثبت نصوص هذه الاغانى في كتابي ( الاغاني والمغنيات ) في ملاهي بغـداد فى القرن العشرين .

# زكيـة جـورج



يحس من يقف على اخبارها انها كانت راقصة اولاً ومغنية ثانياً . وانها من القيان اللواتي وفدن الى بغداد عند تدفق القيـان اليها حينما اعلن الدستور العثماني .

زكية راقصة ومغنية كما قلنا والرقص والغناء هما جزء من تكوينها . وكلاهمـا حارب الآخر في نفسها وشعورها حتى تغلبت ناحية فن الغناء على فن الرقص فأصبحت مغنية لها مكانة مرموقة في عالم الأنـس والطرب . وراقصة اسدل عليها سـتار النسـيان .

نزحت زكية من مدينة حلب ومعها اختها التي تدعى عُلية جورج وقد عرفت اختها بجمالها الساحر وتناسق جسمها اللطيف . وخفـة روحهـا في الرقص . وكانت تعرف كيف ترضى من يقع في احبولتها ، وكيف تسـتطيع جلب اكبر عدد من المحبين لها .

اما زكية فقد وصفها احد المعجبين بها فقال :

انها تملك رقة وجاذبية وصوتاً يدخل في اعماق القلوب فيبعث فيهـا شجـى وغرامـاً .

لزكية سمعة خاصة بها وفي طبيعتها واساليب حياتها ما يوجب الأحاديث عنها ويطلق الالسنة فيها ، فمن قائل يقول انها اكبت على الغناء فحذقته تماماً وجعلته مورداً لمعيشتها . وآخر يقول ان نهضتها الغنائية وشهرتها فيها سببها معلمها الموسيقى صالح الكويتي . فلقد احبها واجهد نفسه في رفع مستواها الفنى ولولاه لم تكن مطربة ولم تعرف .

نعم . ان الكويتى اغرم في زكية وافرغ روحه الفنية فيها وغدا يبثـها حبه وهواه على لسان اوتار كمنجته فتتلقاه بقلب قينة شرود .

ان حب الكويتي لزكية لانزاع فيه • واما حبها له فهذا أمـر يحتاج في اثباته الى كثير من الأدلة التى لم نجد واحدة في قلبها • غير ان الذي لاشك فيه انها ما مالت بقلبها اليه كما هو • فهي وان لم تجد في نفسـها نـوازع الحب القوى نحوه • فلقد كانت تظهر له الحب المصطنع وعلى علم منه بذلك كان يرتاح اليـه •

الحب كالقدر ياتى على كل انسان • فلقد اتى واستولى على قـلب الكويتي فراح يسقي زكية من معين فنه حتى اصبحت مغنية • ولله في خلقه شؤون • وقد وردت الى بغداد عام ١٩٢٠م مع اختها عليه من حلب وبدأت تغني في بعض المقاهي آنذاك قبل تكوين الملاهي ثم عند افتتاح أول ملهـى أسسه ( صالح بطاط ) وذلك عام ١٩٢٦م وانتهت من العمل عند سفرها الى مسقط رأسها حلب عام ١٩٤٢م •

واليك عناويـن أغانيها في الشعر الشعبي وهي :

١ــ وين رايح وين ٢ــ تاذيني يولفي ليش تاذيني ٣ــ يهل خلك من شاف حبي وعرفه ٤ــ عل راح عل راح ٥ــ چاتلني همك ٦ــ أنا مـن كولن آه ٧ــ ظالم اهوايه صار ٨ــ اليوم فرحان الكلب •

وتجد نصوص هذه الاغانى فى موسوعتي ( الاغانى والمغنيات ) فى ملاهـي بغـداد •

# عفيفة اسكندر



هي قلب الجمال النابض . اودعت يد القدرة فيها اوصافاً بدنية وخلالاً نفسية . فهي لا تستطيع ان تخفى محاسنها بل تبدت وتجلت في اكمل جمال في نظر عشاق الجمال . جمال ساحر من صنع الخلاق لا صنع الحلاق لم تجد فيه شذوذاً ولا بعداً عن الحقيقة المجردة من كل تقليد وكل ما يشين . كانت اعز احلام عفيفة وامانيها ابان طفولتها ان تكون مغنية لا راقصة . والرقص الفني ( البيزنطي ) ترثه عن امها ( ماريكة دمترى ) ظلت عفيفة رغم صغرها والبيئة الصغيرة التي نشأت فيها تعلل نفسها بتلك الأماني العذاب حتى هيأ الله لها احد المشاهير الموسيقين فحدثته عن امانيها وما يلم بخاطرها . واستشف الرجل من حديثها رغبة قوية فيما تصبو اليه فقال لها بصدق واخلاص كوني راقصة تكونين مغنية فالرقص والغناء صنوان لا ينفك بعضهما عن بعض . ففكرت طويلاً وخالت ما يكون من امرها اذا هي احجمت ثم ما يكون اذا هي تراجعت ؟ وفي هذا التفكير العميق اختارت سبيل الرقص اولاً على حد قول الشاعر ( واول الغيث قطر ثم ينهمر ) وراحت تخترق كل العقبات التى تحول بينها وبين امانيها . فأخذ ذلك الرجل يرعاها ويذل قصارى جهده في تعليمها تعليماً فنياً محكما حتى نضجت وبدت علائم الفوز والنجاح تبدو على محياها . فاعانها مرشدها واستاذها فضمها الى ( ملهى الهلال ) واندفعت ترقص فكان لرقصها رنة استحسان مما شجعها على الاستمرار فيه كل ليلة . وما فتأت حتى انطلق صوتها من اعماق قلبها باغانى كانت شائعة يومذاك فاحسنت فيها واجادتها وظلت هكذا حتى اعتلت كرسي الاذاعة فراحت تنثر

درر اغانيها فتشنف آذان مستمعيها وكلهم آذان صاغية اليها،وفي هذا الاقبال والفوز المستمر التفتت الى ما ينظمه النظامون اليها من الشعر الشعبى فاستطاعت بفضل نباهتها ان تميز بين الغث والسمين وكانت تختار الذي يروق لها ويوافق ذوق ابناء الشعب وهذه بادرة طيبة قلما توجد عند بعض القيان اللواتي عاصرنها • ولما شعرت ان الشعر الشعبي لا يفي بمرامها ركنت الى الشعر الفصيح فاتخذت شعر البهاء زهير رائداً لها وراحت تغني به فكان نصيبها الفوز والنجاح •

ومن طبيعة عفيفة الفنية انها خلقت مغنية • وانها كالشمعة تحترق لتضيء الناس • وانية تمتلىء ليغترف اصدقاؤها من خيرها • وزهرة تتفتح لينتعش من حولها بأريجها • ومن طبيعتها ايضا خلقت لتغنى حياتها لاجل حياة غيرها • وتشقى لتوفر السعادة لاحبابها •

واهم شيء في طبيعتها انها تكره ان تنال شيئا مقابل ما تجود به • وقد شاءت طبيعتها ان يكون العطاء ديدنها وان كانت معسرة • هذه هي عفيفة فهل تراني انحرفت عن الحقيقة ؟ لست ادرى • بدأت الاشتغال بالملاهي عام ١٩٣٠م وأول ملهى عملت فيه ( الهلال ) وهي الى اليوم تكاد تكون في عالم الغناء كما بدأت من اعجاب الناس بها •

واليك اشهر اغانيها بالشعر الفصيح وهي :

| | |
|---|---|
| ١ــ يا عاقد الحاجبين | على الجبين اللجيني |
| ٢ــ قف واستمع دقات قلبي | خلا من غير قلب في هواك |
| ٣ــ قيل لي قد تبدلى | واسل عنه كما سلا |
| ٤ــ غبت عني افما الخبر | ما كذا بيننا اشتهر |

وأما اغانيها بالشعر الشعبي فهي :

١ــ اسم الله اسم الله ، امحصن بالله ٢ــ اكشف السله ٣ــ مريت على الباب ٤ــ هلك منعوك ٥ــ خطار احنه ٦ــ ويالك ما أحلى السمر ٧ــ تدري بالكلب تدري ٨ــ كلب كلب فدوه كلب ٩ــ جوز منهم لا تعاتبهم وقد لحنها الاستاذ رضا علي •



عفيفة اسكندر عند ذهابها للاذاعة

وقد ثبت نصوص هذه الاغانـي في كتابي ( الاغاني والمغنيات ) فـي ملاهي بغداد ١٩١٠ـ١٩٦٠ م

## زهـور حسـين



عرف عنها انها فارسية الأصل • وتدعى زهرة • عشقت الغناء وهامت به وهي فتاة صغيرة وقد حباها الله تعالى صوتا جميـلا وحنجرة قوية اشتهرت بهما يوم كانت تغشى حفلات الاعراس النسائية كهاوية • والهاوي لابد وان يندفع الى الغناء من تلقاء نفسه ، وبغنائها العذب الطبيعي وصوتها الشـجي اخذ الناس يدعونها ( بزهور ) تحببا لهـا واعتزازا بها،ولما شعرت انها نضجت وتكاملت وان الانظار متجهة نحوها جعلت الغناء لها مهنة وصارت تدعى الى الاعراس لقاء اجرة زهيدة وصارت تجـول في الحفلات كمغنية ، ومـن المعلوم ان التي تعيش هكذا لابد وأن تتطلع اليها الانظار وتشتهيها الرغبات ، لاسيما وانها عرفـت بالتغلب النفسي مما جعلها ان تتيه في دياجير الحب والغرام ، ولا اظـن ان سعي زهور وراء طلب العيش بالغناء هو الذي دفعها الى الاستهانة بنفسها ، ولكن الغريزة الكامنة فيها كانت تجعل الناس يتصارعون بما فيهم من تشوق اليهـا ورغبة فيها •

زهور • مغنية مكشوفة النفس، تملك من التغنج ما تفتن به كل عاشق لها ، وفوق كل ذلك انها تجيد فن الأغراء وهو سلاحها الوحيد الذي انتصرت فيـه على الرجل •

لزهور قلب وجسم • والرجل لديها رجلان احدهما لقلبها والآخـر لجسمها ، والاول هو الذي قادها الى حتفها ، ما كانت زهور تذكر الفقـر المدقع الذي كان مستحوذاً عليها حينما تشاهد القصور التي تمتلكـها ! ولا

تمر ببالها الليالى الطوال المفعمة بالسغب والحرمان عندما يقع نظرها على المائدة التي تزخر بالأطعمة الشهية والشراب اللذيذ !

كانت زهور تختال تيهاً وعجباً كلما تشاهد ازدحام الناس بباب دار الاذاعة العراقية ينتظرون مشاهدتها عندما تدخل اليها او تخرج منها .

ظل صوت زهور يدوّي في دار الاذاعة وجسمها النحيف يتلوى فوق خشبة المسرح في الملهى حتى اكثر عشاقها ومحبوها ، وتجاه هذه الزمرة الطائشة رسمت لنفسها خطة واضحة كانت فيها القينة المحترفة تتجلى فيها نزعة لا تفرق عن نزعات القيان اللواتي يعرفن كيف يجذبن اليهن اكبر عدد من المعجبين بهن ، وقد استطاعت زهور ان تختار من بين المعجبين بها شاباً جميلاً قد استهوته فمال ، واغرته فاجاب :

فوقع كل واحد في شباك الآخر ، وكانت لا تستطيع فراقه ولا يصفى العيش الا بجانبه . ولا تقع عينها الا عليه ، ولا ترى في الحياة مخلوقاً سواه ! ولكن الاقدار قد حالت بينهما فسجن عشيقها في الحلة احدى المدن القريبة من بغداد ، وظل في سجنه يعاني آلام الفراق ولوعة الحب ، وقد احتار لفقدان تماسكه ولا يفتح عينه الا على خيالها ولا ينظر الدنيا الا على اشراق وجهها،ولما علمت انه رهين السجن هامت على وجهها كالمجنونة وذهبت اليه لتتزود منه نظرة تشفي غليلها . وفي الطريق فاجأتها المنية وهي راكبة في السيارة ومعها اختها تدعى فاطمة على أثر حادثة اصطدام فكانت ضحية حب ذلك الحبيب السجين . بدأت الغناء في الملاهي عام ١٩٣٨م فكان أول ملهى اشتغلت فيه الفارابي .

واليك أشهر اغانيها بالشعر الفصيح هي :

١ـ مقطوعة للشاعر الآحوص تغنيها بنغم الدشت ، مطلعها :

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

٢ـ مقطوعة للشاعر الفقيه السيد محمد سعيد الحبوبي ، مطلعها :

لح كوكبا وامشي غصناً والتفت ريما فان عداك اسمها لم تعدك السيما

وأما اغانيها فى الشعر الشعبي فهي :

١ـ ولفي أخذ روحي اوشرد ٢ـ كالولي تسلّه ٣ـ ظلام ماعدكم رحم

٤ـ يكلون محبوب الكلب ٥ـ يللي لمت أهل الهوى ٦ـ سيل يا دمعي دسيل ٧ـ مسكين يل طحت ابتعب ٨ـ آه من هذا الوكت ٩ـ بالدنيه ما تم لي أمل ١٠ـ تعالي لي بيمه •

وقد اثبتنا نصوص اغانيها في كتابنا ( الاغاني والمغنيات ) في ملاهي بغداد من عام ١٩١٠ ـ ١٩٦٠ م

## صديقة الملاية



عرفتها فتاة جويرية كساها الجمال حلة بديعة اعتز بها نساجها فغدت ترنو الى الدنيا بعين ملؤها الأمل ، وتستقبل الحياة بوجه ضاحك الاسارير • كان اسمها ( فرجة ) بنت عباس ثم تسمت بـ صديقة تحلم بخبية الحياة ونعيمها ، وتنتظر السعادة وخيراتها لتعيش فيها عيشة الفنانة الموهوبة، ولم تدر ما اضمر لها الدهر العاتي ، فانفردت بشخصية ممتازة بين اترابها ( بنات المحلة ) بصوتها الرنان الذي حسدنها عليه ، والحسد غريزة في الانسان من قبل وكانت الفتوة التي منحها الله اياها تملأ بيتها غبطة وسروراً • وصوتها الشجي تضيق به فسحة الدار •ولما نضجت وكملت انوثتها ، انضمت الى مجالس التعازى الحسينية النسائية فكانت ناراً على علم فقلبت هذه المهنة على اسمها وراحت تدعى بـ ( صديقة الملاية ) والملاية مغنية صداحة مؤثرة قوية التعبير على الرغم من احتفاظها بنبراتها الأنوثية ، عاشت الملاية عيشة ترف في ظل امها لم تنزلق الى مأثمة، ولم تنزع الى ريبة• ولكن القدر المحتوم دفعها الى سورة الملاهى فكانت بها المغنية الطروبة • ولامر ما يمكن تعبيره في هذه العجالة تركت الملهى مرغمة ونفسها تنزع اليه، ولا يغرب عن البال ان صديقة الملاية المت بجميع الاغانى العراقية القديمة فلم

تغادر منها كبيرة ولا صغيرة إلا احاطت بها علماً ، فضلاً عن بعض المقامات العراقية الخفيفة ، وظلت روحها الفنية تتوق الى ما كانت عليه في دنيا الملاهي حتى ترددت حالتها الصحية والاقتصادية . فقبعت في دارها وقد اسدل عليها ستار النسيان ، واخيراً اصبحت اليوم تقيم في غرفة ضيقة لم تتوفر فيها الراحة والأستقرار وقد ضاقت بعينها الدنيا ، ولو لم تنعم عليها دار الاذاعة العراقية بما يسد رمقها لاضطرت الى التسول ، والتسول تأباه نفسها الأبية وقد بدأت تجهر بالغناء عام ١٩١٨م وفي حوالى عام ١٩٢٦م تركت الملهى واقتصرت على تسجيل الاسطوانات ودار الاذاعة عند تأسيسها .

واليك عناوين اغانيها الشعبية وهي :

١ـ على جسر المسيب سيبوني ٢ـ يصياد السمج ٣ـ أفندي لا يفندي ٤ـ لنخاك يل كاظم ٥ـ للناصرية ٦ـ ام اجناغ ٧ـ ابنيه يا بنيه ٨ـ محمد بويه محمد ٩ـ امطبر يگليبي امطبر ١٠ـ يادشر يالله ١١ـ جواد جواد مسيبي ١٢ـ عبود إجه امن النجف ١٣ـ افراگهم بچاني ١٤ـ وعله جبين الترف لو گي يمگرونه ١٥ـ ربيتك ازغيرون حسن ١٦ـ يا خشوف عل الچريه ١٧ـ اشبان مني ذنب يعينوني ١٨ـ يا حلو خلها ولك ١٩ـ اعليك يا بويه ٢٠ـ من العمارة للكوت .

وتجد نصوص هذه الاغاني في كتابي ( الاغاني والمغنيات في ملاهي بغداد من عام ١٩١٠ـ١٩٦٠م .

# جليلة ام سـامي



بدأت الغناء في مقهى زكي بن عزاوي واخيراً اطلق عليه أسم اوتيل ( المنير ) وذلك عام ١٩٢١م وبقيت الى عام ١٩٣٢م يقال في المثل السائر ( يوجد في الاسقاط ما لا يوجد في الاسفاط )[1] ومن العجب ان يعثر على جوهرة الغناء العراقي القديم في بعض المواخير المكتضة باللهو والعبث .

جليلة ام سامي : مغنية الغنــاء العراقي القديم من فصيلة التراث الشعبي وهي في حسنها الباهر شبيهة بالغزال في نظر فاتن ، وسر كامن تغنى فتحرك كل قلب سـاكن .

التحقت بالملهى بعد ان نبذت خلفها الماضي الأسود نبذ النواة وجلست على كرسي الملهى بكل جدارة واستحقاق ، وراحت تغنى الغنــاء الريفـي الذي ابعد عن مسامع الناس كالنابل والتطويح والنعى ، وبهذا شـاع صيتها ولمع نجمها فتلقفتها ايدي شركات تسجيل الغناء وسجلت لها بعض الاغانى .

لام سامي روح حساسة فيها ظاهرة غريبة في حياتها الاولى ، لم تألفها الجواري الخليعات اللواتي كن معها ، فلقد كانت تمقت حياة اللهو والعبث، ولا تستريح الى ما هي عليه .

لام سامي ماضي يزخر بالآثام لا ينفك يقرعها وينغص عيشـها ، وليس لديها شيء تجاهه غير الصبر والدموع الغزار ، وتجـاه صبرها وبكائهـا ، حباها الله من عفوه واحسانه موجة عنيفة من التوبة ، اجتاحت آثامهـا فأخلصت لربها ، وانبرت تعيش في كنف زوج شريف ، اخلص لها واخلصت له ، وأقامها في بيت منعزل عن ضوضاء بغداد ، وبهذا حصلت ام سـامي على طابع جديد في بيتها الجديد ، وبه لازمت الحشمة والوقار في كـل

---

(١) جمع سفط وهو ما يخبأبه الطيب والجواهر الثمينةونحـوها .

متطلبات حياتها ، فاتخذها زوجها المخلص نديمة له وسميرة للياليه فكانت خير نديمة واحسن سمير ، وقد حجبها زوجها عن الناس ، فلزمت بيتها عاكفة على اطاعة زوجها ، وكانت فيه التقية المؤمنة باحكام القدر ، واذا ما خرجت من دارها لشراء بعض اللوازم النسائية تحجب فتنتها التي عرفت بها وترجع بسلام الى بيتها ، واستمرت هكذا طيلة حياتها راضية مرضية ، شاكرة بها على ما انعم عليها بالعفو والغفران حتى وافاها اجلها المحتوم •

واليك عناوين اغانيها الشعبية وهي :

١ـ اندهي للولد ندهيه ٢ـ لاناشد القبطان ٣ـ چنهم لگو يا ناس ٤ـ بيا بشن انجا كيفك اشلونه ٥ـ ابدرب المـاي ٦ـ نذرن علي ٧ـ ون يا گلب ون ٨ـ يا حلو يابـو السداره ٩ـ افراگهم بچـاني ١٠ـ يا شط عسنك ١١ـ يوليد اترك زعلتك ١٢ـ حمل الريل اوشال ١٣ـ بدموع لسجي الخزعليه ١٤ـ خنجر وسرد الروح •

وقد اثبتنا نصوص هذه الاغاني في كتابنا ( الاغاني والمغنيـات ) في ملاهي بغـداد من عام ١٩١٠ ـ ١٩٦٠م •

## بدريـة أنـور

مغنية عراقية قلما يجود الزمان بمثلها



كانت تملك صوتاً رخيماً وجمالا فتانا ابدع الخالق تصويره وجعلها تتيه بهما عجبا وافتخارا • كانت بدرية تسيطر على الاغاني العراقية القديمة تسيطرا عجيبا ما سبقها اليها احد من المغنيات اللواتي عاصرنها • وكنت اسمع عنها انها نادرة من النوادر في غنائها ، ورغما على بحثي وتتبعاتي للغناء العراقي القديم واصحابه ومنتجيه لم اعرف عن بدرية شيئاً الا ما عرفته اخيرا يوم دعتها شركة ( جرامفون ) لتسجيل بعض

اغانيها ولما سمعت صوتها استفزتني نبراتـه وعجبت له فاشرت على مدير الشركة صديقي المستر ( جين ) ان يعتز بهذه المغنية فأن لها شأن واي شأن فرغب بها وازدادت رغبته في غنائها القـديم . ولكن المدرب في الشـركة اليهودي عزوري العواد ابت نفسه الخبيثة ان يفسح المجال لها في تسـجيل اغانيها القديمة حرصا على عدم رواج اغانيه التي اعدها للشركة ولم تسجل من اغانيها سوى قطعة واحدة وهي ( النعى ) الذي حـذت حذوه جليلة ام سـامي .

ومن طريف ما حصل لبدرية انور في أول حياتها الفنية انها اتفقت مع صاحب ملهى ( نزهة البدور ) عام ١٩٢٨ م ان تشتغل بملهاه بصفتها مغنيـة لا راقصة وان تجلس في المسرح للغناء وهـي ترتدي العباءة البغدادية ومـا كان من صاحب الملهى الا الرضوخ لما عرضته . ولما ظهرت هتف لها الرواد هتافا مستمرا لأنها اول مغنية عراقية تظهر في المسرح بالعباءة وعلى اثر ذلك نظمت لها اغنية ( ام العباية ) التي اشتهرت في العراق وسورية . وفي الوقت نفسه لحنت من قبل الشركة وسجلت باسطوانة لازلنا نسمعها بصـوتها الساحر ، ولم تبق طويلاً في الملهى فاعتزلت بالعام نفسه .

وبعد كل هذا ماتت بدرية انور ودفنت معها اغانيها القديمة ومن المعلوم ان دفائن الكنوز تحت الارض قد يعثر عليها يوما ما ولكن كنـوز الانتـاج العقلي تذهب مع اصحابه وتدفن معهم فليس لها عودة إلى آخر الدهر .

## النهايـــة

بعد ان تحقق اختياري لبعض القيان الشهيرات في بغداد وعساني وفقت الى هذا الاختيار . اما باقي القيان اللواتي غصت بهن ملاهي بغـداد عـلى سعتها في هذا الدور وهو الدور الاخير في كتابنا هذا . فلقد أشتهرت كـل واحدة منهن بالغناء وخاصة بالرقص حسب اقتدارها الفني . والرقص فـن قديم وهو تعبير لا باللسان ولا بالقول وانما خاص بالجسم والحركات المتزنة المتناسقة . وهو تعبير عن شعور قوى يخالج الجسم وقد يزداد حتى يصبح نوعا من النشوة الجنونية :

فالراقصة أو الراقص دائمـا يحافظا على وحدة موسيقية في رقصـهما سواء كان الرقص على نغم آلة موسيقية او طبلا مصحوبا بمزمار ، وبعض الراقصات اليوم قد تفنن وابتكرن انواعا وأشكالا مختلفة الفنـون • وكل فن فيمعارض القول سر من اسرار البيان يتصل بالنفوس ويستفز الوجدانيات بالانفعال وليس هذا بمقصور على اللغة الفصحى وحدها وانما هـو كذلك في الشعر الشعبي الدارج في طريق التعبير بالعامية • وانك لتجد في الاغـاني الملحنة البارعة التي تهز مشاعرك والعبارات الطيبة التي تزيد طربك والأغنية المؤثرة يجري بها الصوت الشجي بأي نغم كان في اعمـاق القلوب • فالمغني بهذه الاغاني يفصح عما في نفسه من شدة ومن حالة البعد وألم الفراق • نجد هذا كله في الاغاني الشعبية • ونجد الى جانبها صـورة للبيئـة الشعبية في مجتمعنا يتجلى فيها كثير من نوازع هذه البيئة واتجاهاتها • فالاغـانى تدور في موضوعاتها ومعانيها على اظهار العواطف واثارتها سـواء في الضرب على وتر التغزل أو الحنين والبكاء وبث العتاب أو بترديد ادوار العشق والغرام • الى تلك المعاني التي توجد الصدى والتجاوب في نفوس السامعين وفي كل هذا يجد السامع لها الوانا من الاسى والحزن العميق والوانا أخرى من الانس والطرب

وهذه الاغاني الدارجة من أهم فنون ( الفولكلور ) الـذي يعنـى الباحثون بدراسته ودلائله •

وبالاخير ان الطريقة في نظم الاغاني الشعبية تعتبر طريقة فريدة في بابها وفنا من فنون الشعر قائما بذاته وانها لتدل على حاسة فنية دقيقة عند اولئك الشعراء الذين آثروا هذه الطريقة وساروا عليها وذلك لأنهم آثروا الاوزان التي تنسجم مع الغناء والتي تسير مطاوعة لينة مـع التطريب بالنغم • وقـد يوردون الاغنية على روى واحد ولكنهم في الغالب يؤثرون ان تكون ادوارا متعددة تجمع بينها وحدة القافية في آخر كل دور ثم يلتزمون ربط كل دور بسابقه • وهذا التصنيع يزيد الاداء طلاوة وحلاوة ويثير عند السامع كوامن الانفعالات والارتياح ولا باس من ذكر القيان اللواتي دأبن على غناء الاغاني الشعبية مصحوبة برقصهن في الملاهي وغيرها وهذه اسماؤهن حسب حروف المعجـــم •

# بدريـة احمـد



فتاة بغدادية الأصل، عشقت الغنـاء في أول نشأتها ، واستهواها فن الرقص مما حداها أن تتولع به فتحيط بجميع عناصره وتشمخ بعـد مزاولته لـه ، وتستعلي على جميع قيان بغـداد اللاتي اتقن هذا الفن • ولقد ذاع صيتها في ذلك مما دعا الراقصة الشهيرة ( ثريا المصرية ) عند حضورها بغـداد تخصيص وقت لمشاهدتها وبعـد ان شاهدتها اعجبت بها كل الأعجاب واقرت لها بالتفوق عليها وعلى غيرها • وبقيـت في شموخها من بدأ عملها في ( ملهى الهلال ) وتنقلها الـى مختلف الملاهـي بمسابقة اصحابها عليها الى ان اعتزلت الرقص واستقرت في بيت لها مع امهـا واختها • وقد أعجبت بالأغنية التي كانت تكثر من روايتها ( الگلب مـن فرگاك سل أوغده انحيل ) •

## بدريــة علــي



فتاة بغدادية الأصل، هويت الغناء لحسن صوتها وعذوبته ، وتأثرت بغناء المطرب الشهير حضيري ابو عزيز حتى أدى إلى أن تعرف بـ ( بدرية حضيري ) بدأت العمل في البصرة عام ١٩٤٠ م بملهى ( النصر ) وتنقلت منه الى عدة ملاهي وأخيراً اشتهرت هناك مما دعا أن يستقدمها بعض ارباب الملاهي ببغداد فاشتغلت بملهى الفارابي ونالت اعجاب الرواد والمشاهدين وأسرت كثيراً من القلوب والعقول ، ثم انتقلت الى البصرة بناءً على طلب البصريين هناك وظلت تشتغل فيها الى ان اعتزلت الغناء وذلك عام ١٩٤٧م. وكانت تتذوق الأغنية المعجبة بها ( كلما اريد ذاك ابعيد ) .

## بديعة جمال



فتاة من جنوب العراق ، تبنتها امرأة تعرف بـ ( ام الحليب ) وقد نزحت بها الى بغداد عام ١٩٤٤م وجمالها ورقة صوتها اخذت تشتغل في ملهى الجواهري ، فنالت اعجاب الرواد والمشاهدين لها ، ثم تنقلت في عدة ملاهي اخرى ، وهي موضع عناية الهواة لهذه الفنون ، واحترام اصحاب الملاهي لها لمكانتها في نفوس الناس . وفجأة اخذتها (ام الحليب) وذهبت بها إلى البصرة حيث انقطعت اخبارها .

# بهيجة منصور



فتاة مسيحية بغدادية ، نشأت في بغداد حيث اللطافة في الجو والغناء ، ولرقتها تأثرت بسماع الاصوات المنعشة من قيان بغداد المتقدمات عليها في الزمن أمثال بدرية احمد ، وزهور حسين ، وصبرية حسين وغيرهن • وأول عمل زاولته في ملهى الفارابي عام ١٩٤٢م وبقيت فيه مدة كانت محل اعجاب الهواة والزائرين ، ثم طلبت الى مدينة العمارة حيث اشتغلت في (ملهى الكحلاء) ونجحت فيه كل النجاح، وبعد عام عشقها هواة البصرة فانتقلت اليها حيث اشتغلت بملهى النصر وغيره ، واخيرا اعتزلت الغناء • وعرفت باغنيتها ( اهلا أهلا مرحبتين ) •

# خديجة علي



فتاة موصلية نزحت الى بغداد، وقد امتلأت انوثة ورقة،ودلالاً وجمالاً، وقد صاحبتها امها حيث فتحت لها ملهى ( نزهت البدور ) عام ١٩٣٤م بعد ان تخلى عنه ابراهيم السواس ، وهو يقع في سوق الميدان في الرصافة، وقد اختلف عليه الهواة والمعجبون بشخص ابنتها وكثر الزائرون عليه لوجود عناصر الترفيه فيه، وكانت تتمتع بصوت رخيم معجب ومدهش ، وعلى ضوء ذلك وسعت هذا الملهى وانتقلت به الى البـاب الشرقي حيث اسمته (ملهى الشرق) وانتسب له جمع من المغنيات من بينهن ( زهور حسين ) في أول نشأتها وذلك عام ١٩٤٢م وبعد وفاة امهـا تزوجت مـــن شخص وسع عليها الراحة والرفـاه .

## راجحـــة عبدالسيد



فتاة من عرب الفرات ، ومن بيت معروف في الرقة والحب ، حلّت ببغداد في دار المغنيـة ( صـبرية حسين ) وتأثرت بغنائهـا وفنّها ، وساعدها على ذلك عشاق جمالها وصـوتها فنمى فيها هـذه الـروح وصارت تفتك في الانفس حيث هام فيها مجموعة من شعراء الفصحى فامتلأت دواوينهم بها ومنهم الشاعر المعروف حافظ جميـل ، فقد قال فيها الشعر بحرارة نشر بعضه في ديوانـه ( نبض الوجدان ) ص٢١٩ ومن قوله فيهـا :

( رجحـان ) يا امنيتـي … يا مهجتـي يا كبـدي
قـرح جفنـّي تجنيـ … ـك وأضنى جسـدي
مَن ضـامن ردّ فـؤا … دي منك إن لم تعـدي
ردي فـؤاداً شـارداً … أفلت من بين يـدي
( رحجان ) يا اغرودتي … ويا نشـيد المنشـد
يا صـيحة البلبـل إن … غنّى وسجع الهدهـد
ويا شـذا الايكـة ذا … ت الطـل ذات الميـد
اشـهدتك الله عـلى … عظم مصابي فاشـهدي

كما اعجب بها شعراء العامية فقال احدهم فيها :

رجحان الحسن ناديت　　　عدمن وين يتوجد

گالو راجحه ابغداد　　　مثلها لا تظن أحد

شاركت في العمل بملهى ( الفارابي ) عام ١٩٤٢م حيث كانت تجيد فني الرقص والغناء ، وكان زعماء الفرات ودجلة يسهرون على مشاهدة لياليها الاخاذة المشرقة .

■★■

## زكية محاسن



فتاة يقال عنها انها صابئية الاصل ، نشأت في لواء الناصرية حيث يعيش الصابئة على شواطىء الانهر هناك ، وحيث الطبيعة الساحرة التي تخلق الحناجر الصافية ، وكما هو معروف عن هذه الطائفة أنها تحب الطرب وتحرص عليه فقد زاولت فنّي الرقص والغناء بصوتها المعروف بالرقة والانوثة الساحرة ، وتردد صداها الى بغداد حيث شاركت في العمل بملهى الفارابي فهيمنت على احاسيس المشاهدين وكثر عشاق فنها الذين لازموا مشاهدتها كل ليلة . وبدأت العمل عام ٤٦ ــ ١٩٥٥م . وقد اشتهرت بغنائها للبسته ( يل ولد ويلاه ) .

........

# رسمية عبدالرحمن

**نشأت في البصرة**
وهناك مارست الغناء حيث صقلها هواة هذا الفن وأثر على مزاجها الغنائي حتى تردد صداها الى بغداد مما دعى صاحب ملهى الفارابي أن يستقدمها للمشاركة في الترفيه لآذان المشاهدين وقد لاقت اعجابهم وتمركزت في نفوسهم وتردد صداها في مختلف البلدان فقصد المعظم هذا الملهى لسماع صوتها الرخيم وانغامها العذبة ، وحركاتها الفنية ،وعادت بعد ذلك الى البصرة



حيث واصلت الغناء بالحاح من البصريين • وبدأت العمل عام ١٩٤٢ــ١٩٤٨م والآن تعيش هناك •

# سليمة دجلة



فتاة يهودية فاتنة، نزحت من الشمال الى بغداد عام ١٩٤٠م مع ابيها وامها وكانت تجيد فني الغناء والرقص فاشتغلت في ملهى ( دجلة ) ولكثرة بقائها فيه سميت ( سليمة دجلة )، ثم انتقلت الى ملهى الفارابي وبقيت مدة كانت مثار أعجاب هواة هذين الفنين ، ولعبت دوراً مهماً في امتلاك الارواح والنفوس ، واخيراً علمت بانها حنت الى أصلها الوخيم فاسقطت جنسيتها ولحقت باسرائيل وقد اشتهرت بغنائها للبسته العراقية الشهيرة ( خدري الچاي خدري ) ٠

# سـليمة العراقية



فتـاة بغداديـة ، حافظت على اخفـاء اسم أبيها وأنفت ان تخلق لها اسماً رمزيا ، فاذا ما سئلت عن اسم ابيها تقول : انا عراقية، فسميت بذلـك . اشتغلت في ملهـى ( الفارابي ) عام ١٩٤٥م واستمرت تتنقـل في مختلف الملاهي فكثـر المعجبون بصـوتها وغنائها لدلالها ومرحها وحسـن غنجهـا ، صاحبت المغنية المعروفة ( فوزيـة چچـان ) والتقطت كثيرا مـن فنها واغانيها ، وتأثرت بحركاتها وسكناتها ، وكانت في سيرتها موضع أعجاب زميلاتها اللاتي يحسدنها على ما تقوم به من أدوار ترفيهية مرحه حيث هـام بحبها كثير من الذوات المحترمين وبقيت على ذلك الى عام ١٩٥٤م واعتزلت الغنـاء .

# شكيبة بحر



فتاة بصرية الأصل اشتغلت بملاهي البصرة حيث نالت اعجاب المشاهدين هناك ، لتوفر عناصر الذوق عندها من كمال وجمال، وفتنة ودلال . وبذلك تردد صداها الى بغداد فاستهواها ارباب الملاهي هنا وجاءت فاشتغلت بملهى الفارابي عام ١٩٤٥ ولم تبق إلا مدة قليلة حتى طلبت من قبل ملاهي البصرة بالرجوع اليها ، واستمرت الى عام ١٩٥٤م واخيرا اعتزلت الغناء .

# شكيبة صالح



فتاة يهودية من بغداد ، من اجمل القينات اللاتي شاركن في فني الرقص والغناء والعمل في ملهى الفارابي عام ١٩٤٢م وقد سحرت بصوتها الرخيم وحركاتها الفنية العقول النيرة ، والذوات المحترمة ، وكانت تجيد المنلوجات والطقاطيق ، وكانت الشخصيات السياسية انذاك تهوى الجلوس الى جنبها لملاحة حديثها وغنجها .

وبالاخير اعتزلت الغناء وسكنت في محلة الميدان قرب باب المعظم حيث صارت تتعاطى المراهنة للعقار في الطابو وعاشت برفاه تاركة وراءها الليالي الحمراء .

## صبرية حسين



فتاة ايرانية الأصل ، بارعة في الحسن والجمال كفلتها امها بعد وفاة ابيها ، فاعتنت بصحتها وبتربيتها في مطلع شبابها ومالت الى سماع الغناء وتأثرت به والاكثار من انشاده ، ولصوتها الرخيم استمالها بعض عشاق الاصوات الجميلة الى الغناء والرقص لما لها من حسن القوام والرشاقة ، فشاركت في ( ملهى دار السلام ) الذي سمي اخيراً بملهى (دجلة) وأول اغنية غنتها ( اتنه الروح ، والريه ، او كل الناس عاريه ).

گلبي من تواضع بيك تدري صافي النيه

فكانت بذلك موضع اعجاب المشاهدين والهواة لهذا الفن ، فسمت في نفوسهم وحلت في افئدة أكابر الشخصيات آنذاك ، وعلى أثر هذه الأغنية اتصل بها مؤلف الكتاب وظل يرعاها لمدة تزيد على العشر سنوات ، حتى اصبحت ذات ثروة وعقار ؟ وتنقلت في عدة ملاهي واشتغلت بملهى الفارابي والجواهري ، وبقيت الى عام ١٩٤٨م تمارس الغناء بكل جدارة وتفوق ناسية وراءها من ساهم في تكوين وصقل مواهبها الغنائية ، وايجاد الثراء لها عن طريق ذلك وقد تركت العمل حيث تزوجت بمن احبها والآن تعيش في بيته .

# صبيحة ابراهيم



فتاة من جنوب العراق ، نزحت الى بغداد وهي صغيرة مع امها واختها ، ونزلوا في محلة الميدان ، وقد وجهتها أمها لاستماع الاغاني من دار الاذاعة والاسطوانات المسجلة، وحفظت كثيراً من الاغاني المصرية والسورية ، وكانت تتمتع بصوت رخيم جميل ، وآنذاك دفعت بها الى الغناء في الملاهي ، وأول ما عملت في ملهى ( الف ليلة ) وقد طبلوا وزمروا لصوتهابواسطة الاعلانات والدعايات المسرحية ، وبذلك نجحت نجاحا باهراً ، ثم استقدمتها دار الاذاعة العراقية آنذاك في عام ١٩٤٥م فأنس المستمعون لاغانيها وصوتها ، وللآن تستمع تسجيلات أغانيها من دار الاذاعة . واخيراً اعتزلت الغناء وتزوجت واستقرت في بيتها .

## صبيحة دجلة

فتاة نزحت من الشمال مع اختها ( سليمة دجلة ) ولقبت بلقب اختها كما نوهنا آنفاً ، استطاعت ان تخلب الباب عشاق الطرب بما رزقت من جمال ودلال ، ورقة شمائل ، وحسن مخايل، واشتغلت في أول مزاولتها لهذا الفن في ملهى (الاوپرا) عام١٩٣٥ فكانت موضع حشمة واحترام رب الملهى وبقيت ملازمة لاختها مدة طويلة برعت في الرقص حتى استولت به على مجموعة من الذوات ، وعندما



تردد صداها خطب ودها صاحب ملهى ( الفارابي ) فتعاقد معها على الاشتغال عنده وكثر رواده من المعجبين بها ، وكانت تميل الى غناء ( المنلوجات ) ألاجتماعية والغزلية ، وفي كل ذلك كانت تخفف الآم مستمعيها بما تفيض من روح مرح ، وبقيت على ذلك الى عام ١٩٤٧م جيث اختفت من المسرح •

# صبيحة سالم



فتاة بغدادية الاصل ، حبيت جمالاً ودلالا ورقة ، ونشأت محبة للرقص والغناء وخاصة المنلوجات ، ولتوفر هـذه العناصر الاخاذة فيها اعجب بها أرباب الملاهي فخطبوا ودّها، وقدموا لها ما شاءت من الاموال ، وأول ما عملت في (ملهى الجواهري) عام ١٩٤٤م فكانت مهوى افئدة المعجبين بجمالها وصوتها المدهشين، وكانت النفوس المرحه تتطيب مشاهدتها كـل التطيب ، وبقيـت موضع أعجاب الرواد والأصدقاء مدة طويلة إلـى ان احتجبت ، ولم أدر اين هي الآن .

## صبيحة كسرة



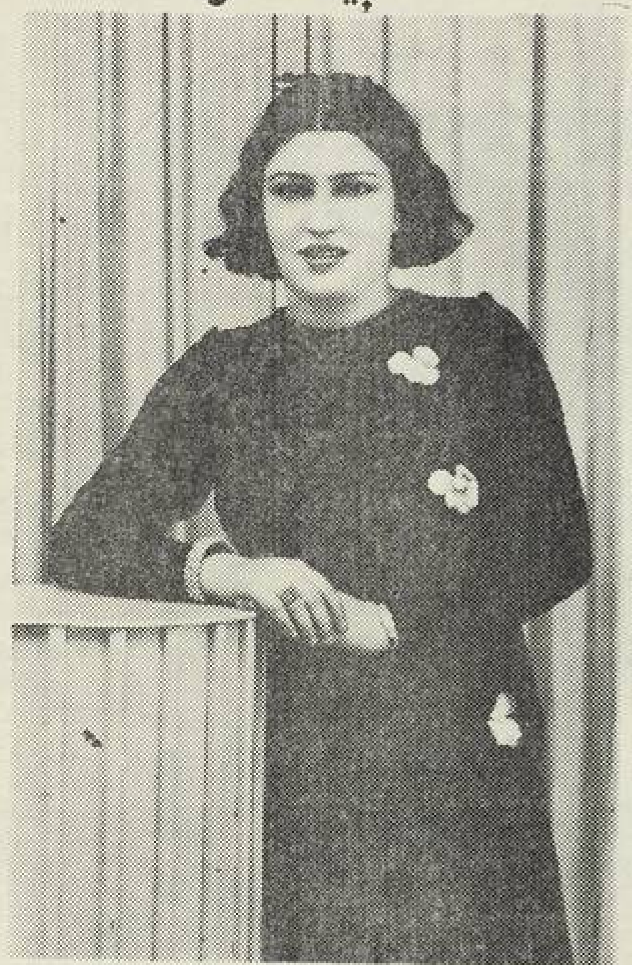
فتاة عراقية نزحت من الموصل مع اختها خيرية ، وهي من القينات الفاتنات، رافقت المغنية منيرة الهوزوز وتأثرت بحركاتها وفنها ، وقلدت كثيراً من اغانيها الشجية ، فكانت مهوى افئدة المشاهدين والهواة للغناء والرقص ، وكان لجمالها الأثر الكلي في سحر النفوس وامتلاك الارواح ، وشاركت في العمل بملهى الفارابي والجواهري والهلال ابتداء من عام ١٩٣٨م وبقيت الى عام ١٩٤٨م ولم أدر اين هي الآن •

## صبيحة محمد



فتاة من الجنوب ، برعت في الجمال والرقة والدلال ، وقد عشقت الغناء وهامت بحب الاصوات الناعمة الشجية ، ولفرطها في الجمال عشقها المغني الشهير ( حضيري ابو عزيز ) فتزوجها زواجا شرعيا وصاحبته في جميع أدواره الغنائية حتى عرفت عند جميع المعجبين بصوتها ورقصها وغنائها الشعبي بـ (صبيحة حضيري ) وأول اشتغالها بملهى دجله ، وانتقلت الى الفارابي وبقيت اخيراً في ملهى(اريزونا) بالقرب من جسر الاحرار • واخيرا طلقت من زوجها واعتزلت الغناء •

## صبيحة محمود



فتاة بغدادية الاصل ، مالت الى الاشتغال في الغناء والرقص وبقيت تتردد في بيت المغنية ( منيرة الهوزوز ) مدة من الزمن حتى اخذت عنها بعض الاغاني ، وعندما شعرت باستعدادها للظهـور على المراسح اشتغلت في ملهى ( ابي نواس ) ثم انتقلت الى (ملهى الجواهري) وبقيت فيه الى ان اعتزلت عن الغناء ، وكان بدء عملها من عام ١٩٣٦ ـ ١٩٥١م وكانت معروفة بالادب والاتزان، ونالت اعجاب الكثيرين بشخصيتها .

# عزيمة توفيق



فتاة كردية الاصل من جزيرة ابن عمر نزحت مع أمها الى بغداد وبقيت مدة فيها ثم تركتها عند الكردية ( الماس ) حيث تولت تربيتها وكانت تدعى عزيمة حسين ، وهو رجل تركي يعيل بالماس حيث تصورته والدها .

ولما نشأت تزوجت برجل من الموصل واولدت منه بنتاً ثم طلقها وترك البنت عندها وخلال بقائها عند الماس اخذت تتأثر بسيرة المغنية حسيبه الماس ، وبواسطتها تعرفت على كثير من الهواة وارباب الملاهي فاشتغلت بملهى الجواهري ابتداءً من عام ١٩٤٣ ــ ١٩٥٦م واعتزلت بعدها حيث تزوجت بشخص يليق بشأنها .

# عفيفة محمـــد



فتاة سورية الاصل نزحت من حلب عام ١٩٣٦م ونزلت بغداد وكانت تجيد فني الرقص والغنـاء وشـاركت في العمل بملهى الجواهري وغيره وبقيت الى عام ١٩٥٣م وكانت تهيمن على احساس المتزنين من القوم لقوة فنها فضلاً عن البسطاء .

# علية محمد



فتاة موصلية الاصل ، قصدت بغداد وهي شابة فنزلت دار المغنية ( صبرية حسين ) ولطـول بقائهـا عندها تأثرت بسيرتها وذوقها ، وقلدت كثيراً مـن حركاتها والحانها واغانيها ، واشتغلت معها في ملهـى الفارابي عام ١٩٣٥م ونالت أعجاب المشاهدين،وبقيت تزاول هذا الفن الى عام ١٩٤٥م ، واخـيراً اعتزلت العمل وتزوجت برجل احبّها وانساها الماضي السحيق وارتاحت لذلك .

# غنية حكمت



فتاة بغدادية الاصل، عاشت في جو ملأ رقة وجمالاً وفتنة، وتجلّت بروحها عند مرافقتها للمغنية المنلوجست (فوزية چچان) فكانت لا تفارقها لحظة، وتأثرت بحركاتها وانعطافاتها اللتين كانتا تهيمن بهما على أرواح الشيوخ بله الشباب ، وغنية ، غنية عن الاطراء والتفخيم لما حصلت عليه من قوة استولت بها على المتزنين من الرجال • وأول عمل قامت في ملهى الجواهري ، ثم تنقلت في عدة ملاهي حيث اخذت تتزاحم على سماع صوتها ومشاهدتها مئات المعجبين بهما • واخيراً اعتزلت الغناء واستقرت في بيتها •

## فخرية أحمد



فتاة عراقية من الجنوب ، من القينات اللاتي اتقن فن الرقص والغناء والغنج والأثارة في النفوس المرحة ،فقد كانت تسحر من يشاهدها ، وتأسر من يجالسها ، شاركت في العمل بملهى الفارابي والجواهري عام ١٩٤٤م واستمرت الى ما بعد الخمسين وكانت تصاحب المغنية الشهيرة زهور حسين وقد تأثرت بسيرتها وفنها ودلالها .

وكانت تصقل مواهبها الغنائية والرقصية امها التي كانت تحرضها على العمل حتى اصبحت من أبرز وجوه المسرح البغدادي .

## فخرية امشتت



فتاة بصرية الاصل ، نزحت منها إلى بغداد عام ١٩٤٠م ، وقد زاولت الغناء والرقص في ملاهي البصرة عدة سنوات نالت خلالهما أعجاب البصريين ، وعندما تردد صداها الى بغداد عشقتها الاسماع ، وأول عمل قامت به في ( ملهى الهلال ) فقد كثر الرواد له بسببها ، وبقيت تختلف على كثير من الملاهي بدعوة ملحة من أربابها • وفي عام ١٩٥٠م ذهبت الى مدينة الموصل حيث اتخذتها وطنا أخيرا ، وأعجب بها اهالي الموصل ، واخيراً تزوجت هناك من رجل احبها واحبته واستقرت في بيته •

# فريدة علي

فتاة فراتية الأصل، نزحت الى بغداد فنزلت في دار بجانب الرصافة ، وهناك تعرفت على بعض الناس حيث صارت تتعاطى الغناء والرقص الشخصي بلياليمعروفة عند الناس ، ولما تردد صداها عند اصدقاء من يختلف عليها حبذوا لها ممارسة الغناء والرقص العلني فاشتغلت بملهى (نزهت البدور) الذي يقع بجانب سوق الميدان عام ١٩٣٦م، وبقيت فيه حتى ترأسته ، وكانت تجيد فني الرقص



والغناء الشعبي واستمرت الى عام ١٩٥٠م ثم ذهبت الى امريكا وتعلمتهناك فن التجميل النسائي خلال اربع سنوات . ثم عادت الى بغداد حيث فتحت لها صالون للتجميل قرب الجندي المجهول بشارع السعدون .

# فوزية جچان



فتاة موصلية ، جاءت الى بغداد عام ١٩٣٨م، مع ابيها وامها واختها (خيرية چچان) وكانت فوزية قد برزت على اختها بالجمال والكمال والدلال والغناء والرقص ، ولتوفر هذه العناصر اللطيفة فيها طلبت للاشتغال بملهى الفارابي فلمعت فيه كنجمة ساطعة ، استهوت عقول المشاهدين ، وقد افتتن بها جمع من المغنين ومن بينهم ( حضيري ابو عزيز ) وكان يردد اسمها دائماً في أغانيه على المسرح • وبقيت بنفس الملهى إلى عام ١٩٦٥م حيث توفي ابوها وامها ، واعتزلت الغناء بعد أن تزوجت بمن احبها واحبته وولدت منه عدة بنات ، واصبحت تعيش في كنفهن كممثلات في مصلحة السينما والمسرح •

## لامعة محمد

فتاة من الجنوب سكنت بغداد ، وقد وهبت صوتاً جميلاً ، ووجها مشرقاً ، وتأثرت بسماع الاغاني الشعبية فاتقنت الكثير منها ، وعملت في كثير من الملاهي وأول ما اشتغلت بملهى ( ليالي الصفا ) بجانب الكرخ حيث كثر عشاق صوتها وغنائها ، واستعبدت الافئدة والارواح لدماثة خلقها وحسن مجلسها ، ثم تنقلت الى عدة ملاهي كالجواهري والفارابي ، وأول اشتغالها عام ١٩٤٥م واخيراً اعتزلت الغناء وجلست في بيتها .



# ماري كونكه

فتاة مسيحية نشأت في بغداد في بيت يهوى الطرب فعنى بها بعض من يتذوق الغناء فعلمها أصول الموسيقى والرقص الذي يتلازم مع الغناء ملازمة الظل، وقد رزقت صوتا ناعما وغنجا جميلا وجسما بضا مما دعا حشود الهواة والمترددين على الملاهي ينهالون لسماع ذلك الصوت الاخاذ ، وقد امتازت بحلاوة الحديث ، وسرعة النكتة، وحسن المنادمة واشتغلت بعدة ملاهي



كانت في جميعها موضع احترام اربابها لها ، بدأت العمل في ملهى ( الفارابي ) عام ١٩٣٦م واستمرت الى عام ١٩٤٢م حيث اختارت الانزواء .

## مديحة سعيد

فتاة بغدادية الأصل، بدأت حياتها الفنية بعد اكتمالها الدراسة الابتدائية والمتوسطة ، بأن شقت طريقا جديداً في الحياة الاجتماعية ففي عام ١٩٣٢ استقبلت علما جديدا لتوجيه الفن المسرحي واخراج الممثلين على الطريقة الفنية البحتة اي الرجل عن الرجل ، والمرأة عن المرأة ، وأول من اكتشفها الاستاذ المسرحي السيد حقي الشبلي فضمها الى فرقته ودربها تدريبا فنيا ، وبقيت معه حتى نالت اعجابه والمشاهدين



وكان لجمالها اكبر أثر في اثارة النفوس والاستيلاء على العقول وأعجب بها وجوه العاصمة فكان ذلك سببا لوصولها الى المسرح والغناء العلني مشفوعاً بالرقص الفني ، ولكنها اخيراً اعتزلت هذا الفن الذي لا يدفع عنها غائلة الفقر فتزوجت احد المعجبين بها واستقلت به •

## ملـوك موسى



فتاة ايرانية الأصل ، ستوطنت بغداد عـام ١٩٤٠م، ولتوفر جمالها وحسن صوتها عشقت الغنـاء والرقـص ، واتصلت بصديقتها ( صبرية حسين ) فتأثـرت بسيرتهـا وحركاتها ، والتقطت كثيرا من فنونهـا ، وبذلـك اشتهرت بمواهبها بين القيان ، واخذت مكانتها تعلو في مراسح الرقص وفي صالات الغناء ، وكثـر المعجبون بها من الرواد، وقد شاركت في العمل بملهى ( الجواهري ) و ( الفارابي ) عام ١٩٣٩م وكانت ساحرة في نظراتهـا وغنائها ورقصها ، وقد أسرت العقول قبل الأجسام ، والارواح قبل الابدان، واستمرت فى العمل الى عام ١٩٤٢م، وبذلك عشقها أرباب الملاهي وتوددوا لها وصارت تتنقل فيها الى ان اعتزلت الغناء وتزوجت وهي باقية الى اليوم .

## نجيــة ابراهيم



فتاة يهودية بغدادية ساحرة فتانة شاركت بالعمل في ملهــى الفارابي والجواهري وغيرهما،وكانت تغنى الطقاطيق والمنلوجات ابتداءاً من عام ١٩٤٥م وقد سحر بجمالها ودلالها ومرحها عقــلاء الرجال من السياسيين وغيرهم ، وفتكت بعقولهم وجيوبهــم ، واخيراً اسقطت جنسيتها حيث ألحقت بقومها اللئام غير مأســوف عليهــا .

## نزهت الجميلة



فتاة موصلية الأصل، جاءت الى بغداد مع أمها ، وكانت بارعة في اختطاف الرجال وعقولهم لما حبيت به من جمال وذوق رفيع في الجسم والحديث ، واشتغلت أول عهدها بالتمثيل مع فرقة الاستاذ حقي الشبلي فنمى فيها روح الحركة والرقة ، ونجحت بالتمثيل نجاحا باهرا، ثم عشقت الغناء والرقص فاشتغلت بملهى الهلال عام ١٩٣٤م وبقيت فيه مدة طويلة مما دعت ان يزداد عدد الزائرين لهذا الملهى باضعاف لوجودها فيه ، وقد هامت بحب الشعراء الذين احبتهم وفي مقدمتهم ( المؤلف ) حيث كان يسوّنها بأرق المقاطيع الشعرية • ثم تركت هذا الملهى وانتقلت الى ( الف ليلة ) والى عام ١٩٤٧م تركت العراق وقصدت بيروت؛ حيث فتحت لها ( فندق شقق ) واستقرت هناك •

## نظيرة عبد الكريم

فتاة بغدادية الاصل ، وكانت اختهازكية عبدالكريم تشتغل بالتمثيل مع احدى الفرق البغدادية التي تعنى بالتمثيل ، ونظيره آنذاك كانت متزوجة برجل هندي فولدت منه بنتا اسمها ( زبيدة ) ولما صارت تهوى الغناء والرقص اخذ زوجها ابنته منها وفارقها راجعا الى الهند ، وبقيت هي تختلف على الملاهي والمسارح وكانت تمتاز بالجمال المدهش الفتان ،

وقد بدأت العمل عام ١٩٣٤م حيث اشتغلت بملهى (الف ليلة) ثم انتقلت الى الفارابي حيث بقيت الى عام ١٩٤٨م وكانت خلال هذه المدة موضع أعجاب وهيام رواد هذين الملهيين ، واخيراً اعتزلت الغناء واستقرت في بيتها .

## نظيمة ابراهيم



فتاة بغدادية الاصل ، سحرت الناس بجمالها الفتان ، ودلالها الأخاذ ، عشقت الغناء وتأثرت به عن طريق مصاحبتها للمغنية الشهيرة سليمة باشا مراد ، ونالت أعجاب مشاهديها لتوفر عناصر الرقص الفني وغنائها الشعبي وبزّت جميع القيان المعاصرة لها عدا المغنيات الكبار ، وأول عمل زاولته هو الاشتغال بملهى الجواهري والفارابي عام ١٩٤٣م واستمرت الى عام ١٩٥٥م وكانت مهوى افئدة وعقول اكابر الرجال فضلا عن الاصاغر .

## نورية مطيع



فتاة من فلسطين ، جاءت الى بغداد عام ١٩٣٣م مع امها وابيها واختها سامية،وذهبتا الى البصرة حيث اشتغلت اختها في أحد الملاهي هناك ، وقد نجحت في فنها نجاحا باهرا أدى الى ثراء واعجاب ، وافتتن بها نبغاء الشباب من ابنائها ، ثم رجعوا الى بغداد وبقيت اختها هناك متمركزة في القلوب ، مهيمنة على العقول وذلك عام ١٩٣٦م، وفي خلال هذه المدة تأثرت نورية بسيرة اختها والتقطت كثيرا من الحانها وفنها في الرقص، وامتازت بملاحة في الصوت وحسن الوجه . واشتغلت بملهى الهلال ، حيث انظمت الى وجوه مشرقة مثلها . واخيرا تنقلت الى ملاهي اخرى ، ثم اعتزلت الغناء وتزوجت بشخص افتتن بها ، وهي الآن تعيش ببغداد بنفس الاسم .

# نوريـة مهدي



بغدادية الاصل من جانب الرصافة ، عشقت الغناء والرقص واجادت فيهما اجادة المتخصص المفن ، وقد استحضر فيها بعض المشاهدين هذا البيت لابن خفاجة الأندلسـي :

يطالعنا الصبح ببطن حزوى    فينكرنا ويعرفنا الظـلام

وقد فتكت بفنها وسحرت به الباب مشاهديها ، وقـد زاولت العمـل بملهى الفارابي عام ١٩٤٠م كما تنقلت في عدة ملاهي اخرى ، وكانت هادئـة الطبع دمثة الاخلاق رغم ما سميت به مـن قبـل زميلاتها ( نورية المخبلة ) وعقيدتي ان هذه التسمية جاءت عن طريق الحسد لها .

## وحيدة يوسف



فتاة بارعة في الجمال والكمال ، وقد تربت في كنف امها التي هي سورية الاصل ، وكانت امها تختلف على بعض الملاهي في سورية فتأثرت البنت بسيرة الوالدة ونزعت الى هذه الهواية حيث نضجت عندها في بغداد فاشتغلت بملهى الجواهري والفارابي عام ١٩٤٣م واستمرت الى ما بعد الخمسين واخيرا اعتزلت ممارسة الغناء والرقص وتزوجت وفتحت لها محلاً في شارع النهر لبيع الكماليات النسائية .

# بقية اسماء القيا ن في الدور الاخير

لقد كثرت القيان في الدور الاخير بصورة غريبة عجيبة واكتضت بها الملاهي فلا تجد جماعة إلا ومعهم مؤنسة او راقصة أو مغنية ، وهذه الاسماء التي سنذكرها مرتبة على حروف المعجم ومنها ليست الاسماء الحقيقية لهولاء القيان بل بدلت ، وتلك طريقة اتخذت بصورة تقليدية من عهد قيان العصر العباسي الزاهر ، واليك هي :

١ـ أحلام وهبي ٢ـ آديل ياسو ٣ـ أمل عزيز ٤ـ انطوانيت اسكندر ٥ـ أمينة الحلاوية ٦ـ بدرية نزهت ٧ـ بدرية اسماعيل ٨ـ بدرية حياوي ٩ـ ثريا ناصر ١٠ـ ثريا عزيز ١١ـ جميلة يعقوب ١٢ـ جميلة علي ( دنگر ) ١٣ـ جميلة حسن ١٤ـ جميلة داود ١٥ـ حسيبة الماس ١٦ـ حليمة توفيق ( غادة ) ١٧ـ حمدية نبيل ١٨ـ خزنة ابراهيم ١٩ـ خيرية چچان ٢٠ـ روزه نومه ٢١ـ رمزية حميد ٢٢ـ رشدية علي ٢٣ـ زكية محمد ٢٤ـ سلامة ٢٥ـ سليمة فرات ٢٦ـ سليمة حسن ٢٧ـ سليمة يوسف ٢٨ـ صبيحة سالم ٢٩ـ صفية ططر ٣٠ـ صبرية قادر ٣١ـ عائشة محمد ٣٢ـ عزيزة أمير ٣٣ـ غنية حكمت ٣٤ فتحية أحمد المصلاوية ٣٥ـ فخرية شاكر ٣٦ـ فضيلة عبدالرحمن ٣٧ـ فاطمة حمره ٣٨ـ فوزية عارف ٣٩ـ فوزية كارون ٤٠ـ فوزية شيروان ٤١ـ فضيلة هادي ٤٢ـ فوزية بشير ٤٣ـ فريال صدقي ٤٤ـ كميلة علي ٤٥ـ كمالة ابراهيم ٤٦ـ لولو نومه ٤٧ـ لميعة توفيق ٤٨ـ ماري جرجيس ٤٩ـ ماري جورج ٥٠ـ ماري يعقوب ٥١ـ مائدة ٥٢ـ مريم ابراهيم ٥٣ـ مسعودة مراد ( اخت سليمة ) ٥٤ـ منيرة حسون ٥٥ـ منيرة محمد ٥٦ـ مكية عبدالوهاب ٥٧ـ ملك ٥٨ـ ماري موسى ٥٩ـ مديحة ناطق ٦٠ـ نجية كارون ٦١ـ ندوة محمود ٦٢ـ نعيمة كمال ٦٣ـ نورية خزنة ٦٤ـ نديمة محمد ٦٥ـ ناهدة فرج ٦٦ـ وداد حسين ٦٧ـ وحيدة خليل ٦٨ـ هدية ـ اخت جليلة ام سامي ٦٩ـ هيلة سلمان ٧٠ـ هيفاء حسين .

**انتهى الكتاب ـ**

# مواضيع الكتاب

ص

٢٢٥ ـ بهيجة منصور
٢٢٦ ـ خديجة عبي
٢٢٧ ـ راجحة عبدالسيد
٢٢٨ ـ زكية محاسن
٢٢٩ ـ رسمية عبدالرحمن
٢٣٠ ـ سليمة دجلة
٢٣١ ـ سليمة العراقية
٢٣٢ ـ شكيبة بحر
٢٣٣ ـ شكيبة صالح
٢٣٤ ـ صبرية حسين
٢٣٥ ـ صبيحة ابراهيم
٢٣٦ ـ صبيحة دجلة
٢٣٧ ـ صبيحة سالم
٢٣٨ ـ صبيحة كسرة
٢٣٨ ـ صبيحة محمد
٢٣٩ ـ صبيحة محمود
٢٤٠ ـ عزيمة توفيق
٢٤١ ـ عفيفة محمد
٢٤٢ ـ علية محمد
٢٤٣ ـ غنية حكمت
٢٤٤ ـ فخريه احمد
٢٤٥ ـ فخريه امشنتت
٢٤٦ ـ فريدة علي
٢٤٧ ـ فوزيه چچان
٢٤٨ ـ لامعه محمد
٢٤٩ ـ ماري لونكه
٢٥٠ ـ مديحه سعيد
٢٥١ ـ ملوك موسى
٢٥٢ ـ نجيه ابراهيم
٢٥٣ ـ زهت الجميلة
٢٥٤ ـ نظيرة عبدالكريم
٢٥٥ ـ نظيمة ابراهيم
٢٥٦ ـ نورية مطيع
٢٥٧ ـ نورية مهدي
٢ ٥٨ ـ وحيدة يوسف
٢٥٩ ـ بقية اسماء القيان في الدور الاخير

## مصادر الكتاب


١ ـ الاغـاني ، لابي الفرج الاصبهاني
٢ ـ نهاية الارب ، للنويري
٣ ـ العقد الفريد ، ابن عبد ربه
٤ ـ مروج الذهب ، للمسـعودي
٥ ـ نفح الطيب ، للحصري القيرواني
٦ ـ المستطرف ، للأبشيهي
٧ ـ عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري
٨ ـ يتيمة الدهر ، لابي منصور الثعالبي
٩ ـ الكشكول ، لبهاء الدين العاملي
١٠ ـ زهر الاداب ، للقيرواني
١١ ـ حلبة الكميت ، للنواحـي
١٢ ـ المفاخرة بين الغلمان والجواري ، للجاحظ
١٣ ـ مجمع الامثال ، للميداني
١٤ ـ سلافة العصر ، للسيد علي خان
١٥ ـ شرح لامية العجم ، للصفدي
١٦ ـ العمدة ، لابن رشيق القيرواني
١٧ ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، لابن نباته
١٨ ـ الكنس الجواري ، لشهاب الدين الحجازي
١٩ ـ الفهرست ، لابن النديم
٢١ ـ انيس الحاضر وجليس الخاطر ، للشيخ يوسف البحراني
٢٢ ـ قرة العيون ، لابي ليث السمرقندي
٢٣ ـ مختصر اخبار الخلفاء ، لابن الساعي ج٩
٢٤ ـ طبقات الشعراء ، لابن سـلام الجمحي
٢٥ ـ بلوغ الارب ، لمحمود شكري الالوسي
٢٦ ـ طوق الحمامة ، لابن حزم الاندلسي

٢٧ ـ تحفة العرس ، للتجاني المغربي
٢٨ ـ الدولة العباسية . قيامها . سقوطها ، لحسن خليفة
٢٩ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، لجرجي زيد ن
٣٠ ـ الطرب عند العرب ، للعلاف
٣١ ـ الجواري والمغنيات ، نفائد العمروسي
٣٢ ـ سيدات البلاط العباسي ، مصطفى جواد
٣٣ ـ جمال المرأة عند العرب ، صلاح المنجد
٣٤ ـ مجلة الهلال ، جرجي زيدان
٣٥ ـ مجلة اليقين ، محمد ورشيد الهاشمي
٣٦ ـ الف ليلة وليلة، لفيف من القصاصين

## آثار المؤلف المطبوعة

١ ـ موجز الاغاني العراقية ، طبع ببغداد عام ١٩٣٠م
٢ ـ مجلة الفنون ، أصدرها عام ١٩٣٤م سنة واحدة
٣ ـ مجموعة الاغاني والمغنيات ٢٤ حلقة ط عام ٣٥ ـ ١٩٤٦ م
٤ ـ الطرب عند العرب ، الطبعة الاولى والثانية
٥ ـ بغداد القديمة ط عام ١٩٦٣ م
٦ ـ الاغاني والمغنيات مجموعة حلقات ط عام ١٩٦٩
٧ ـ الموال البغدادي .

## آثاره المخطوطة

١ ـ ديوان شعره ، الشعر الفصيح
٢ ـ ديوان شعره ، القسم الشعبي
٣ ـ مذكراتي مع الاحداث ، بحث فيها ما شاهده في حياته
٤ ـ المواهب في ذكرى العلامة الشيخ عبدالوهاب النايب
٥ ـ نيل المرام في قاموس الانغام
٦ ـ قطف الاثمار في الاخبار والاشعار

